قارئٌ مُتلبِّسٌ بالقِراءَة

كتبٌ فِي كتابٍ

تأليف

أشرف مصطفى توفيق

الكتاب: قارئ مُتلبِّسٌ بالقِراءَة.. كتُبٌ فِي كتابٍ

الكاتب: أشرف مصطفى توفيق

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

توفيق ، مصطفى ، أشرف

قارئ مُتلبِّسٌ بالقِراءَة.. كتُبٌ فِي كتابٍ/ أشرف مصطفى توفيق

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٩٥ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ٤ – ٥٤ – ٦٧٧٤– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ١٦٩٥ / ٢٠١٩

قارئ مُتلبِّسٌ بالقِراءَة

كتُبٌ فِي كتابٍ



إهداء

إلى أنيس منصور أستاذًا ومعلمًا

" من لا يقرأ يعيش حياة واحدة حتى لو اجتاز السبعين عاما، أما من يقرأ، فيعيش خمسة آلاف سنة.. فالقراءة أبدية أزلية"

أمبرتو إيكو

كلمة أولى

العلم طويل والعمر قصير!

خلق الله الإنسان قارئا فأول كلمة في القرآن نزلت في غار حراء: اقرأ.. وأول عبارة في التوراة: في البدء كانت الكلمة.

• دخل أديب على الخليفة عبد الملك بن مروان فوجده يقرأ فقال له: يا أمير المؤمنين إن الكتاب أنبل جليس، وآنس أنيس، وأصدق صديق، وأحفظ رفيق، وأكرم مصاحب، وأفصح مخاطب، وأبلغ ناطق، وأكتم وامق (محب)، يورد إليك ولا يصدر عنك، ويحكي لك، ولا يحكي عنك، إن أودعته سراً كتمه، وإن استحفظته علماً حفظه، وإن فاتحته فاتحك، وإن فاوضته فاوضك، وإن جاريته جاراك، ينشط بنشاطك، ويغتبط باغتباطك، ولا يخفي عنك ذكراً، ولا يفشي لك سراً، إن نشرته شهد، وإن طويته رقد وخفيف المؤونة، كثير المعونة، حاضر كمعدوم، غائب كمعلوم، لا تتصنع له عند حضوره في خلوتك، ولا تحتشم له في حال وحدتك، في الليل نعم السمير، وفي النهار نعم المشير..

فقال عبد الملك بن مروان: "لقد حببت إليّ الكتاب، وعظمتَّه في نفسي، وحسَّنته في عيني. •

وفي مكتبة شبرا الصغيرة، بالدوران خلف سينما الأمير والتي تحولت الآن لمول كبير، تعلمت جلال القراءة. تعلمت كل ما كان ينقصني من الجلوس الطويل، والصمت العميق. وكيف أنسى الدنيا وما فيها، والزمن، وهمومى،

فمكتبة شبرا فيلا صغيرة تحت عمارة بثلاث أدوار، ولها مدخل خاص وبها حديقة جميلة، وعلى مدخلها رخامة كتب عليها:

إذا الهموم نزلن منك ولم تجد أنساً، ومل فؤادك الأحبابا
فاعمد إلى الكتبِ التي قد ضَمت أوراقها الأشعار والأدباَ

وفي ذلك الوقت كانت الهموم نزلت ولم أجد أنساً، ومللت فأنا محتاج لمقشة تكنس الدنيا من أمامي.. أما لماذا؟! ففي ذلك الوقت دخلت مدرسة التوفيقية الثانوية، وهي مدرسة للمتفوقين ولها صيتها، ودخلتها بمجموع ٩٢% ولكني لا أعرف كيف أذاكر أو أتأقلم مع كل ما تقدمه المدرسة من نشاط رياضي وعلمي، رغم تفوقي السابق في جميع مراحل التعليم فأنا في فصل أولى أول ثانوي ومستوى الطلبة معي فوق العبقري ولا أستطيع اللحاق بهم، وأجلسني المدرسين في تختة آخر الفصل بحجة طولي ولكن حين سموني "أمير الركن" عرفت السبب الحقيقي أنهم يريدون إخفائي عن عيون المفتشين، والناظر، ولما سألوهم: لا فائدة منه قالوا: لا فايده ولا عايده؟!

وكنا في بداية السبعينات، وفي عائلتي حزن بسبب سقوط شهداء كثيرين من العائلة في حرب ٦٧ فعندهم ما يكفيهم من أحزان ومشاكل، ولم أتجرأ على طلب الدروس خصوصية – كإسعاف مما أعاني – أو إضافة مشكلة جديدة لهم بمشكلتي أو حتى الفضفضة، ثم جاء تهجير سكان مدن القناة، فجاء خالي وأولاده من الإسماعيلية لمنزلنا (مهجرين) وبالتالي لم تعد خصوصية لشيء.كان هناك من ينام معي على سريري، ومن يجلس بجواري على مكتبي ليذاكر مثلي..حتى هدومي أصبحت على المشاع؟ وسادت بيتنا العصبية من أمي ومن

خالي ومن الكل كليله، ولم يتدخل أبي فقد مات. فلا هذه حياة أحد ولم يتعود عليها أحد.. إنه الزحام، والضيق، والحزن، وأشياء أخرى!

وكانت القرابة وصلة الرحم جريمة ترتكب مع سبق الإصرار والترصد؟ وكانت مبادىء التآخي والتراحم تستغل بعشوائية وفوضى؟! هكذا أحسست، وشعرت. ودخلت حديقة المكتبة، وأعجبت بالمكان، والهدوء، والنظام، والسكون ووجه أمينة المكتبة المشرق "مؤنسة الدويك" اسم على مسمى. وحين جلست كان على المنضدة التي جلست إليها كتاب عنوانه (رسول الله في المدينة) وأخذت أقرأ، وخجلت من نفسي ومن أعماقي فالرسول "ﷺ" جعل في المدينة (المهاجرين، والأنصار أخوة إنهم يقتسمون، البيت، اللقمة، والهدمة.. ويفعلون ذلك بحب وإيمان) عاش المهاجرون في بيوت إخوانهم من الأنصار وشاركوهم معيشتهم، فأغلبهم قدم إلى المدينة وهو لا يملك الكثير وربما لا يملك شيئا، بعد أن تركوا ما يملكون في مكة طوعا أو كرها. وكان كل ما حمله أبو بكر لا يزيد عن خمسة آلاف درهم أنفق منها الكثير. لم يكن بين المهاجرين من هو على ثراء سوى عثمان بن عفان، وكان صاحب مال وفير. أما حمزة وعلي وزيد، وغيرهم كثيرون، فما كانوا يملكون شيئا، ويقال إن عم الرسول حمزة توجه يوما إلى النبي يطلب الطعام. أما علي فيقال إنه كان يحمل الماء في قربة على ظهره ويبيعه للناس. اتجه بعض المهاجرين إلى التجارة كي لا يكونوا عالة على الأنصار. ويروى أن عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع كانا أخوين، آخى بينهما النبي، وكان عبد الرحمن بن عوف قد وصل يثرب خاوي الوفاض لا يملك شيئا، فعرض عليه سعد أن يقاسمه ماله، فأبى ابن عوف وطلب من سعد أن يدله على السوق، وأنا متضرر من لحمي ودمي "أولاد خالي"؟ كيف حدث في المدينة ولم يحدث في بيتنا؟

ووقفت كثيرا حين شاركوهم بالمدينة (في ثروهم وتركوا لهم زوجاهم) أهو الإيمان أم الإسلام أم وجود الرسول بينهم؟من له زوجتان يقول للمهاجر اختر، وأطلقها لك؟! ونحن نتقاتل في بيتنا على المكان والزمان والكرسي والطعام فهل فنحن مسلمون أقل، ومؤمنون أقل والرسول ليس بيننا.. إنه البركة السماوية وعرفت فلزمت..

بالطبع نحن نحتاج إلى الكتب التي تقوم بتغيير مصائرنا، أو كما يقول "كافكا" إلى الكتب التي تعضنا وتوخزنا. ولكن لا توجد وصفة للوصول المباشر لهذه الكتب، إنها تصادفك، تتعثر فيها. وتمسكت بالكتب صديقا ومعلما فأهم ما في القراءة ليس المتعة، وهي موجودة. وليس اللذة وهي موجودة، ولا التسلية وهي موجودة، وإنما المعرفة والاستغراق فيها الذي ينسيك ما حولك وما في داخلك ويغيرك ويعرفك، ولا شك أن مثقفي السبعينات قادوني باطمئنان وفي سحبة غليون إلى كتب الماركسية – وكانت كتب عسيرة الهضم – كنت كقارىء يتلمس دربه للقراءة بلا بوصلة، تتلاطم في رأسه عناوين كتب. نهباً لقراءة يعتقد أنها جدول ماء إذا بها سراب؟! ولكن من أهم ما صنعته القراءة بي أني اعتدت عليها، أدمنتها، صرت دودة قراءة. أي أقرأ كل شيء، وأي شيء، ولا أدعي أنني كنت أفهم كل ما أقرأ، ولكني لا أستطيع أن أعيش بغير القراءة!

وأدركت "مؤنسة الدويك" فلسفة المكتبة العامة، أنها ترى المكتبة أعظم المرافق التي هيأتها الدولة للناس بهدف أن تخرج مواطن قارىء، وهي تعرف أنه ليس في استطاعة أحد أن يشتري كل أو بعض الكتب وحتى لو استطاع، ففي المكتبة مزايا وضرورات أخرى: الهدوء، والصمت، والتفرغ، وفوق ذلك نسيان غريزة الملكية.. ولذا حين قرأت "مؤنسة الدويك" عن (ظهور"موشي ديان" بالتليفزيون الإنجليزي وكيف سأله المذيع عن الخطة التي اتبعها مع المصريين في

١٩٦٧؟! فقال وهو يضحك: هي نفس الخطة التي حاربتهم بها في ١٩٥٦! واستغرب المذيع؛ فالخطة منشورة في كتاب عام١٩٦٠ هو "مذكرات حملة سيناء – ٥٦".. ورد موشي دايان: لا لم أخش شيئا.. لأن العرب لا يقرأون!).. تحركت وصنعت حملة باسم (لا يهزم شعب يقرأ) وحولت المكتبة لحالة، لمهرجان، أدخلت الندوات، والمسابقات، ونظام "الاستعارة الخارجية للكتب"..

أما المسابقات فنوعان: نوع يقرأ فيه الناس كتابا واحدا ويكتبون عنه، وأفضل تلخيص وعرض للكتاب، يجلس صاحبه في ندوة يحكيه ويقرأه.. أما النوع الثاني وكان اسمها "من يكسب كتاب الشهر؟" وفيه يحدد عدد من الكتب للقراءة – منوعة الموضوعات– ويحدد يوم للمتسابقين للسؤال فيها، ومن يكون الأول يكسب كتباً أيضا والموضوع الغالب في المسابقات هو "إسرائيل".. بطريقة: "اعرف عدوك".

ومن الأوراق القديمة التي أحتفظ بها شهادة من مكتبة شبرا تعترف فيها بأني لخصت عشرين كتابا بنجاح، وللحقيقة أدركت أن تلخيص الكتب يجعل للقراءة فهما ويقينا وتحديد أهداف بعد التسلية وبالتالي الاستيعاب يكون أكثر وأفيد؛ فأنا أقرأ وكأني أذاكر دروس المدرسة بالورقة والقلم ومستعد للامتحان أيضاَ.. وحدث أن وقعت في يدي كتب موضوعها "الكتب ذاتها" صاحبها قرأ ولخص وعرض، ولأستاذنا عباس محمود العقاد كتاب من هذه النوعية بعنوان "ساعات بين الكتب" ويبدو أن العقاد اختار الكتب التي لم تعجبه ليكتب عنها أو لينقضها، فهو يقرأ الكتاب ويستخرج أفكاره ونظرياته، ثم يعمل فيه قلمه بطريقة النقد الديلكتيكى، فيأتي للفكرة بفكرة مضادة وللنظرية بنظرية عكسية، فالعقاد الموسوعي يعاقب في الكتب – التي قضى معها ساعات – (المؤلفين)؟!

ولا تعرف لماذا كتب عنهم وعرض لكتبهم طالما لم يعجبوه؟ ولأنيس منصور دعابة عن نقد العقاد، فهو يراه إذا نقض عض، ويصبح عباس محمود العضاض!!

ومن نفس النوعية كتاب جميل لأنيس منصور عنوانه:"كتاب عن كتب" وهو ممتع فالأستاذ يقرأ الكتاب على مهل ثم يتركه وبعد مدة يعاود التفكير فيه، فإن كتب عنه كتب عن أثر الكتاب في نفسه وما استفاده منه وما أحدثه بداخله، وبالتالي فالكتاب عن عشرين كتابا كتب عن كل منها مقالة.. وهناك تجربة للصديق الصحفي"حنفي المحلاوى" كنت شاهدا عليها حيث استمر حنفي لخمسين أسبوعا ينشر كل أربعاء بجريدة (الوفد) عرضا لكتاب في صفحة كاملة، وفجأة أوقف الجورنال صفحة عرض الكتب؟ ونقلها (حنفي) لجريدة (الأزهر الأسبوعية) ثم قرر هو نفسه التوقف!! واتفق مع الدار المصرية اللبنانية على نشر التجربة في كتاب، وفرحت بيني وبين نفسي فقد كان من ضمن هذه الكتب،كتابي "حريم في حياة الزعيم– الثورة التي أيدها الحرملك" وكان عرضه بجريدة الأزهر ووجدت في صندوق بريدي نسخة مهداة لكتاب أسماه "أوراق في السياسة والحب والحرب" عرض فيها صديقي لثلاثين كتابا ولم يكن كتابي ضمنها؟! وطريقة الأستاذ حنفي مختلفة في عرض الكتب أنه متمسك باختيارات المؤلف وبشكل الكتاب حتى أنه يصف الغلاف؟ ولا يتصرف وإنما يستخدم أبجديات متن الكتاب، إنه اختفى وراء الكاتب، أو تقمص شخصية المؤلف ولذا فهو يلخص جزئيا كل فصل ويعرض لجميع العناوين الجانبية في الكتاب.

وأنا أحاول أن أخلط بين الأساليب الثلاثة، وأحاول أن أعرض لأشهر الكتب وأكثرها مبيعا، فعلت ذلك من قبل وها أنا أعود إليه ففي حياتي عدة محطات في بلاط صاحبة الجلالة، وكلها قضيت فيها وقتا في تلخيص وعرض

الكتب- ففي جريدة الطلاب أمسك الأستاذ (محمد سليمة) كتاب "المرأة والجنس" لنوال السعداوي وطلب تلخيصه، مرتين مرة بما يوازي صفحة جورنال، ومرة بما يكف عمودا. وكان هذا امتحان أو اختبار قبولي للعمل في الجريدة، ونجحت، وزدنا على ذلك أن ذهبت لنوال السعداوي في مجلة "الصحة" وأجريت حوارا معها عنوانه" الشيء الذي يخفونه بأوراق التوت" ونشر بصفحتي الوسط بالجريدة. وفي مجلة "عيون" لخصت كتب السادات: (من مذكراته في السجن لقصته مع الثورة حتى كتابه "البحث عن الذات") فقد كانت صاحبتها، ومديرة التحرير فيها "عائشة أبو النور" ابنة أحد الضباط الأحرار هو "عبد المحسن أبو النور"، وكانت درويشة في حب الثوار.

وحدث أن تحمس أنيس منصور لكتاب أجنبي هو (الخالدون المائة) الاسم الأصلي للكتاب المائة: ترتيب أكثر الشخصيات تأثيرًا في التاريخ The : 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History) " كتاب من تأليف: مايكل هارت، وهو قائمة احتوت على أسماء مائة شخص رتبهم الكاتب حسب معايير معينة بمدى تأثيرهم في التاريخ وضمت القائمة على رأسها اسم النبي محمد، ويسوع وموسى، كما ضمت أسماء مؤسسي الديانات، أو مبتكري أبرز الاختراعات التي غيرت مسار التاريخ مثل مخترع الطائرة أو آلة الطباعة، وأيضًا قادة الفكر وغيرهم فترجمه تحت عنوان "الخالدون مائة أعظمهم محمد" يقصد نبينا ﷺ، وأعلن من مجلة "أكتوبر" عن مسابقة قراءة موضوعها هذا الكتاب، ولإثبات حسن القراءة على (المتسابق) أن يقدم عرضا للكتاب (لا يقل عن ١٠ صفحات فلوسكاب ولا يزيد عن ٢٠) ودخل المسابقة ٨٠٠٠ متسابق كلهم قرأوا الكتاب ولخصوه وذهبت لمقابلة الأستاذ "أنيس" ضمن عشرة فائزين، وأعطانا كتبه هدية وشهادة استثمار بـ ٣٠

جنيها، وكان ذلك من أفضل ما حدث في حياتي فقد دخلت مكتب الأستاذ، ولم أخرج منه، صارت عيني على كتبه، وعقلي مع قلمه، أقرأ وأستمتع، ومع كل كتاب يصدره أذهب لمكتبه ويعطيني نسخة بإهداء هدية. وتطور الموقف فأنا لم أعد أفر بكتابه من مكتبه، كمن أهتبل فرصة كتاب مجاناً. صرت أتمهل أتحدث فيرد، وأناقشه فيما كتب فيسمع، ويدخل المحررون عليه فيجدونني والساعي بالشاي فيشير إليه أن يرى ماذا أشرب؟! واعتقدوا في مجلة اكتوبر أني قريبه، ولم يعد هناك حائل بيني وبينه، ولكن الوصف السليم لحالتي هو ما كتبه حنفي المحلاوى عني وهو يعرض لكتابي"أشهر قصص الغرام" قال وكان (تلميذا لأنيس منصور)!! نعم كنت واحداً من تلاميذ الأستاذ. كنت من محاسيب الأستاذ، واخترت على طريقته القراءة كما اختارها هو، وأوصي بها متعة ومحبة وعرفانا له، فأنيس منصور حين تخيل الجنة وجدها مكتبة كتب!!

أشرف توفيق

أمريكا شيكا بيكا؟!

(عن كتاب ك.ك فضيحة في البيت الأبيض)

اتسمت مذكرات نانسي ريجان التي حملت اسم "دوري" بالكثير من الرومانسية التي اتسمت بها علاقتها بزوجها الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان، وربما يشير عنوان كتابها إلى الدور الذي لعبته ليس فقط في حياة زوجها ولكن أيضا في السياسة الأمريكية خلال فترة تواجدها بالبيت الأبيض، والنابع من تأثيرها الكبير على الرئيس في هذه الفترة. وكشفت نانسي في مذكراتها عن أكبر قصة حب وسلطة بين رئيس أمريكى وزوجته حيث ذكرت أنها لجأت إلى «عراف» بعد تعرض زوجها لمحاولة اغتيال عام ١٩٨١ وأنها كانت تشعر بقلق بالغ كلما غادر زوجها المنزل.كما كشفت أيضا عن تدخلها في العديد من سياسات ريجان وصراعها العنيف مع دونالد ريجان كبير مستشارى البيت الأبيض، فضلا عن دورها في تنسيق اجتماع بين زوجها ورئيس الاتحاد السوفييتي السابق ميخائيل جورباتشوف في جنيف خلال فترة الحرب الباردة.

فقد كانت الأسطورة التي خرج بها رونالد ريجان ونانسي من البيت الأبيض تقول أن (الرئيسين) لعبا دورًا مهمًا في إعادة القيم الأخلاقية إلى المجتمع الأمريكي، فكانا مثالاً للوفاء والإخلاص بين الزوجين، وركزا على محاربة المخدرات وبناء مجتمع أمريكي صالح وكانا مثالاً يحتذى به.. ترى ما مدى اقتراب الأسطورة من الواقع؟!.. فهل كان الزوجان على النحو الوارد من الصفات في الأسطورة؟ أم أنه الإعلام الأمريكي قد سلك نفس نهجه في صناعة النجم، تلك الصناعة التي برع فيها بكل المقاييس؟!

ذلك إلى جانب إضافات ريجان ونانسي، فقد ألف كل منهما كتابًا عن علاقتهما يتفق وتفاصيل الأسطورة.. وفجأة تحولت قصة رونالد ونانسي ريجان من أسطورة يحلم بها كل الأمريكيين ومثال يحتذى في الإخلاص والحب والتعلق بالقيم الأخلاقية، إلى فضيحة أو مسلسل فضائح هز الولايات المتحدة وكشف الوجه الخفي والحياة الحقيقية غير المشرفة لرونالد ريجان وزوجته نانسي؛ فقد خرجت الكاتبة الأمريكية "كيتي كيلي" على الأمريكيين والعالم أجمع بمؤلف فضائحي يضم فضائح نانسي وريجان، ويتعرض لأدق التفاصيل في حياتهما، وقد سبق لها أن نشرت كتبًا عن حياة جاكلين كيندي/ أوناسيس، وإليزابيث تايلور، وفرانك سيناترا، أثارت ضجة كبرى، ولكن دون أن يقيم أحد دعوى بالتشهير ضدها، نظرًا لحرصها على التأكد من معلوماتها.. وهنا تكمن مشكلة نانسي التي وجدت فجأة القصة الحقيقية لحياتها تنشر على كل سطوح العالم لتحطم كل الأسطورة التي حرصت على بنائها مع زوجها حجرًا حجرًا ولم تجد أمامها سوى هذا التعليق: "لن أرد على ما جاء في هذا الكتاب لأنه جملة أكاذيب"!..

إن طريق نانسي إلى ريجان الزوج مرّ بعدة محطات، فالبرغم من أنها خطبت إلى "جيمس بلات هوايت" في مطلع شبابها، حيث تم ذلك بأن ابتاع والداه خاتمًا من الماس قدماه إلى نانسي نيابة عن ابنهما الذي كان يؤدي الخدمة العسكرية على متن حاملة طائرات في المحيط الهادي في ذلك الوقت، إلا أنها كانت تظهر بصورة مستمرة مع رجل واحد هو الدكتور "دانييل روج" مساعد أبيها في المستشفي الذي يعمل به.. وقد عمل د. دانييل بعد ذلك طبيبًا للبيت الأبيض، وهو ينفي الشائعات التي ترددت حول وجود علاقة عاطفية مع نانسي بقوله: "يبدو أن البعض يخلط بيني وبين كلارك جيبل"..

وفي العام التالي ١٩٤٧، عادت نانسي إلى نيويورك حيث دخلت في علاقة غرامية قصيرة مع "ألفريد دريك" الذي كان آنذاك نجم المسرحيات الموسيقية التي تعرض في برودواي في نيويورك.

وقد قام "سبنسر تراس" الذي كان صديقًا لوالدها بترتيب لقائين بينها وبين النجم السينمائي اللامع وملك هوليوود آنذاك "كلارك جيبل"، وبالفعل التقت نانسي بجيبل ثلاث مرات في نيويورك، كما تعرفت على "بنيامين ثاو" الذي كان يعمل لحساب شركة مترو جولدن ماير للإنتاج السينمائي. وقد فكر "ثاو" بالفعل في الزواج منها لكن ذلك لم يتحقق أبدًا.. وكان "بنيامين ثاو" هو الذي يختار فريق الممثلين والممثلات لشركة "مترو جولدن ماير" وله نفوذ كبير، وكان الجميع في الشركة يعلمون أنه يضاجع "نانسي"، لذلك كان المسئولون في الشركة يضطرون إلى إسناد بعض الأدوار إليها في الأفلام السينمائية التي تنتجها الشركة. والكثيرون في الشركة مازالوا يتذكرون "نانسي" خاصة محاولاتها لدعم صورتها ومكانتها عن طريق التنقل من مائدة إلى أخرى وقت تناول الغداء في مطعم ستوديو الشركة..

ويقول المنتج "ريتشارد جولدستون" أن نانسي لم تكن تجلس أبدًا مع من هم مثلها من الممثلين والممثلات غير المشهورين، كما لم تكن تبدي ودًا تجاه أي امرأة أخرى فقد كانت تبدي اهتمامًا كبيرًا بكبار المسئولين في الشركة وبكبار النجوم من الذكور، كانت طموحًا من الناحية الاجتماعية ١٠٠% كانت تقفز إلى مائدة "كلارك جيبل" وخرجت معه بالفعل مرتين، ثم أخذت تنتقل إلى مائدة "سبنسر تراس" وكانت تنتقل من مائدة الكتّاب إلى مائدة المخرجين وانتهاء بمائدة المديرين لقد كانت تختار أهدافها بعناية ولم يكن هناك شيء يحول بينها وبين هدفها..

كذلك انزلقت نانسي في علاقة غرامية مع "روبرت ووكر" وهو ممثل كان متعاقدًا مع الشركة نفسها "مترو جولدن ماير"، وبدأت تتواعد على لقائه في عام ١٩٤٩ بعد أن أمضى فترة في السجن بسبب قيادته السيارة وهو مخمور، وبعد أن عولج من إدمان الخمر، وأخذت نانسي تمضي معه فترة طويلة من الوقت في منزله، وعملت على التقرب إلى ابنيه من زوجته السابقة "جنيفر جونز".. ويقول المنتج "جونار" أنه قام بصحبة الممثل "بيتر لوفورد" بزيارة مفاجئة لمنزل "روبرت ووكر" وهناك ضبطا "نانسي" متلبسة وهي خارجة من الحمام عارية إلا من فوطة تحيط بجسدها، وقد شعرت نانسي بارتباك شديد وحرج بالغ عندما رآها "جونار" و"بيتر لوفورد"، وبعد شهور قليلة انهارت العلاقة بين نانسي وروبرت ووكر، فقد توفي "ووكر"! ولم تتخل نانسي مطلقًا عن طموحها الأعظم، وهو أن تدخل شريكة في زواج ناجح سعيد.

وذات مرة، كشفت نانسي مازحة لأحد زملائها في الشركة عن احتفاظها بقائمة بأسماء العزاب في هوليوود من بين المخرجين والمنتجين والممثلين والمحامين، وعلى رأس القائمة كان اسم "رونالد ريجان" وهو ممثل من الدرجة الثانية يعمل لحساب شركة "وارنر" ويرأس نقابة الممثلين السينمائيين، وقد استغرق الأمر ثلاث سنوات لكي تحقق "نانسي" هدفها وترتبط برونالد ريجان.. تعين على نانسي، لكي تحقق هدفها أن تناضل على نحو محموم مع شبح زوجة ريجان الأولى، الممثلة الزئبقية المزاج "جين وايمان"، كان ريجان كسير القلب بسبب الطلاق الذي وقع بينه وبين زوجته الأولى، والذي أصبح نهائيًا في الثامن عشر من يوليو عام ١٩٤٩

وقد أمضى ريجان العام التالي بأكمله وهو يحاول استعادة زوجته ثانية عن طريق إرسال باقات الزهور إليها وزيارة المواقع التي تصور فيها أفلامها، وصرح

للمراسلين أنه مازال يحبها وأنه ينتمي إليها وأنها تنتمي إليه وأنه يؤمن بأنهما سيظلان معًا حتى آخر العمر، لكن"جين وايمان" كانت تفكر بطريقة مختلفة..كانت تريد الخلاص من زواجها من ريجان بأي ثمن، فالشعور بالملل من الحياة معه كان لا نهاية له.. كانت قد ضاقت بأحاديث زوجها وثرثرته..

وصممت "نانسي ديفيز" على تطبيب جراح "رونالد ريجان"، وأخذت تصغي لمحاضراته وأحاديثه التي يلقيها عليها كما لو كانت تشعرها بالبهجة إلى أقصى حد، وكانت تشاهد أفلامه كما لو كانت مفتونة ومسحورة بتمثيله، وأخبرته أنها معجبة إلى حد كبير بدوره كرئيس لنقابة الممثلين السينمائيين، وأنها تتمنى أن تقوم بدور نشط وفعال في تلك المنظمة.. وانضمت نانسي بالفعل إلى مجلس إدارة النقابة، وهو ما كان يعني بالنسبة لها أن ترى رونالد ريجان بانتظام في ليلة الاثنين من كل أسبوع، حيث ينعقد مجلس إدارة النقابة، وبدون ذلك فإن محاولات نانسي للتودد إلى ريجان كان من الممكن أن تنهار. وفي تلك الفترة كان ريجان من جانبه يحاول نسيان زوجته الأولى؛ فقد بدأ في لقاء نساء أخريات، وأخذ في لقاء نانسي على مدى العامين التاليين، ومما أثار كدر نانسي أن هذه اللقاءات كثيرًا ما كانت تضم ممثلات مغمورات في هوليوود ومغنيات وموديلات.. وفي وجه هذه المنافسة صممت نانسي على التفوق على النساء الأخريات اللواتي يصادقن ريجان..كانت تعرف أن ريجان يخرج مع "إيلين هاوي" لمراقصتها، وأنه يتناول العشاء بالخارج مع "جوجي جوردون" أو يصادق "شيرلي بولارد"، لكنها استمرت على موقفها ولم يكن يقلقها سوى النساء اللواتي كان يصادقهن ريجان سرًا، واللاتي لا يرافقنه مطلقًا إلى الأندية الليلية.

وواصلت نانسي في تصميم، انتظامها في حضور اجتماعات مجلس إدارة نقابة الممثلين السينمائيين، وعمدت إلى الخروج بعد ذلك مع ريجان لتناول

العشاء بمفردهما وبحلول عام ١٩٥١ أصبحت مشاعرها العميقة تجاه رونالد ريجان واضحة لجميع من حولها، كانت نانسي آنذاك امرأة في الثلاثين من عمرها وغير متزوجة، وهكذا بدأت تقاسم ريجان الفراش، واعتاد أصدقاؤها أن يروها وهي تدخل إلى شقته وتخرج منها، ولأن ريجان لم يكن يسدل ستائر غرفة النوم، لذا كان من الممكن لمن يلاحظونها أن يروا الكثير مما يجري بينهما داخل الشقة وبالتحديد داخل غرفة النوم.. ومن المعروف أن العلاقة الغرامية قبل الزواج لا تثير الغضب في أمريكا اليوم، ولكن في تلك الفترة المبكرة، فإن مثل هذه العلاقة كانت تعد أمرًا فاضحًا ولا يتسم بالاحتشام..

وتقول "جين أليسون" أنها قالت لنانسي آنذاك أنه ينبغي عليها أن تتزوج رونالد ريجان لأنه شخص رائع، وأن نانسي أجابتها بأنها توافق على رأيها ولكنها تعتقد أن الفتاة المهذبة يتعين عليها أن تنتظر إلى أن يطلب منها صديقها ذلك؟!.. لكن رونالد ريجان الممثل الذي يبلغ الحادية والأربعين من العمر لم يطلب من نانسي ذلك مطلقًا، لأنه كان غارقًا في حب ممثلة تدعى "كرستين لارسون"، وبالفعل تقدم ريجان إلى كرستين لارسون، ليطلب الزواج منها في عام ١٩٥١، وهو يحمل إليها هدية عبارة عن ساعة يد محلاة بالماس، وقبلت كرستين لارسون الهدية الثمينة، لكنها رفضت عرض الزواج. وذات يوم أخبرت "نانسي" ريجان أنها حامل، فمضى بسيارته إلى منزل كرستين لارسون ليشكو لها همه، ويحكي لها عن الشرك الذي وقع فيه، وخرج معها إلى أحد الأندية الليلية ليخفف من الضيق الذي شعر به..

وفي الحادي والعشرين من فبراير ١٩٥٢ أصدر مكتب الدعاية التابع لشركة مترو جولدن ماير نشرة صحفية جاء فيها أن نانسي ديفيز ستتزوج من رونالد ريجان في الرابع من مارس من العام نفسه، وبعد أسبوع من صدور النشرة

تقدم ريجان ونانسي للحصول على تصريح بالزواج، وعلى الرغم من أنها كانت في الثلاثين من عمرها، إلا أنها كتبت في تصريح الزواج أنها في الثامنة والعشرين، وهي عملية خداع صغيرة قامت بها حتى مع رونالد ريجان نفسه، وبعد أربعة أيام تزوجها.

وبعد شهرين أعلن الزوجان أنهما ينتظران حادثًا سعيدًا في ديسمبر، ولكن الحقيقة أن المولود الأول وهي "باتريشيا آن ريجان" خرجت إلى النور في الحادي والعشرين من أكتوبر عام ١٩٥٢.. وقد حاول الزوجان بهذا الإعلان الكاذب أن يتجنبا القيل والقال نظرًا للقيم الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك الوقت في المجتمع الأمريكي، والتي كانت تعتبر أن مولودًا قبل تسعة شهور من الزواج هو أمر لا أخلاقي. ولم يكن ريجان إلى جانب زوجته في المستشفى خلال عملية الوضع، لأنه كان بصحبة كرستين لارسون، وأخبرها آنذاك أنه يشعر أن حياته قد دمرت، وعلى الرغم من قرار ريجان بالزواج من نانسي وارتباطه بها بالفعل، إلا أنه واصل لقاءاته مع كرستين لارسون في الخفاء.. لكن هذه العلاقة الغرامية انتهت بعد فترة قصيرة من مولد ابنته باتريشيا، وجاءت النهاية عندما دق "ريجان" جرس باب شقة كرستين لارسون ذات مساء، فرد عليه من الداخل ممثل فرنسي وخرج إليه وهو لا يضع على جسده سوى فوطة.. وشعر ريجان بغضب شديد إلى حد أنه اندفع خارجًا لا يلوي على شيء، ونتيجة لإحساسه بالذنب وتأنيب الضمير، بدأ ريجان في نهاية المطاف يخلص لزوجته ويكرس حياته لأسرته!.

وفي هوليوود معقل السينما الأمريكية، لم يكن هناك من يزدري "نانسي" و"ريجان" أكثر من المطرب الشهير "فرانك سيناترا"، ويقول الممثل "براد ديكستر": "إن سيناترا لم يكن بمقدوره أن يتحمل رونالد ريجان.. كان يضيق

بوجوده بشكل غير عادي".. وقد أكد الممثل "بيتر لوفورد" قبيل وفاته، وهو أيضًا زوج لشقيقة الرئيس الأمريكي الراحل "جون كيندي" أن فرانك سيناترا كان يحتقر رونالد ريجان احتقارًا شديدًا مثله في ذلك مثل "ريتشارد نيكسون" الرئيس الأمريكي الأسبق، وأوضح بيتر لوفورد أن فرانك سيناترا يقول أنه لا يستطيع أن يتحمل الإنصات إلى سخافات ريجان اليمينية، ولم يكن يتحمل نانسي ريجان كذلك وكثيرًا ما وصفها بأنها المغفلة ممتلئة الكاحلين، لكن فرانك سيناترا لم يستقر على رأيه هذا طويلاً، بل اتخذ موقفًا مناقضًا عندما رشح رونالد ريجان نفسه للحصول على منصب حاكم كاليفورنيا لمدة ثانية. كان سيناترا يشع باستياء وضيق شديد تجاه "جيمس أنروه" المرشح الديمقراطي المنافس لريجان، لأنه رفض تأييد صديق سيناترا الحميم "هيوبرت همفري" عندما رشح نفسه لانتخابات الرئاسة الأمريكية في عام ١٩٦٨ وفجأة أيضًا لم يعد رونالد ريجان يصف فرانك سيناترا بأنه ممل وغبي، وشعر الجميع بالذهول الذي يصل إلى حد الصدمة عندما أعلن فرانك سيناترا عن تأييده لرونالد ريجان الجمهوري المحافظ.. وذات ليلة بإحدى قاعات فندق هيلتون بمدينة سان فرانسيسكو بهر سيناترا ٢٥٠٠ من مؤيدي ريجان، وجلسوا أمامه في مقاعدهم كما لو كانوا منومين مغناطيسيًا من جراء سحر صوته والعرض المبهر الذي قدمه..

وفي نهاية الاستعراض الغنائي قفز رونالد ريجان إلى خشبة المسرح للإعراب عن شكره للمطرب الشهير وأخذت نانسي تصفق كما لو كانت فتاة ساذجة سحرها سيناترا بأدائه، وبدا واضحًا أنها متيمة ومفتونة بسيناترا، وحتى أعضاء هيئة العاملين مع زوجها وهو حاكم كاليفورنيا، لاحظوا أنها تنتهز أية فرصة أو مناسبة لتكون في حضرة فرانك سيناترا وبرفقته، وأن وجهها يتورد حمرة كلما دخل سيناترا الغرفة التي تتواجد هي فيها؟! واستمرت عملية الغزل

بين سيناترا ونانسي عدة شهور، ولكن أحدًا لم يأخذها مأخذ الجد، حتى طار سيناترا إلى شيكاغو وتبعته نانسي إلى هناك بعد بضعة أيام، واعترف كبير معاونيها آنذاك أنه قام بإجراء ترتيبات خاصة لنانسي تحت زعم زيارتها لأبويها، لتغطية وجودها مع فرانك سيناترا في جناحه بفندق "امباسادور إيست"..

ولم تكن هذه العلاقة الغرامية التي دامت سنوات غريبة على سيناترا الذي لم يكن متزوجًا في ذلك الوقت، لكن علاقة الصداقة بين سيناترا وبين نانسي ورونالد ريجان أثارت بعض المشاكل.. من تلك المشكلات أنه بعد أسبوعين من الاحتفال بتنصيب ريجان رئيسًا للولايات المتحدة، كان سيناترا إلى يمين نانسي ريجان في الحفل الباذخ الذي أقامته بمناسبة عيد الميلاد السبعين للرئيس الأمريكي.. ويتذكر "مايكل إيفانز" كبير مصوري البيت الأبيض أنه وفريق المصورين كانوا موجودين طوال تلك الليلة لالتقاط الصور التذكارية.. ويضيف أنه كان من المعتاد ألا يتم السماح بنشر أية صورة إلا بعد أن توافق عليها السيدة الأولى، وإذا لم توافق نانسي على أية صورة يتم إتلافها، ولكن تلك الليلة كانت استثناء من هذه القاعدة؛ فنتيجة امتداد الحفل إلى وقت متأخر من الليل وعدم استطاعتي إيقاظ نانسي ريجان في وقت مبكر من صباح اليوم التالي جعلني أختار بنفسي الصور التي تنشر دون انتظار موافقة سيدة أمريكا الأولى عليها.. كانت الصورة التي وافق كبير مصوري البيت الأبيض "مايكل إيفانز" على نشرها في الصحف، معبرة للغاية وتكشف الكثير حيث بدت نانسي وهي ترقص مع سيناترا وقد أحاط ظهرها بساعده وجسدها ملتصق بجسده، بينما بدا الرئيس ريجان يشعر بالحيرة والارتباك وهو يضع يده على ساعد زوجته لتنهي الرقصة..

ويقول "مايكل إيفانز" كبير مصوري البيت الأبيض، أن الصورة نشرت في جميع صحف العالم تقريبًا، ولكن لم يكن السبب في ذلك أنها لقطة جيدة ومعبرة فقط؛ ففي ذلك الوقت كان سيناترا يواجه هيئة المحلفين الكبرى، كما كان من المقرر أيضًا أن يمثل أمام لجنة القمار في لوس أنجلوس في محاولة لاستعادة التصريح الذي فقده قبل ذلك بأعوام بسبب تعاونه وصلاته بعصابات الجريمة المنظمة (المافيا). وعندما شاهد "مايكل ديفز" أحد معاوني الرئيس ريجان وصديق نانسي الحميم، الصورة صباح اليوم التالي انفجر غاضبًا، واقتحم مكتب "مايكل إيفانز" رئيس مصوري البيت الأبيض، وهو يزمجر في غضب قائلاً: "أنت أيها المغفل يا ابن الزانية.. أيها الأحمق الغبي الملعون.. لماذا سمحت بنشر صورة للسيدة الأولى مع فرانك سيناترا من دون الناس جميعًا؟".. وفي واقع الأمر، أثارت علاقة الصداقة الحميمة بين المغني الشهير وبين سيدة أمريكا الأولى قلق الكثيرين القريبين من الرئيس ريجان، واستمر ذلك القلق بعض الوقت.. إن أكثر ما كان يثير القلق هو تناول فرانك سيناترا الغداء كثيرًا مع نانسي في مقر إقامته الخاص بالبيت الأبيض، وعلى الرغم من أن اسم فرانك سيناترا لم يرد علنًا في جدول مقابلات نانسي، إلا أنه كان يأتي للقائها كثيرًا.. وكان يدخل من الباب الخلفي، وقد أثار هذا قلقي خشية أن تكتشف الصحافة الأمر.. وقد كان من المحظور على أحد أن يدخل إلى مقر السكن الخاص للرئيس وزوجته آنذاك فقد كان بإمكان المرء أن يحس بأن الجو مشحون خلال وجود فرانك سيناترا معها كانت موسيقى خافتة، وتدير أسطوانات أغانيه التي تستمع إليها في غرفة نومها في الأيام العادية الأخرى صباحًا ومساءً.. كانت نانسي تتناول طعام الغداء مع سيناترا في غرفة مشمسة وتعد له قائمة طعام حافلة، وتزدحم المائدة بالزهور.

لكم الخبز والسيرك.. وأضيف عليها النبيذ؟!

عن : بركوبيوس وكتابه (التاريخ السري – حياة جستنيان وتيودورا)

من أعجب القصص التاريخية عن الحكم والحكام، تلك التي فصلت كيف استقدمت قلوب وغرائز الملوك والحكام "الرقصات والداعرات من قاع المجتمع ودروبه الخلفية ليضعوهن في سدة الحكم" ويسلمون إرادتهم لهن، ومن ثم مصائر شعوبهم وشئون دولهم!.. وهذه إحداها: تيودورا ومعنى الاسم "هدية الرب"، اسم على غير مسمى فهي نقمة الله ولعنته، فليس أخطر من امرأة ولدت في الوحل، وقررت أن تعاقب الناس على ذلك.

نشأت (تيودورا) نشأة حقيرة كانت مجرد خادمة في سيرك تقوم بأعمال النظافة، وعندما بلغت العاشرة من عمرها صارت ترافق شقيقتها الكبرى إلى الرقص في السيرك، تنطلق لتجمع قطع الملابس الصغيرة التي تناثرت وراء أختيها، فقد كانتا ترقصان وتخلعان ليضحك الناس ويصفقوا؟ فما زالت بعد صغيرة لا تملك المؤهلات الجسدية التي تؤهلها لمزاولة حرفة شقيقتيها، ولما بلغت تيودورا الثانية عشرة من عمرها التف عودها وبرزت مظاهر فتنة مبكرة في جسدها فاعتبرت نفسها قد أهلت لمزاولة الحرفة! فرقصت، وأصبحت أشهر راقصة في السادسة عشرة تتعرى من الأمام ومن الخلف، ثم اهتدت لطريقة مثيرة في الرقص أشركت معها أختيها وكأنها تنتقم منهما! إنها تتعرى تماما على المسرح وتأتي أختها الكبرى فتغطي جسمها بحبات القمح، وتجيء أختها الثانية فتطلق عليها الإوز يجمع حبات القمح بمنقاره والناس في حالة جنون يلقون عليها الهدايا والفلوس..

واتجهت تيودورا للدعارة فهى تعرفها بالرجال الاغنياء لا تكف عن استقبال كل من يدفع المقابل، عطلت كل مشاعرها الإنسانية فالجنس محض صنعة في جسدها وملامحها وأدواتها، والمهم دائما أن تقبض مقابل إعمال أدواتها.. العبرة بمن يدفع أكثر، ولا مجال لتصنيف الزبائن نبلاء أو شغيلة.. المزاد قائم على جسدها حتى وهي في أحضان زبون، فإن جاء من يدفع أكثر لفظت من هو في أحضانها في قحة ورحبت بالآخر بكل فجور..

ومن الطبيعي في امرأة على شاكلة تيودورا أن تبحث دائما لدى زبائنها، علاوة على المقابل المادي، عن أي فرصة يمكن أن تتحقق من خلالها استفادة، وكان أن تعرفت على بعض المسئولين عن مسارح المدينة فاستطعت عن طريقهم الصعود إلى خشبة المسرح، فنجحت نجاحا كبير، وقد وجد فيها شباب الطبقة الأرستقراطية لونا جميلاً شهيا للتفريج عن أنفسهم فكانت لا تخلو حفلة أو مأدبة لهم من تيودورا وقد ذكر المؤرخ (بروكوبيوس) أنها في إحدى هذه المآدب سامرت على انفراد عشرة ضيوف وثلاثين عبدا.. وحين أوشك الفجر على الشروق كان الجميع مرهقين ومنهكي القوى عدا تيودورا التي كانت بكامل حيويتها ونشاطها!

وفي مرحلة تالية تعرفت تيودورا على أحد النبلاء ويدعى (هيكيبولس) وكان قد عين حاكما لإقليم بني غازي، فأقام حفلا كبيرا ابتهاجا بمنصبه الجديد، واستدعى تيودورا فرقصت وأبدعت حتى الصباح وقصدت أن تلفت نظر الحاكم إليها حتى أنه كان في شدة الغبطة والسرور إلى الحد الذي جعله يطلب منها مصاحبته إلى قصره، فما كان من تيودورا إلا أن سألته بخبث: (بصفتي زوجة لك؟)

فأجابها الحاكم قائلا: (القانون يمنع زواج النبيل من راقصة كما تعلمين).. فأجابته بابتسامة ماكرة وبلهجة خبيثة: (إذا سأكون خليلة لك؟) ثم قالت وهى تبتسم وتتلوى: (حسنا!)

وكانت تلك خطوة عظيمة بالنسبة لراقصة، فقد انتقلت رأسا إلى قصر أحد الحكام، إلا أن أفريقيا في هذا العصر كانت قارة مقفرة موحشة فلم تطب ليبيا لتيودورا وأحست بالملل زاد من شعورها هذا أن الحاكم وضعها في جناح الحريم بالقصر فلم يكن لها من أنيس سوى الجارية التي تعمل على خدمتها؛ فقد كان (هيكيبولس) في مشغول بتصريف أمور الولاية، فلم يكن يتصل بها كثيرا، فدفعها ذلك إلى رشوة جاريتها كي تساعدها على إدخال أحد الشباب إلى مخدعها حين يكون الحاكم متغيبا عنها.

وحدث ذات ليلة أن توجه (هيكيبولس) فجأة إلى مخدعها على غير انتظار ففوجئ بخيانتها له، فطردها إلى الصحراء فهامت على وجهها حتى وصلب الى أبواب مدينة الإسكندرية وهناك تسكعت كبائعة هوى حقيرة حتى قبض عليها ذات يوم في مشاجرة بالطريق العام، فكان عقابها أن وصم ظهرها بقضيب من الحديد الساخن ظل أثره على جسدها مدى حياتها.. وعادت تتسكع حتى عثرت على أحد التجار جاء إلى الإسكندرية في مهمة عابرة، واتخذته عشيقا لها، ولكن لم يمض وقت طويل حتى أنهى الرجل مهمته بالإسكندرية فغادرها بدون سابق إنذار ودون أن يلقى عليها حتى كلمة وداع، بل أنه كان قد ترك في أحشائها جنينا..

وضاقت الحياة حول تيودورا، فلم تجد لها مخرجا سوى الدير ففكرت أن تتخذ منه مجرد مكان يأويها حتى وضعت مولودها، وعندئذ عاودها الحنين

والشوق إلى حياة الفجور فرحلت تاركة الدير إلى أنطاكية باحثة عن والد طفلها، وهناك علمت أنه فارق الحياة فوقفت تنظر إلى طفلها وتفكر في شيء ما، ولكن تفكيرها لم يطل، فلقد تركت الطفل أمام دار جدته حتى لا يعوقها شيء عن ممارسة حرفتها!

وعادت تيودورا إلى القسطنطينية موطنها الأصلي، وهناك فتح لها الحظ أبوابه على مصراعيها؛ فقد التقت هناك بصديقة قديمة تدعى (ماسيدونيا) فأعطتها هذه خطاب توصية إلى صديقها الإمبراطور (جوستيان) ليعيدها إلى العمل بالسيرك وكانت تلك هي البداية.. اختارت تيودورا طريقا مختلفا للوصول إلى الإمبراطور بخطاب التوصية؛ فقد تسلقت أسوار القصر الإمبراطوري حتى وصلت إلى نافذة بجوار غرفة الإمبراطور، فشقت ثوبها ثم دلفت إلى الداخل من خلال النافذة، وكان الإمبراطور حينئذ منهمكا بين أوراق الدولة يعمل على تصريف شؤنها فلم يلق بالا لهذه المرأة وكاد أن يدق الجرس ليأمر الحراس بإخراجها لولا أن استوقفه شيء ما فيها؛ فقد كانت ساقاها الجميلتان تبرزان من خلال ثوبها الممشوق، وملامح وجهها وجرأتها قد راقت له، فنظر إليها مشدوها وسألها:«ما هذا؟..ماذا تريدين يا امرأة؟» فمدت له تيودورا يدها بالخطاب وهى تقول له بلهجة ذات مغزى: "أريد صداقتك"

وحينما فرغ الإمبراطور من قراءة الخطاب نظر إليها قائلاً (إذن لن تعودي) وتحققت بذلك أمنية تيودورا فعاشت مع الإمبراطور تعمل على متعته وإرضائه إلى أقصى الحدود حتى استطاعت أن تصل إلى غاية مأربها، وذلك عندما قرر الإمبراطور أن يتخذ منها زوجة له؛ فقد وجد في مظهرها ما يجعلها تزين له عرش الإمبراطورية فقد كانت تيودورا حريصة كل الحرص على أن تبدو أمامه في أبهى صورة وأجمل حلية كما أحاطت نفسها بشيء من العظمة

والكبرياء زادها رونقاً وبهاء فراق كل ذلك للإمبراطور فهو يريد امرأة جميلة قوية تشاركه العرش وكانت تيودورا تجمع بين هذين الأمرين!

كان وقع اختيار الإمبراطور لتيودورا زوجة له سيئاً على الشعب في القسطنطينية؛ فالشعب يعرفها حق المعرفة، يعرف أنها بدأت حياتها خادمة سيرك ثم غانية، فكبر عليه أن تصبح الإمبراطورة على عرش دولتهم ومن ثم خرجت جماهير المتظاهرين ساخطة تصيح في غضب وهياج: (تسقط الزانية.. تسقط الشيطانة)..

إلا أن كل هذا لم يثن الإمبراطور عن عزمه على الاقتران "بتيودورا" التي استحوذت عليه وملكته فقد اتجهت لكل من يعرف الإمبراطور وعرفت أدق أسراره، وكانت تسأل عن أشياء كثيرة، حتى ظن أصدقاء الإمبراطور أنهاجاسوسة، وضحكت وقالت لهم (إني أعمل لحساب امرأة من الوحل أعمل لحسابي)

وما هو إلا وقت قصير حتى كانت تيودورا تجلس على العرش كزوجة للإمبراطور"جوستنيان" فلم يجد الشعب كالعادة سوى الخضوع والاستسلام لرغبة وقرار الإمبراطور. وفي بادئ زواجها عرفت تيودورا باسم (زوجة الإمبراطور) إلا أنه لم يمر وقت طويل حتى عرف هو باسم (زوج الإمبراطورة)؟! إذ طغت شخصية تيودورا القوية والخبيثة على شخصية جوستنيان فكانت وكأنها تجلس على العرش بمفردها فقد أرادت أن تنسى أيام هوانها واسترخاصها، وأن تكمل نواقصها فأطلقت لغريزة الشر العنان، فلم يشهد تاريخ الإمبراطورية البيزنطية امرأة ولو حتى من سلالة الملوك أشد غطرسة وكبرياء من تيودورا خادمة السيرك الداعرة فقد كان يلذ لها أن تذل وتخضع كل من حولها، وخاصة

هؤلاء النبلاء الذين كانت تتركهم يجلسون ساعات طويلة في انتظار مقابلاتها، ثم تتكرم وتتواضع فتأذن لهم بالدخول بعد طول استعطاف، وهي جالسة فوق كرسي العرش واضعة قدم فوق قدم، فإذا ما دخلوا ركعوا أمامها وانحنوا على قدميها يقبلونهما، فتنظر لهم نظرة ازدراء واحتقار وإذا ما احتدت على أحدهم رفسته بقدمها وأمرت بطرده..

كما لم تنس تيودورا أن تبث العيون في أرجاء البلاط وأنحاء البلاد لتقف على كل التفاصيل الدقيقة لكل ما يدور بين الناس من أحاديث تكون الإمبراطورة طرفا فيها، والويل كل الويل لمن تصدر عنه كلمة طائشة تمس الإمبراطورة، ولو كانت هذه الكلمة صدرت عفواً ودون قصد، فإن ذلك سيكلف المرء رأسه فلا يشفع له تقدم سنه أو كبر مقامه.. وحدث أن وحد أعداء الأمبرطور (الخضر والزرق) صفوفهما ضد جستنيان وأخذ أنصارهما يعيثون في القسطنطينية فسادا، بل وتمكنوا من التغلب على بعض القوات الحكومية، وقد تحرج مركز جستنيان لدرجة أنه فكر في الفرار من القسطنطينية ولكن عارضته الإمبراطوره ثيودورا وقالت:

"في مثل هذه الظروف التي نواجها ليس لدينا الوقت لمناقشة هل على المرأة أن تسكت إذا ما تحدث الرجال أم لا".. ورأت أن هذا الوقت ليس مناسبا للفرار، حتى لو في ذلك الأمان كله فليس هناك شيء مضمون، وكلنا يعلم أن لكل مولود يوم سيودع فيه الحياة، لكن ليس من اللائق على من أصبح إمبراطورا أن يسمى بعد ذلك هاربا.. وإني لن أتخلى أبدا عن العباءة الإمبراطورية، والآن إن شئت أن تنجو بنفسك فليس ذلك صعبا ولا شيء يمنعك فالمال وفير والبحر وسيع والسفن كثيره على الشاطئ أما أنا فإني أتمسك بالقول القديم (إن العباءة الإمبراطورية خير إلاك.)

قالت تيودورا هذه الكلمات التي كان مفعولها كالسحر على الحاضرين وخاصة جستنيان، وبدأ يخطط للقضاء على الثورة، أمر جستنيان قائده نارسيس باستمالة رؤساء الأحزاب بالأموال والهدايا وخاصه زعماء الزرق وفعلا نجح في ذلك وانسحب الزرق من الهجوم.

وعلمت تيودورا أنه لم يبق من الاعداء إلا (فيتاليان) يدبر للاعتداء على إمبراطوريتها فأوغرت لجوستنيان أن يوجه له الدعوة لزيارته مع حاشيته في القسطنطينية بحجة التفاوض بشأن معاهدة تصالح بينهما، فأرسل جوستنيان الدعوة، ولم يرتاب (فيتاليان) في الأمر، فقبلها ووصل على رأس حاشيته إلى القسطنطينية فاستقبلتهم تيودورا وجوستنيان بأشد ترحاب وبالغا في إكرام الحاكم وحاشيته، فأقاما لهم حفلات الرقص الشرقي وحفلات السباق ومصارعة الوحوش ثم احتفلا تكريما لهم بإلقاء مائة سجين حي في ساحة الملعب الكبير كطعام لخمسين أسداً جائعاً!

وفي الليلة الأخيرة للزيارة أقاما لهم حفلة وداع ساهرة لم تشهد الإمبراطورية مثيلاً لها من قبل؛ فقد رصت فيها ثلاثمائة مائدة مرصعة بالعاج والأحجار الكريمة وسط قاعة من أشهر القاعات التي تسمى (قاعة المضاجع التسعة عشر) ذات السقف الذهبي والستائر المزركشة بخيوط الذهب، وبعد أن تلذذ الضيوف بأشهى ألوان الطعام وأفخر أنواع الشراب، واستمتعوا بأروع الرقصات لأجمل الفاتنات قام صاحبا الجلالة الإمبراطورية واستأذنا من الضيوف في الانصراف بحجة أن يتركا لهم الحرية في المتعة واللهو حتى الصباح..

وحين تسللت أول خيوط الفجر من النوافذ كان يسود القاعة سكون وصمت رهبين مع أبشع منظر شهدته هذه القاعة الجميلة كان النبيذ والخمر

المسكوب يختلط بدماء الضيوف القتلى على الأرض فقد أصدرت تيودورا أوامرها لكل راقصة بأن تذبح ضيفها بعد أن تسلبه المضاجعة قواه وتفقده وعيه بالخمر!. وعرف هذا اليوم باسم "ثورة نيكا سنة ٥٣٢م" وظلت تيودورا هكذا امرأة متحجرة القلب يحتقرها الشعب ويمقتها نتيجة تصرفاتها الطائشة وقسوتها ومضاعفاتها الضرائب ففي عهدها انتشرت البطالة وزاد الغلاء وتفشى المرض وزاد الانحلال والفجور.. وباتت تيودرا امرأة شرسة شريرة إلى أقصى الحدود حتى أن الشعب بدأ في التذمر فتجمعت أفواج الجماهير ذات صباح أمام القصر الملكي هاتفة بسقوط الإمبراطورة، وارتفعت صيحاتهم الغاضبة وهم يقذفون بالوحل تمثالها الرابض في حديقة القصر مرددين (تسقط العاهرة.. تسقط السفاحة) فاشتد غضب الإمبراطور جوستنيان فأصدر أوامره بإعدام سبعة من زعماء هذه المظاهرة، ولكن الشعب أحس أن تيودورا وراء هذا الأمر فهاج أكثر من ذي قبل وتوجهت الجماهير إلى القصر وهم مسلحين بالفؤوس والحجارة والعصى وهتفوا مرة أخرى (تسقط العاهرة.. تسقط السفاحة) ثم أطاحوا بمخازن القصر وسكبوا براميل النبيذ وهم يصرخون (أين القتلة)؟..

كانت وقتها تيودورا راقدة في مخدعها تعاني من مرض غريب قد أصابها، وكانت قد تملكتها غيبوبة لم يوقظها منها سوى أصوات الجماهير الغاضبة ودقاتهم على أبواب الجناح الإمبراطوري، فأحست بأن نهايتها قد اقتربت.. نهضت مستدعية وصيفتها التي ألبستها ثوبها الملكي وأزاحت لها ستار النافذة فاقتربت تيودورا بخطى ثابتة لتواجه الجماهير التي أشعلت النار في كل مكان، فبدت المدينة وكأنها جحيم أحمر؛ فما أن ظهرت تيودورا من خلال النافذة حتى أصابت الدهشة أفراد الشعب وزعماء المظاهرة فوقفوا ذاهلين لجرأتها وتماسك أعصابها، فانتشر بينهم الهمس، فرفعت تيودورا يدها تسكت الجماهير ونظرت

لهم بعين رحيمة وسألتهم:(ما هي مطالبكم؟) فصاحت الجماهير في صوت واحد: (الخبز.. لا شيء سوى الخبز).. أومأت تيودورا برأسها قائلة :سوف تنالون الخبز، وسوف تقام لكم أيضاً حفلة من أروع حفلات السيرك التي شهدتها البلاد..

وانخدع الشعب الطيب الساذج واستجاب لوعدها الخبيث، وتعالت الصيحات (تحيا الإمبراطورة) وقالت: لكم الخبز والسيرك! وبدأت الحفلة، فبدأت الاستعراضات ثم المهرجانات والرقص والألعاب، وبأن الحفل سيطول ويمتد من الصباح حتى ما بعد الظهيرة، فأمرت تيودورا بتوزيع غذاء فاخر على جميع الحاضرين مزود بالخمر والمشهيات على نفقة تيودورا. وقبل أن ينتهي الحفل غادر ثنائي الإمبراطورية المكان. وحين انتهى البرنامج الأخير من الحفل ظهر قائد جيوش الإمبراطورية في ساحة السيرك تصحبه فرقة من الجنود المسلحين، فحيتهم الجماهير بالهتافات المدوية ظناً منهم أنها إحدى برامج الاحتفال، إلا أنها لم تكن سوى مؤامرة حقيرة دبرتها تيودورا فقد صاح قائد الحرس في جنوده (استعدوا.. اضرب).

وتطايرت إلى قلوب الجماهير سيول من السهام القاتلة، وتعالت صيحات الفزع والرعب وتدافعت الجماهير نحو الأبواب قاصدين النجاة من هذه المذبحة الرهيبة لكنهم فوجئوا بفرق أخرى من الجنود تنتظرهم على الأبواب، فلم يجدوا مخرجاً أو منقذاً للنجاة.. لقد حوصروا حصاراً محكماً لامفر منه، واستمرت المجزرة حتى الغروب فامتلأت أرض الملعب الكبير بعديد من برك الدم الحمراء القانية، وقد راح ضحية هذه المجزرة الآدمية ثلاثون ألف رجل.. وعشرة آلاف امرأة

وأخبر الحرس تيودورا بنجاح المغامرة؛ ابتسمت ابتسامة خبيثة وهى تهز رأسها، ولم يمض وقت طويل على هذه الحادثة حتى اقتصت السماء من تيودورا؛ فقد ظل المرض ينخر في جسدها ويفتت في عظامها وهي تحاول عبثاً بكل وسائل العلاج أن تنجو بلا جدوى.. وظلت امرأة مريضة مشوهة حتى لفظت أنفاسها الأخيرة تاركة وصية ساذجة تقول:

"اغسلوا جسدي بحمام من زيت الورد وعطروه بأفواح العطور!"

وهو ما دفع زوجها الإمبراطور لبناء دير عرف فيما بعد "بدير سانت كاترين" تخليدا لذكراها عام ٥٦٠م كما هو مذكور في البيان التأسيسى للدير تقول ولذلك قصة: (إن القديسة كاترين ولدت بالإسكندرية ١٩٤م وكانت تسمى "زوروسيا" وكانت مثقفة وجميلة رغبها الكل لجمالها ورفضت الجميع وآمنت بالمسيحية أثناء اضطهاد الإمبراطور مكسيمينوس، واتهمته علنا بقيامه بالتعبد للأصنام، أما هو فقد أمر ٥٠ خطيبا لكي يقنعوها، ولكن على العكس ما كان ذلك فقد اعتنق هؤلاء المسيحية. وبعد مرور حوالى ثلاثة قرون من وفاة كاترينا ظهرت رفاتها المقدسة قي حلم أحد رهبان الدير الذي كان قد أقامه جستنيان تخليدا لزوجته تيودورا التي اعتبرها قديسة منذ ثورة نيكا عليه سنة ٥٣٢م فنقلت رفات كاترين ووضعت قي هيكل كنيسة الدير.

كلوا البسكويت.. إذا لم تجدوا الخبز؟!

عن: إيفلين فار، وكتابها (أحبك بجنون – مارى أنطوانيت: الرسائل السرية)

أصبحت ماري أنطوانيت ملكة إلى جانب زوجها ملك فرنسا لويس السادس عشر، ولم تكن جاوزت التسعة عشر عامًا من عمرها، شابة جميلة رقيقة، عينان زرقاوان تشعان بالحياة في وجه أبيض ينبض بالحيوية وجسد بض لين، وشعر أشقر وفير، إضافة إلى أنوثة جد طاغية، وقد قال فيها الشاعر «هوراس والبول» الإنجليزي رغم برودته وشيخوخته (إن ماري أنطوانيت حينما تقف فهي تمثال الجمال، وحين تمشي فهي الأناقة مجسمة)

وقد سجل التاريخ مقارنة بين ماري أنطوانيت ومدام دي باري عشيقة ملك فرنسا لويس الخامس عشر، ذلك لأن ماري أنطوانيت لم تكن بأي حال أفضل من مدام دي باري فيما يتعلق بالسلوك والعلاقات، فإن كانت مدام دي باري زوجة لرجل غاب عن الحياة غيبة غامضة واختارت أن تكون عشيقة ملك فرنسا – لويس الخامس عشر – فإن ماري أنطوانيت كانت زوجة لرجل حاضر هو – لويس السادس عشر – ومع ذلك عشقت في حضوره.

ولعل أبرز حكايات عشقها كانت تلك التي ارتبطت فيها مع الكونت «اكسيل دوفيرزن» بعلاقة خاصة جدًا حميمة وممتدة، وقد بدأت هذه العلاقة أثناء إحدى الحفلات التنكرية، إذ أُقيم في الأوبرا مساء يوم الأحد الموافق ٣ كانون الثاني عام ١٧٧٤ واحد من تلك الاحتفالات التنكرية التي يتزاحم فيها المدعوون، وفي تلك السهرة حضر إلى قاعة الاحتفال فريق من عدة أشخاص

يحيطون بامرأة حسنة المشية، تضع قناعًا من الحرير وتلتف بتلك العباءة الفضفاضة الحريرية التي تُسمى «الدومينو».

وأثناء الحفل اقتربت هذه السيدة ذات القناع من شاب في التاسعة عشرة من عمره، وهو سويدي الأصل، ويُدعى «ركسيل دو فيرزن». ونشأ بين السيدة والشاب حوار طويل احتوى على الكثير من العبارات الغامضة والماكرة، وبعد فترة تركت السيدة الشاب كي تتجاذب أطراف الحديث مع بعض الحاضرين.. وقد كشف هذا الحديث على الفور عن شخصية السيدة، إنها ولية العرش «ماري أنطوانيت» وكان هذا اللقاء بمثابة الشرارة التي أطلقت على قصة العشق التي اتخذت فيما بعد أبعادًا أسطورية، فلم يكن هذا اللقاء هو اللقاء الأخير، وإنما أصبحت هناك دعوات كثيرة توجه إلى فيرزن لحضور الحفلات الراقصة المُقامة في قصر فرساي، وهكذا أصبح «دو فيرزن» من المقربين إلى الملكة ماري أنطوانيت – التي انتقلت من موقعها كأميرة مع زوجها ولي العرش إلى ملكة بعد وفاة الملك والد زوجها في ذات الفترة التي بدأ فيها غرامها بـ «فيرزن» – فهو من بين الذين يُشاركونها اللعب، والذين تدعوهم إلى سهراتها الخاصة، ولكن لم تلبث الإشاعات أن انتشرت، لأن شغف الملكة أصبح ظاهرًا، ولم يترد كثيرون في التأكيد على أنها عشيقة السويدي. وحرص فيرزن على القضاء على حملة النميمة التي أُثيرت حوله وحول الملكة، لذلك عمد إلى الإبحار إلى أمريكا ضمن حملة عسكرية يقودها الكونت «دور رو شامبو».. وفعلًا رحل فيرزن إلى نيويورك كمعاون لرو شامبو، وبعدما عادت الحملة، فكر فيرزن في الاستقرار بفرنسا، ولكي ينال موافقة أبيه الذي عارض الفكرة، أخذ يلوح له بفكرة الزواج من «جيرمين» الفائقة الثراء، أو من الآنسة «ليبل» ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث.

أما الملكة ماري أنطوانيت فقد وضعت عام ١٧٨١ وأثناء سفر فيرزن إلى أمريكا مولودها الأول والثاني وسط ابتهاج عام، ولم تلتق الملكة بفارسها ثانية إلا في شهر مايو ١٧٨٣ حيث كانت ماري أنطوانيت جالسة في الصالون الذهبي تعزف على القيثارة فبلغها أن الكونت دو فيرزن جاء، عندئذ لم تتمكن من إخفاء انفعالها أمام الحضور إلا بمشقة بالغة، ولكن لقد تغير فيرزن كثيرًا، إنه الآن رجل مكتمل الرجولة، فقد كبر عشر سنين إلا أنه قد ازداد سحرًا وإغراء، أما الملكة فقد أصبحت في أوج جمالها بعد أن زادتها الأمومة تألقًا، ولقد كتبت رسامتها الخاصة مدام «فيجين لوبرين» تقول: كانت ماري أنطوانيت طويلة مشرقة رائعة التناسق، مُمتلئة دون ميل نحو البدانة، وكانت ذات ذراعين بديعين، وكفين صغيرتين كاملي التناسق وقدمين جميلتين، وكانت صاحبة أجمل مشية بين نساء فرنسا، فهي تسير رافعة الرأس بشموخ وجلال فتجعلك تميزها من بين جميع سيدات البلاط والحاشية، أما الذي يلفت النظر في محياها فهو ذلك التألق المدهش في لون بشرتها..

وكان لا بُد من الفراق بين الملكة والكونت الشاب، فقد عجز فيرزن عن إقناع والده بما يحتاج إليه من مال، فذهب إلى مليكه «غوستاف الثالث» الذي كان راضيًا عنه، فمنحه رتبة عسكرية ثم اصطحبه معه إلى إيطاليا.. وكان الفراق قاسيًا، فما يربط بين الملكة وفيرزن هو الغرام الحقيقي. وعاد فيرزن إلى باريس ضمن أعضاء الوفد الملكي المُرافق لغوستاف الثالث في زيارته الرسمية لفرنسا، وأقامت الملكة على شرفه احتفالًا رائعًا في قصر تريانون، وكان من شأن ذلك الاحتفال أن أسبغ طابعًا رسميًا على حبهما. عاد فيرزن أخيرًا مع نهاية عام ١٧٨٨ كان الغليان قد بدأ في جوانب الحياة الفرنسية، وكانت الملكة في تلك الآونة في أشد الحاجة إليه أكثر من أي وقت مضى.

وكان الخطر الأكبر على ماري أنطوانيت قد بدأ عندما نشأت بالبلاد طبقة من الشعب ذات تيارات فكرية جديدة استمدت أفكارها من مؤلفات "جان جاك روسو" فتبصروا بحقوقهم وغاروا على مصلحة بلادهم ووطنهم بعد أن أصبحت الحالة الاقتصادية في فرنسا تزداد سوءًا بسبب الإسراف الزائد في البلاط الملكي والمحسوبيات القذرة إلى خلقتها الملكة ماري أنطوانيت وزاد السخط أكثر وأكثر بعد أن ارتفعت الديون وانهار الجيش وضاعت المستعمرات، وغير ذلك من مظاهر الفوضى والفساد، في حين أن الدول الأُخرى المُجاورة تتقدم وتزداد قوة ورقي، وكان هذا السخط العام كله يتجه صوب الملكة الفاسدة وحدها، فقد كان الشعب يعرف ويوقن أن السلطة كلها بيدها، فالملك رجل ضعيف بليد لا حول له ولا قوة.

ويومًا بعد يوم ازدادت الحالة سوءًا وازداد السخط، فكان يجتمع كل يوم عشرات الأحرار وأنصار الدستور وأتباع «فولتير» وعديد من المثقفين ورجال الصحافة والأدباء والفنانين، كما كان الكونت «دوبروفينس» شقيق الملك من أكبر المعارضين الذين يعملون في الخفاء على أمل أن يجلس يومًا ما على عرش فرنسا. ولما بدأت الثورة على الملك والملكة تأخذ طريقها في الظهور بدأ الكونت «دوبرفنس» يعمل جهرًا ضد أخيه الملك، فأخذ يوزع المنشورات المثيرة ضده وضد زوجته ماري أنطوانيت، حتى أن هذه المنشورات جاوزت حدود فرنسا، وازداد عددها بكثرة وبطريقة مثيرة، ولم تكن من عمل الكونت دوبروفنس فقط، بل أن كل الطوائف المُعادية المُطالبة بالثورة اشتركت في نشر وتوزيع المنشورات، ووصلت إلى الملكة نفسها، فقد كانت طوائف المعارضة الثورية تتشعب في كل أرجاء البلاد.

وهكذا وجدت ماري أنطوانيت نفسها مُحاصرة من كل جانب بالأعداء، فقد كان لا بُد أن يستيقظ الشعب المسكين الذي رضخ تحت وطأة النظام الملكي الظالم سنين طويلة، بل حقبة من الزمن بالقصيرة امتدت على مدى أكثر من لويس! كان آخرهم تعيس الحظ الذي جاءت بجواره على العرش امرأة مثل ماري أنطوانيت، فكانت من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى يقظة الشعب الفرنسي وثورته.

لهذا كله كان لا بُد أن يثور الشعب ويُطالب بالحرية، فقد أقبل الجميع على قراءة «العقد الاجتماعي» لجان جاك روسو، ومؤلفات فولتير وديدور التي تقول أن النظام الملكي ليس أفضل الأنظمة، وليس النظام الوحيد الذي أراده الله. كما ظهرت في هذه الأثناء بعض الشخصيات المُتحمسة للثورة سواء كان هذا نابعًا من مطامع شخصية أو دوافع وطنية، فقد ظهر «سميرابو» الذي لُقِّبَ «خطيب الثورة»، كما ظهر «لافاييت وروبسبير ودانتون ومارا»..

وقد كانت أول مظاهر الثورة الإيجابية هي الاستيلاء على سجن الباستيل في ١٤ يوليو ١٧٨٩، فقد خرج عشرون ألف رجل صوب هذه القلعة التي كانت بمثابة سجن يُسجن فيه الأحرار والأبرياء، فاستولى عليها المُتظاهرون وعلقوا رأس حاكمها على قمة حربة وراحوا يطوفون به أنحاء باريس، وكانت تلك هي الشرارة الدموية الأولى للثورة. وفي يوم ٤ أكتوبر – في باريس – زحفت جموع الشعب الغاضبة رجالا ونساء قاصدين قصر فرساي حتى بلغوه بعد مسيرة ست ساعات، وظلت هذه الجموع الهائجة حول القصر طوال هذه الليلة إلى أن دقت الساعة الخامسة صباحًا، فانطلقت فجأة رصاصة من بندقية كانت إيذانًا ببدء الهجوم، فهرع الثوار نحو القصر من كل صوب بالمئات والألوف مُسلحين بالبنادق والحراب والفئوس. وكان هدف الجميع جناح

الملكة، فقتلوا الحراس الذين قاوموهم، وحملوا رؤوسهم على الحراب، وهرعت إحدى الوصيفات إلى الملكة تحثها على الإسراع بالهرب ولم تجد الملكة وقتًا لارتداء جوارب أو حذاء فجرت حافية القدمين وبيدها جواربها إلى جناح الملك. وفي خارج القصر كان يقف عشرة آلاف ثائر، صيحاتهم ترتج لها كل جدران القصر تُطالب بانتقال الملك والملكة إلى باريس، وبالفعل بدأ الموكب الملكي الحزين، فخرجت من القصر عربة ضخمة تجرها ستة جياد كانت تقل الملك والملكة وجميع أفراد الأُسرة المالكة الذين تركوا قصر فرساي بلا رجعة وإلى الأبد.

وأخيرًا وصل الموكب إلى باريس وتم السماح للملك والملكة بأن يقيما في قصر التوليري، ذلك القصر القديم المهجور الذي كان فيما مضى مقر الملوك، ولكنه مُنذ عهد لويس الرابع عشر لم يسكنه أحد. وآوى الملك والملكة في غرفة مهملة ليس بها أثاث ولا شمعدانات وأبوابها لا تُغلق ونوافذها مُهشمة، ولكن الخدم أعدوها سريعًا على ضوء الشموع، ومُنذ ذلك الحين أصبح الملك والملكة صورة فقط ليس لهما أي سلطة؛ فالسلطة كلها قد أصبحت في يد الثورة.

ونعود لدور العشيق «فيرزن» فلما كان القصر قد أُحيط بالحرس الوطني حتى لا يهرب الملك والملكة، وكان كل الخدم تقريبًا من الجواسيس، ورغم ذلك ظلت ماري أنطوانيت على صلتها بعشيقها فيرزن، فهو الوحيد الذي كان يملك مفتاح الباب السري المُؤدي لغرفة ماري أنطوانيت في قصر التوليري، وقد تسلل إليها ذات يوم وقضى معها الليل بطوله وحدهما، كما قام بمساعدتها هي والملك والأسرة المالكة على الفرار من قصر التويلري إلى خارج باريس ثم خارج الحدود.

وقد بذل فيرزن في هذا أقصى ما يستطيع من جهد من أجل غرامه وعشقه للملكة ماري أنطوانيت، ولكن مشروع هذا الفرار فشل في النهاية بعد أن تم تنفيذ الجزء الأكبر منه، ولم يلتق العاشقان بعد ذلك، إذ بقى فيرزن خارج فرنسا يتتبع الأخبار، فقد أُعدم الملك، وجاء الدور على الملكة لتلقى مصيرها. دخلت السجانة في صباح ذلك اليوم على ماري أنطوانيت في زنزانتها، وجدت الشمعتين تضيئان بضعف وضمور وشعلتهما تترنح في النفس الأخير ويخبو ضوؤهما شيئًا فشيئًا، فبدت الرؤية للقادم من الخارج ضعيفة برهة من الوقت.

كان الشرطي قابعًا في ركن من الغرفة وماري أنطوانيت منطرحة على فراشها في ثيابها السوداء كاملة، لكنها لم تكن نائمة، بل كانت عيناها مُعلقتين على سقف الحجرة تنظر إلى نقطة واحدة لا تحيد عنها، فقد كان هذا اليوم هو أطول يوم في حياة ماري أنطوانيت. قدمت لها السجانة حساء الإفطار فاعتذرت ماري أنطوانيت في هدوء، إلا أنها تحت إلحاح السجانة التي أشفقت عليها، تناولت بضع ملاعق صغيرة، ثم ساعدتها السجانة في تغيير ملابسها، فقد كانت التعليمات ألا تذهب ماري أنطوانيت إلى المقصلة بثوب الحداد خوفًا من إثارة الشعب، ورأت ماري أنطوانيت أن تلبس ثوبًا أبيض خفيفًا، وكانت أقسى مظاهر الذل والهوان تلك الواقعة التي حدثت في هذا الصباح، فقد كانت ماري أنطوانيت تُعاني في الأيام الأخيرة من نزيف مُستمر، فأرادت أن تُغير قميصها، فطلبت من الشرطي القابع في الحجرة معها أن ينسحب لحظة، غير أنه رفض بناء على الأوامر الصادرة إليه بألا يتركها دقيقة واحدة، فلم تجد ماري أنطوانيت أمامها سوى أن تجثو على ركبتها في ركن من الغرفة بين السرير والحائط، ووقفت السجانة أمامها لتسترها حين تتجرد من ملابسها، ولما انتهت

ماري أنطوانيت أمسكت بالقميص الملوث بالدماء فكومته ودسته في فوهة بالحائط خلف السرير!

انتهت ماري أنطوانيت من ارتداء ملابسها بعناية، فهي حريصة على أناقتها ومظهرها حتى آخر لحظة من حياتها. في الساعة الثامنة حضر القسيس ليأخذ اعترافها، إلا أنها رفضت في أدب أن تعترف له.. ولما سألها: هل يصحبها إلى حيث التنفيذ؟ أجابت في هدوء «كما تشاء» وفي الساعة العاشرة صباحًا جاء الجلاد «سمسون» وهو شاب مارد ضخم الجثة، استسلمت له ماري أنطوانيت وهو يقيد يديها خلف ظهرها فلم تبد أي مقاومة.

وفي الساعة الحادية عشر صباحًا فتحت أبواب السجن على مصراعيها وبدأت مراسم تنفيذ حكم الإعدام.. كانت اللحظات التاريخية العصيبة تمر بطيئة متثاقلة، جاءت عربة مكشوفة ذات حواجز يجرها جواد كبير أعد في وسط العربة لوح من الخشب كمقعد تجلس عليه ماري أنطوانيت. وقفت العربة أمام باب السجن، خرج الضباط أولًا يليهم فرقة كاملة من الحراس فوق ظهورهم البنادق ثم تبعهم المارد سمسون وهو يسير بوجه متجهم في خُطى ثابتة، صدره عار يلمع في وهج الشمس، يمسك في يده بطرف حبل، طرفه الآخر على مسافة مترين يسحب به ماري أنطوانيت..

كان القسيس في ملابسه السوداء والصليب يتدلى على صدره والقبعة تُغطي بعض عينيه، يسير ببطء بجوار ماري أنطوانيت، واستمر هذا الموكب المهيب من داخل السجن حتى خارج البوابة حيث كانت تقف تلك العربة المكشوفة بجوادها الثقيل وعليها المقعد الخشبي الذي ستجلس عليه ماري أنطوانيت.. كانت الجماهير واجمة في ذهول وهي تصطف على جانبي الطريق

لترى هذا المشهد الفريد في تاريخ فرنسا، ورغم ضخامة وكثرة ازدحام الجماهير إلا أنهم كانوا صامتين عيونهم شاخصة على الموكب وكأن على رؤوسهم الطير أو أن أنفاسهم قد حبست، فإن رهبة هذا المشهد المهيب كانت أقوى من أي شيء.

كانت ماري أنطوانيت تتقدم وسط هذا السكون بخُطى بطيئة نحو العربة، ثم وقف سمسون خلف العربة وصعد عليها واستدار في هدوء وهو يمد يده لماري أنطوانيت ليساعدها على الصعود. جلست ماري أنطوانيت على المقعد الخشبي وإلى جوارها القسيس في ملابسه السوداء، ووقف سمسون العملاق بصدره العاري فوق العربة فارجًا قدميه على وجهه جمود لا ينم عن أي شعور، وما زال طرف الحبل في يده.. سارت العربة ببطء بين جماهير الشعب التي جاءت لترى هذا المشهد الخارجي، وكات ماري أنطوانيت وهي جالسة على مقعدها الخشبي تهتز مع كل درجة للعربة وعيناها محمرتان تنظران إلى أعلى، وكأنها تنتظران أن تأتي لها السماء بمعجزة تنقذها من مصيرها المُؤلم ومن سيف الجلاد سمسون. كان جسدها كله يختلج وكل نقطة دم في عروقها تصرخ وتستغيث وقد بدت وكأنها امرأة هرمة عجوز ووجهها شاحب هزيل، ورغم هذا كانت تُحاول جاهدة أن تضبط زمام مشاعرها وألا تلتقي عينيها بعيون الشعب. وترامت إلى أسماعها الشتائم وعبارات الاستهزاء، فكانت وكأنها لا تسمع ولا ترى، بل أنها ظلت تنظر إلى أعلى في استسلام، وكان ميدان الجمهورية الفسيح الذي تتوسطه منصة المقصلة يعج بالآلاف الذين جاءوا منذ الفجر حتى لا يفوتهم ذلك المشهد الفريد، مشهد إعدام ملكة.

وقفت العربة أمام المنصة ورأت ماري أنطوانيت المقصلة ونصلها الحاد، فنظرت إليها برهة في شرود وهي جالسة على مقعدها الخشبي، فبدت وكأن

الدنيا تميد بها، وما هي إلا لحظات حتى بدأت المراسم الأخيرة. هبطت ماري أنطوانيت من العربة في بطء وتثاقل، تقدمت خطوتين..صعدت درجات المنصة بصعوبة، أمسكها الجلاد ولمع للسلاح بريق وهو يهوي على رقبتها، اصطبغت المنصة بلون أحمر قاتم وساد الميدان صمت وسكوت، وأمسك سمسون برأسها ولوح به لأعين الجماهير التي صاحت: (تحيا الجمهورية).. (تحيا الجمهورية)

بعد أن تفرقت الجموع جيء بعربة نقلت جثمان ماري أنطوانيت، وقد وضع رأسها بين فخذيها، وكانت تلك هي نهاية ملكة انتقلت باستهتارها وغرورها من العزة والجاه إلى الذلة والمهانة، ومن العربة المذهبة الفاخرة إلى عربة الجلاد، ومن العرش إلى منصة المقصلة.

زينب المصرية "مقصوفة الرقبة" عشيقة نابليون

عن كتاب (المرأة في حياة نابليون) لكريستوفر هيبرت

تقدم لنا المكتبة البيوغرافية الحالية في زمن التأويل والهويات المتعددة ألف وجه وألف قناع، ومن هذه الأوجه والأقنعة الجديدة نجد، على سبيل المثال،(المرأة في حياة نابليون) وهي سيرة تاريخية حديثة صدرت بقلم المؤرخ وكاتب السير الإنجليزي كريستوفر هيبرت (١٩٢٤ – ٢٠٠٨)،الذي ألف في هذا المجال أزيد من أربعين رواية وسيرة وتميز هيبرت عن مؤلفي عصره بكتابته لسير المدن، حيث ألف سيرة لندن وسيرة روما وسيرة فلورنسا وسيرة البندقية، فضلاً عن تخصصه في كتابة بيوغرافيات عديدة لشخصيات ملكية شهيرة أمثال: إليزابيت الأولى، والملكة فيكتوريا. يأتي كتاب المرأة في حياة نابليون في سياق عودة الاهتمام ببيوغرافية الأفراد، فقد ظلت البيوغرافيا والسير الفردية دائماً ذات قيمة عند قسم كبير من الجمهور القارئ في مختلف بقاع العالم،فهذه الكتابة استطاعت أن تفرض نفسها بمفاهيم ورؤى جديدة ومغايرة،وحققت بذلك نجاحاً باهراً فذوق الجمهور يتجه بطبعه شطر سير الحياة المتميزة بحثاً عن الرومانسية والمعرفة. ومن الجدير بالذكر الإشارة الى أهمية السير التي تناولت شخصية نابليون بونابرت بالتحديد، لأهميتها في التاريخ الفرنسي خصوصاً،والتاريخ الأوربي عموماً،حيث نتوقف مع زخم تأليفي مهم فبيوغرافية نابليون التي كتبها المؤرخ الجامعي جون تولار سنة ١٩٧٧م، كانت بطلب من مديرة منشورات فيارد Fayard ، التي اقترحت عليه أن يكتب بيوغرافيا تاريخية شاملة عن نابليون بونابرت بسبب تزايد الطلب الجماهيري.وهو ما يفسر

اهتمام "والتر سكوت"، الملقب بـ (أب الرواية التاريخية الحديثة)،والذي يعد من أكثر كتاب السير شعبية في ألمانيا وإنجلترا، بهذه الشخصية، إذ خط سيرة حياة الإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت،بكثير من التشويق وفيها تتبع لحظات الصعود والسقوط في حياة الإمبراطور بونابرت ما بين سنة توليه السلطة بعد الفوضى التي أعقبت الثورة الفرنسية وإلى غاية استسلامه للإنجليز بعد انهزامه في معركة واترلو سنة ١٨١٤م.جاعلا المرأة في حياة نابليون صورة مغايرة لبونابرت،فهي لا تظهره بمظهر القائد العسكري الفذ،أوالإمبراطور المظفر بالانتصارات العسكرية،أو حتى في صورة البطل المهزوم،وإنما يكشف لنا الرجل في علاقاته المتشعبة مع عدد من النساء اللواتي أحطن به وأثرن في مسيرة حياته الحافلة بالأحداث والوقائع، زوجاته:جوزفين دي بوهارنيه وماري لويز،وعشيقاته الكثيرات بالبلاط، وأمه:ماريا ليتيزيا رامولينو،وشقيقاته، وبالخصوص:بولين المدللة والعنيدة. وتتداخل في هذه السيرة المناورات والمكائد والعداوات النسائية والعلاقات الغرامية المتعددة كما يسلط المؤلف الضوء أيضاً على حياة نابليون الخاصة في زمن السلم والحرب كما في زمن المنفى. ويرصد في نفس الوقت اعترافات نابليون بأبنائه غير الشرعيين: وهم إلكسندر ،ولوفسكي من "عشيقته الكونتيسة ماري ولوفسكا"،وشارل ليون ابن إليونز دينويل، وطفل من ألبين دي مونثولون،وطفل من مدام دي بلابرا. وفي ختام هذه البيوغرافية يقتحم الكاتب بكثير من الجرأة الغموض الذي حام حول سبب وفاة نابليون بجزيرة القديسة هيلانة، ففي ملحق خاص ناقش هذه القضية استناداً إلى وثائق وشهادات تثبت وفاته مسموماً بالزرنيخ، بالنظر إلى عوارض التسمم العديدة التي ظهرت على نابليون في الأشهر الأخيرة قبل وفاته. وقد اتفق كاتبان حديثان ممن تناولا حياة نابليون بالدراسة والتحليل، وهما فرانك ماكلين وألن شوم، على أن هذا الأخير

توفي نتيجة دس السم له في الطعام على فترات طويلة وبجرعات منخفضة، وذلك من طرف دي مونثولون رفيق نابليون في المنفى .

نابليون بونابرت المحارب الاسطوري كانت كل احلامه هو ان ينتصر في ساحة المعركة وفي لهاثه مع امرأة ولكنه في اي مراجعة للسيرة الذاتية له ستجد ان لديه شيئا من الأسى مع شهوة الليل؟! ولا ادري عندما كان في مصر التي احتلها غازيا،وانهى حكم المماليك فيها إن كان قد فكر ان يمارس متعته المفضلة مع سمراء فاتنة من الشرق رغم أن جنوده كانوا يتخيلون وهم على ظهر سفن اسطوله البحري متوجهين الى بر مصر، أن هذه البلاد هي بلاد كليوباترا،وسحر الفرعونيات المدهونة اجسادهن بشعاع شمس الاهرامات، فيما كان البعض يفضل النوبيات المشعات بالسمرة الافريقية الداكنة أو تلك الجواري المختبئات وراء النقاب وهي يظهرن بفتنة العين الواحدة شيء من الشهية كانت تؤدي بالجنود الى حتفهن يوم تصبح هذه العيون مصيدة لأغراء الجنود المحتلين وجذبهم الى الازقة ثم قتلهم من قبل المقاومين المصريين.

انشغل نابليون بأحتلال مصرفلم يلتفت كثيرا الى انوثة المكان لكن الجنرال كليبر والذي خلفه في حكم مصر بعد عودة مستعجلة لبونابرت الى باريس قد اقترن بواحدة من بنات اشراف مصر،والقائد الثالث للحملة بعد مقتل كليبر تزوج من فتاة من رشيد واعلن إسلامه .أما نابليون فقد ابقى عاطفته لعشيقاته الفرنسيات،بعضهن يخلصن له فلا يتعلق بهن والبعض تخونه مع جنرالات آخرين في جيشه فيتعلق بهن ؟!

واعتقد ان نابليون عاش هاجسا ايروتيكيا خفيا قد سكنه ولم يحصل على متعة الجسد الكاملة،فعوض تلك الايروتيكيا المخفية بمتعة ما كانت تسكنه من

صور تعوض عن عدم نيله لمتعة السرير عندما اسس لرغباته طموحا آخر تحقق في الكثير من مفاصله وهو ماكان يحرزه من انتصارات في ساحات المعارك عبر حروب وغزوات وقيادة اساطيل بحريه ليذهب الى الشرق الذي كان يحلم من خلاله امساك رقبة انكلترا عدوه اللدود

وجأت فتاة مصرية مراهقة هائجة متمردة جعلت صوتها أكثر رقّة وتمرنت على فنون الإيحاء بالهمس،واكساب صوتها بحّة جذابة والتحدث بصوت خفيض وبطريقة بطيئة وهو أمر تحوّل الى احد جوانب جاذبيتها.كما تعلمت إخفاء فمها بالمنديل عند الضحك وذلك لإخفاءأسنانها التي تضرّرت من كثرة تناول السكريات أثناء طفولتها وقد أنقصت وزنها واكتشفت كيفية ابراز ما لديها من مفاتن عن طريق الجلاليب الضيقة واخفاء عيوبها باستخدام الشالات

وحدث التحول الكبير فى حياة نابليون "بزينب" تلك المصرية المسكونة بالرغبة والتوابل والبخور بعلاقتها الشخصية معه ولبداية هذه العلاقة روايتان:

– فى التاريخ، الأولى:" أن زينب ذهبت إلى بونابرت خلسة فى غرفته بمنزل والدها وطلبت منه مضاجعتها وكان هذا بعلم والدها الذى طمع فيما هو أكثر من لقب نقيب الأشراف، فقد أراد أن يكون صهرا لوالى مصر،معتقدا أن نابليون سيطلب يد ابنته للزواج، وبعدها بدأت العلاقة بينهما وصارت عشيقته"

– بينما تقول رواية أخرى للمؤرخ الكبيرعبد الرحمن الجبرتى فى كتابه «غرائب الآثار فى التراجم والأخبار» إن الشيخ خليل البكرى قدم زينب بصحبة خمس فتيات مصريات أخريات لنابليون ليختار منهن عشيقة، فاختار

بونابرت زينب،لأنها كانت أطولهم قامة وأكثرهم جمالا وكانت ممشوقة القوام، والأهم من ذلك أنها كانت تشبه "جوزفين زوجة نابليون التى رفضت القدوم معه إلى مصر" فلما وجد الشبه بين زينب وجوزفين– اختار زينب – وكان هذا أيضا بعلم والدها ومباركته،

ونهاية الروايتين كانت واحدة فبعد فترة شعر نابليون بالملل من علاقته بزينب وأدرك أنها ليست محبوبته جوزفين، فقرر تقديمها لجنوده كهدية منه وتركها بين أحضانهم، ولم ينتفض والدها لذلك أو يحاول ردها عن هذا السلوك ولا حتى حمايتها من شرور البشر،وشرورنفسها.

وقصة هذا الفتور أنه وصلت له أشاعة عن خيانة زوجته جوزفين،؟!مع عشيق لها فى فرنسا ..كان نابليون قد تزوجها قبل سنة من الحملة ولكي يتخلص نابليون من زوجته وذكراها ترك زينب واتخذ لنفسه عشيقة أخرى في مصر هي "بولين مورنس" زوجة أحد الضباط؛ وقد أطلق عليها الجنود اسم كيلوباترا الشرق، وكانت تسكن في بيت مجاور لمقر القيادة العسكرية بالقاهرة. وكانت ترتدي قبعة من الريش الذهبي وبنطلونات سوداء، وكانت إذا غضبت منه ارتدت فستانا، وإذا رضيت عنه ارتدت زيا عسكريا في الفراش.وقد أرسل نابليون زوج "بولين" إلى الإسكندرية ليخلو له الجو، ولما عاد زوجها من رحلته علم بالأمر، ونشب صراع بينه وبين نابليون، حيث طلق الزوج زوجته الخائنة، إلا أن نابليون لم يتزوجها ولكنه ترك لها البيت المعد لغرامهما كهدية..ليترك الحملة بعدها بسنة ل "كليبر" متعللا بتحطيم الاسطول الفرنسى من الانجليز فى ابو قير..ترك مصر والحملة بسبب تحطم قلبه.وإن اعلن أن السبب تحطيم اسطوله.

وفى الكتاب الكثير عن الحياة السرية "لجوزفين" ففيه : أنها أرملة الجنرال "دوبو هارنيه" - ثيب لعوب ذات تجربة فى الحب–قررت في التاسع من آذار عام ١٧٩٧، وفي ساعة متأخرة من الليل أن تعقد قرانها على الجنرال والقائد العام للجيش الفرنسى، الكورسيكي نابليون بونابرت وعلى قدر ما كان نابليون بونابرت عاشقًا متيمًا بحب جوزفين الجميلة لم يكن لديها أي ميل نحوه،ولولا جهود المدير"باراس"– وهو أحد أعضاء حكومة المدراء في فرنسا – لما تمت الزيجة من أصله..

في الوقت الذي اشتعل فيه قلب بونابرت حبًا في جوزفين، كان المدير"باراس"هو العشيق الفعلي لجوزفين!وإذا عرف السبب لما ثار العجب من أن يعمل العشيق على تزويج عشيقته الحسناء لرجل آخر،ويبذل قصارى جهده في إقناعها بجدوى هذه الزيجة،بل ويمعن في تصويرها فرصة عظيمة مواتية للاقتران برجل ليس في سبيله لإحراز العظمة على مستواه الشخصي فحسب وإنما لتحقيق عظمة فرنسا ذاتها.وما ينتظر جوزفين العشيقة في كنف هذا الزوج العظيم..! فقد كان في واقع الأمر عشق "باراس" لجوزفين قد تحلل وصار عبئًا عليه وربما على مستقبله السياسي ومن ثم كانت تلك فرصته المواتية للتخلص من العشيقة الملازمة والحفاظ على سمعته دون شائبة على الساحة السياسية! وغداة زواجه توجه بونابرت إلى إيطاليا سعيًا وراء المجد العظيم الذي ينتظره، وما كان ذلك بالأمر الهين على رجل يهيم عشقًا بزوجته ويكن لها حبًا لا مثيل له، فوق أنه لم تتح له بعد فرصة إظهار هذا الحب،مع ضيق الوقت؛فسافر نابليون بعواطف مضطرمة في صدره وحنين معذب لحبيبته ما كانت لتكفيه ليلة زواج واحدة بطبيعة الحال! أما عن جوزفين الزوجة الحسناء، فلم تجد سببًا يلزمها الوفاء لزوجها وقد بقيت من بعده بمفردها!.فبعد أيام قلائل من سفر نابليون

رمت شباكها على واحد من أشهر الفرسان وسامة وأكثرهم مرحًا،وهو الملازم أول الخيال "شارل هيبوليت"وبينما كان نابليون يضيف نصرًا إلى نصر في إيطاليا.كانت جوزفين تحقق من جانبها نصرًا خاصًا،فتدحر وتغيظ أشهر حسناوات باريس وأكثرهن أناقة باختطافها لـ "شارل هيبوليت" منهن، والذي راح يتردد عليها يوميًا للقائها في قصرها الصغير بشارع شانترين، ويمضي في صحبتها أعذب الساعات.وإضافةلما يتمتع به شارل هيبوليت من وسامة وشكل حسن،وقوام متميزمن حيث الطول والعضلات المفتولة استطاع منذ لقائهما الأول،وبواسطة روحه المرحة، أن يضحك جوزفين حتى تسيل دموعها،بل واستمر في وضع النكات والطرائف التي تستهدف التهكم على ذلك الجنرال القصير الذي تزوجته جوزفين؟! أما هي فقد نشر العشق غشاوة على عينيها حتى لتضحك إلى درجة الإغماء من نكات قد يحمر خجلاً من إسفافها رجال من عامة الشعب غافلة أو متناسية أنها سليلة طبقة أرستقراطية! كان من الطبيعي أن تنسى جوزفين الغارقة في حب "شارل هيبوليت" طلب زوجها المتحرق شوقًا إليها، باللحاق به في إيطاليا، فالرجل الزواج مازال لم يفز منها حتى تلك اللحظة سوى ليلة واحدة كفيلة باضطرام نار الشوق في كيان رجل محب مهما تملكته العزيمة والصبر،بينما تقبع جوزفين الزوجة في قصرها بفرنسا، تفرط في كيانها النسوي بإرواء الغريزة فيه من عشق ووله رجل آخر.!؟ ولما سئم نابليون الوحدة جدد طلبه إلى جوزفين بأن بعث إليها برسالة أخرى مع مساعده الخاص وقائد اللواء "مورا"،يحثها فيها على أن تستقل عربة فى أقصر مدة، وأن تسلك طريق إيطاليا بأقصى سرعة،إذ أن صبره أوشك أن ينفد عندئذ وجدت جوزفين نفسها مرغمة على إعادة النظر في المسألة (..غير أنها ليست راغبة على الإطلاق في مغادرة باريس، وقد استبد بها عشقها لـ "شارل هيبوليت" فلم تعد قادرة على أن تخلف وراءها العشيق لتسافر من أجل مجرد زوج، بل عادت

ترى ذلك من الصعوبة على كيانها المدله، بحيث يجعله مستحيلاً!! وعليه فقد راحت تبحث في حيلة تمنعها السفر ومفارقة العشيق شارل..فقد وجهت جوزفين الدعوة إلى "مورا" رسول زوجها وحامل رسالته إليها، كي يتناول معها العشاء وعلى انفراد، ليتسنى لها – على حد زعمها – أن تتحدث عن الجنرال بونابرت بكل راحة! ولم يكن أسلوب الدعوة يحتاج إلى تورية،فالعشاء الذي امتد حتى ساعة متأخرة من الليل، لم يكن مخصصًا للتحدث عن نابليون، فإن جوزفين قد وجدت الوسيلة السهلة والممتعة لاستقطاب رسول زوجها إلى صفها! لقد أغدقت عليه وجادت بما عرف عنها من سخاء عاطفي، فضمنت أن يعمل قائد اللواء "مورا" وفق ما توجهه وما تريد أن تدخله على قائده الأعلى بونابرت من أكاذيب بواسطته؛ فحملته رسالة إلى زوجها تقول فيها:"قل لنابليون أنه ما من شيء يعادل سعادتي في الالتحاق به، لكني لا أقوى على السفر، فأنا ملتزمة بمداواة صحتي لأني أنتظر مولودًا"

كم كانت الفكرة ألمعية أثرت على نابليون تأثيرًا رائعًا. إذ بكى من الفرح وأمسك بريشته مجددًا ليكتب إليها: "سوف أبقى إذن لشهور عديدة بعيدًا عن كل ما أحبه؟..أيمكن ألا أسعد برؤيتك ورؤية بطنك الصغير؟..كم اتمنى أن اكون بجانبك؟" وكادت تحدث أزمة؛ فالجنرال بونابرت المقيم في إيطاليا يتحرق شوقًا لرؤية حبيبته جوزفين، حتى بات يفكر جديًا في استقالة تعيده إلى فرنسا ليرتمي في أحضان زوجته،ومن ثم ينتهي سبب افتراقه عنها! وتفاديًا لتفاقم الأزمة،خاصة وأن حكاية الحمل المزعوم كانت قد شاعت في باريس كلها.. اتفقت حكومة المديرين على تكليف المدير "باراس"بمهمة إعادة الاتزان للزوجة المشاكسة التي تهوى الرجال والاستقرار في آن معًا..ولا غرابة في اختيار"باراس" بالتحديد للقيام بهذه المهمة؛ فمعطيات ترشيحه لها واضحة..وعندما قام

"باراس" العشيق القديم بزيارة جوزفين في بيتها أوضح لها دون غموض بأن أوان الهزل قد ولى،وأنه لا يمكن إفساد حملة عسكرية فريدة من أجل نزوة امرأة..وعلى الرغم من حدة الحديث وعنفه، إلا أن جوزفين أدركت أنه يعبر عن الحقيقة، فهي تغدق بالمال من رصيد لا ينضب بوصفها زوجة نابليون..أما في حال الطلاق فإنها ستدخل السجن فورًا!.وأذعنت جوزفين لأوامر حكومة المدراء،ولكنها اشترطت مقابل الذهاب إلى إيطاليا أن يذهب الملازم الأول"شارل هيبوليت" أيضًا للالتحاق بالجيش في إيطاليا! وقد ذهل "باراس" من هذا الشرط الجريء وحاول أن يحذرها من الخطر الذي سوف تتعرض له إذا علم الجنرال بالاتصالات التي تربطها بذلك الشاب،ولكن دون جدوى،ولا عجب في موقف حكومة المدراء..فطالما كان ذلك هو أسلوب الساسة في معالجة ما يعن من مشكلات..ليس في فرنسا وحدها، بل في العالم كله، قديمه وحديثه.. فمن غير المقبول لدى الحكوميين أن تتعارض المصلحة الشخصية لإنسان، أيًا كان قدره مع المصلحة العليا للبلاد..وإن وجبت التضحية فلا تقع على غير عاتق الإنسان الفرد،فمهما كانت عبقرية نابليون، فلا يهم الحكوميين في فرنسا سوى تسخيرها إلى أقصى حد لخدمة المصلحة العليا للبلاد دون نقصان أما ماذا يجني نابليون الإنسان من خسارة على مستواه الشخصي فهذا شانه الذي يخصه وحده!..فلا مانع إذن من أن يعالجوا أشواقه بان يدفعوا إليه بزوجته التي رصدوا خيانتها مادام ذلك يمده بالقدرة على الصمود وإحراز النصر لفرنسا!.وفي صبيحة يوم ٢٣ حزيران صعدت جوزفين إلى العربة، وقد استولى عليها حزن عميق لمغادرة باريس،ولم يكن السفر رحلة يقوم بها عاشقان؛ فالعربة ملأى بالمسافرين،وبعد وصولها إلى مدينة ليون أدهشها الاستقبال الذي حظيت به وكأنها ملكة،الأمر الذي خفف من حدة حزنها على فراق باريس..إذ قدمت إليها باقات الورود واستقبلت بخطابات الترحيب وكلما تقدم الموكب من

إيطاليا أصبح السفر أكثر متعة..وقد بلغت الرحلة أوجها بالوصول إلى ميلانو، حيث وجدت زوجها وقد استقر كالملوك في قصر"سربللوني" الفاخر، ووجدت نفسها محمولة في دوامة من النشوة؛ فهي الملكة التي ترأس كل تلك الاحتفالات

وهل نست جوزفين – إزاء ذلك – حبيبها "شارل هيبوليت"؟!.. أبدًا؛ ففي الوقت الذي كان فيه نابليون يطير من نصر إلى نصر، كانت زوجته تحرص على انتزاع فارسها الجميل ما وسعها من ساعات، لتنعم فيها بصحبته، وليس من شك في أن حب نابليون لها كان أصم بقدر ما كان أعمى..فلقد كانت جوزفين بارعة في سيطرتها على زوجها الشهير الذي كان يشده إليها حب جنوني،ولكنها في نفس الوقت على استعداد للتخلي عن كافة الفاتحين في العالم من اجل أن تنصرف بكليتها إلى "شارل هيبوليت.!!"مضى عام ونصف لتبدأ رحلة العودة إلى فرنسا، وفيما كان نابليون يتوجه إلى حكومة المدراء برايات الانتصار، كانت جوزفين تقام على شرفها الاستقبالات والحفلات، وتنعم بكل مباهج رحلة عسل مع شارل، الذي كان قد ارتبط بعشق مع الفاتنة "بوليس بونابرت" شقيقة نابليون المتزوجة حديثًا بالماريشال لوكليرك، ويمنحها أوقات فراغه من جوزفين؟!

وعلى ما يبدو أن العلاقة بين شارل هيبوليت وبوليس بونابرت لم تستمر طويلاً حتى هجرها شارل فانتقمت لنفسها بإخبار أخيها الذي أمر بعودة ذلك الشاب المشاغب فورًا، فنفذ الأمر.

في ذلك الوقت عاد نابليون إلى باريس.ليستعد للحملة الفرنسية على مصر [١٧٩٨_ ١٨٠١] لتفاجأ جوزفين باستقبال بارد من جانبه لكنها كانت تعرف كيف تعالج ذلك في زوجها، فحسبها تقضي معه بضع ساعات في

غرفة حبهما لتعود إليه ابتسامته!وقد دفعتها سعادتها بالعودة إلى باريس لأن تغدق على زوجها مزيدًا من الحب.

ويسافر نابليون فى حملته لمصر، وعندما أبحر بونابرت قاصدًا مصر، امتلأ قلب جوزفين نشوة،إذا اعتقدت أنها قد استعادت حريتها، فأطلقت لهواها العنان حتى أوشكت الفضيحة أن تثور، بينما استقر شارل في شارع ضاحية سانت أونوريه وأخذت جوزفين تتخفى بعناية لتزوره يوميًا، غير أن تلك الزيارات لم تدم سرية لفترة طويلة، إذ كان هناك من يراقبها؛ فجوزيف بونابرت لم يكف عن مراقبة زوجة أخيه منذ أن كانت في إيطاليا؛ فهو يكرهها ويتمنى لو تخلص أخوه منها،لذلك قرر تجميع الأدلة على خيانتها وقدمها إلى أخيه.

ووصلت أخبارها عن طريقه إلى نابليون الذي ثار غضبه وقرر العودة من مصر ليقوم بطرد تلك الخائنة..وتهلل أفراد عائلته بالخبر حتى دب الذعر قلب جوزفين وباتت متأكدة من أنها لن تعثر مطلقًا على نابليون الذى تعرفه ولكن عندما قام نابليون بمواجهتها قالت له:"إني لا أفقه شيئًا من هذا السيل المتلاحق من الاتهامات الذي ترميني به، وهذه مؤامرة حاكها جوزيف، وإذا كنت واضعًا طلاقي نصب عينيك فالأجدر بك أن تقوله لي".وأصدر من فوره أوامر بالغة القسوة، وحاولت جوزفين جاهدة أن تستدر عطفه من جديد حتى التقيا: زوج امتقع لونه وامرأة غرقت بالدموع وجنتاها،فكان الطلاق واعلن الامبراطور بشىء تعلمه من الشرق أنه يريد ولد يخلفه على عرش فرنسا.وبينما كان هناك طلاق فى فرنسا..

وكان هناك ماهو ابشع فى مصر؟! فرق المكان والدين والتقاليد، إنه نفس الفرق بينن مدافع نابليون وسيوف المماليك؟!

كانت النداءات تتصاعد، تتداخل الأصوات، تمتزج اللعنات، كل كلمة تنزل عليها وكأنها سيف، كأنها بصقة من نار،كأنها حجر من جهنم، تتصاعد الصيحات وتتداخل: " اقتلوا الزانية..اقطعوا رأس الفساد أحرقوا جسدها المدنس قطعوا أوصالها وفرقوها فى البلاد.. حتى تأكلها الوحوش الضارية.. مزقوا جسدها ولا تجعلوا له شكلا ولا كيانا اقتلوها اذبحوها..اسلخوها.. أحرقوها.. مزقوها "

لا تفهم «زينب» ما يقال،يشرد ذهنها ماذا حدث ؟ يقولون رحل نابليون وجاء وقت الحساب ،لقد قامت قيامتك.؟! فتتذكر تلك الأيام الخوالى، أيام كان النبيذ فيها يسيل كالأنهار وكانت الضحكات تجرى على الوجوه كالسيل فما الذى بدل النعيم بالجحيم، ومن الذى قلب حياتها رأسا على عقب؟ أهو الحظ أم هى اللعنة؟ تغمض عينيها محاولة التأمل واستيعاب الموقف ومعرفة أسبابه فيسبقها السيف على رقبتها يقطعون رأسها،ويفرقونه عن جسدها ويعلقونه على باب القلعة لتصبح عبرة لكل من خان وباع وفسق «هكذا ظنوا»، قصفوا رقبتها وسالت الدماء على الأرض ارتاحت القلوب ورفعوا الرؤوس بعد أن غسلوا العار عن رجولتهم ووطنيتهم،وصارت مثلا لكل فتاة غير طيعة يصفوها ب"مقصوفة الرقبة"،أعدموا "زينب البكرى" حليفة المحتل الفرنسى وعشيقة نابليون بونابرت التى ارتمت فى أحضانه،وباعت الشرف والعرض والأرض

لم يكن المشهد غريبا على "زينب" فقد عاشت مشهدا مماثلا له قبل ثلاث سنوات وتحديدا عام ١٧٩٨ عام دخول الحملة الفرنسية إلى مصر حيث كانت تقف فى نفس المنزل «بيت والدها الشيخ خليل البكرى» وشاهدت نفس الجمع من البشر بل وأكثر منهم يصيحون بصيحات مماثلة،يهتفون ضد نابليون بونابرت،والاحتلال ولم تفهم المراهقة،الطويلة،السمراء،الشهية،التى يقولون عنها زرع بدرى صاحبة الأربعة عشر عاما وقتها ما هو المحتل ولا طبيعة الثورة الشعبية التى ثارت ضده بقيادة شيوخ الأزهر،لم تعرف معنى المقاومة ودارت فى ذهنها

الأسئلة،من هو نابليون؟ ما الذى أتى به مع جيشه العظيم إلى مصر،ولماذا يغضب منه المصريون ويقاومونه ويثورون ضده وما هى الثورة أساسا؟

ماتت زينب واصابت نابليون لعنة زينب،تصيبه خيبة المعارك بهزيمة قاسية جراء الصقيع الروسي او من بارجات مدافع السفن الانكليزية،ولا أدري أن كان الامبراطور الذي خسر معركة واترلو ونفي الى "جزيرة البا " النائية في المحيط قد حصل في منفاه على امرأة يمارس معها ما كان يتمناه في نرجسية الوضع الغرامي؟ ولم تكتف لندن بنفى نابليون – هذا الهاجس القلق والمتعب والخطر على هيبة الامبراطورية البريطانية – وضعوا له مادة الزرنيج في طعامه وقتلوه؟!

قتلوا اسير ضد كل قواعد الحرب وربما فعلوا ذلك لشعورهم أن بعض سيدات المجتمع الانكليزي المخملي من زوجات قادة ووزراء واغنياء كن يفكرن بالذهاب الى الجزيرة التي نفي اليها القائد الفرنسي وممارسة الغرام معه، فقد كانت الكثير من نساء بلاطات اوربا يعتقدن أن فراش القائد الكورسيكي هو اجمل والذ واشهى فراش للمتعة الجنسية في هذا العالم.فقد كانت روحه تلاصق النساء،فى كل زمان ومكان كن يتأملن هندامه وبنطاله العسكري الضيق الملتصق على جسده،ووجهه الصارم وحزنه وكبرياؤه وهو يتأمل نظرات جنوده في ذات المرايا التي كان يتخيل بها لحظات السرير الدافئ .

قتل نابليون بجرعة من سم الزرنيخ، وتلك نهاية مأساوية ارادها اعداءه لتكون خاتمة لقلقهم منه. وكان الاكثر انصافا له ولتاريخه المجيد أن يموت القائد الفرنسي في ساحة المعركة بين جنوده أو في أحضان امرأة يعشقها وتعشقه.

علاقات مثيرة ونهايات غامضة

عن طاهر البهي، وكتابه "الفنانون والمخابرات"

تصدر الفساد والإفساد العوامل التي حدت برجال الثورة الوطنيين إلى الإطاحة بالملك فاروق وإجباره على التنازل عن العرش مطرودًا من البلاد، وبقيت مباذله ونزواته هو وبطانته وباشاواته أقاصيص وحكايات ترمز إلى عهد أسود عاشته البلاد. ولكن.. هل توقفت لعبة السلطان والجنس بزوال عهد الملك؟! إن الثورة التي غيّرت وجه مصر ورفعت عن كاهل شعبها الكثير من الظلم، لم تسلم من اندساس عناصر لا تقل عن الملك شراهة للمفاسد واستعدادًا لشغل صفحات التاريخ عن آخرها بمباذلهم وشطحاتهم الجنسية. وحاولت اعتماد خورشيد ان تكون شاهدة على انحرافات المخابرات، تمنت أن تكون "شاهد ملك" وفي الكتاب تعبت اعتماد خورشيد كثيرا لكي تثبت أنها كانت «ملاكا» يتحرك في عالم الشياطين و«نعجة» وقعت بين أنياب ذئب كاسر، لكنها لم تنجح ليس لأن الآخرين لم يكونوا شياطين أو ذئابا، بل لأن براءة الذمة التي قدمتها كانت شاهد إثبات ضدها لا معها لأن الكتاب الذي صورت فيه انحرافات صلاح نصر، وهي انحرافات تأذى منها كثيرون وليس «مدام اعتماد » وحدها، رسمت أيضا صورة أكيدة عن انحرافات صاحبته عن: كثير من الذئاب الذين بنت معهم شبكة من العلاقات الحميمة، ولعل ذلك يمثل دلالة واضحة على أن المباذل والانغماس في اللذات ليست بالضرورة تتملك من الملك لكونه ملكًا فحسب، وإنما هي تتملك صاحب النفوذ المطلق،

يستوي في ذلك ملك أو محتل أو رجل في موقع سلطوي من حكم ديكتاتوري؛ فالعبرة دائمًا بالنفوذ المطلق.

فها هي الشخصية التي نحن بصددها.. شخصية صلاح نصر مصري صميم واحد من رجالات الجيش المصري (الجيش الذي ثار على الملك ومسح عار ملكيته عن جبين مصر) تدرج في المناصب ليصل في ظل الحكم بالشرعية الثورية إلى منصب مدير المخابرات العامة.. كان المناخ مهيئًا تمامًا ليستحوذ صلاح نصر على نفوذ لا تحده حدود ولا ترقبه عين رقيب؛ فالحكم يأخذ بأسلوب الشرعية الثورية الذي يخول الحاكم الثوري صلاحيات تتعدى بكثير تلك الصلاحيات التي كان يتمتع بها الملك، ومن ثم فهو الذي يوزع الصلاحيات على مواقع النفوذ في الحكم وشاغليها لا الدستور..

وكان التحسب لأعداء الثورة وهاجس قيام ثورة أخرى مضادة يسمح بإطلاق يد ونفوذ القائمين على أمن الحكم الثوري بلا حدود، بل ربما كان منطقهم لتخويف الحاكم والإيحاء بقلاقل ومخاطر، فيصبح إسرافهم في استغلال نفوذ سلطاتهم ومواقعهم ضرورة مبررة!! وكان أيضًا الصراع في قمة السلطة على الانفراد بالحكم إلى جانب اعتبار البلاد في حالة مواجهة سياسية وعسكرية مع الإمبريالية العالمية وعميلتها إسرائيل.. كل هذه العوامل كانت مفردات المناخ الذي جعل لصلاح نصر نفوذه المطلق وأطلق يده بحرية تعربد في أحشاء المجتمع ولم يضع صلاح نصر وقتًا! إن المتتبع لما ورد عن نشاط صلاح نصر المخابراتي، تستوقفه خصيصة عجيبة؛ إذ أن تركيز صلاح نصر على نجمات السينما بالتحديد يوفر انطباعًا بأن مفهوم الرجل بشأن مصدر عملاء جهازه، لا يخرج عن كونه تطويع لنجمات السينما الشهيرات بإصرار ألا تفوته واحدة منهن؟!

وهذا يعني – إذا كان الغرض من تطويعهن خدمة العمل الوطني بالفعل – أن الحقل السينمائي بأكمله سيصبح فرعًا عاملاً للنشاط المخابراتي!

لكن من ذا الذي يستطيع أن يجزم بأن ذلك التكثيف المحموم لتطويع نجمات السينما كان لغرض وطني، ولم يكن بدافع من أهواء شخصية وميول غريزية؟! إن مصر هي أرض النبوءات والمعجزات، لكن صلاح نصر أضاف وأرض المخابرات أيضاً. قالوا إنه أخرس حوار المقاهي، وقهقهات التلاميذ وهم يعبرون الشوارع، واشترى بالوعد والوعيد البنات والسيدات ورجال القلم وجعل المبدعين في بلادنا يطفون على بحر من النميمة وقيل إن (خالد صفوان رجل الأمن في فيلم «الكرنك»– المأخوذ عن قصة نجيب محفوظ – هو صلاح نصر)

ولد صلاح نصر الذي ينتمي إلى قبيلة بني هلال في ٨ أكتوبر ١٩٢٠ في قرية سنتماي دقهلية «٨٠ كيلو مترا شمال القاهرة»، وكان والده أول من حصل من قريتهم على تعليم عال وكان صلاح أكبر إخوته لذا كان مميزا كابن بكر.. التحق بالكلية الحربية في دفعة أكتوبر سنة ١٩٣٦ولم يكن والده مرحبا بدخوله الكلية الحربية وفي ١مايو ١٩٥٧ عينه الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للمخابرات العامة المصرية، وعين علي صبري وزيرا للدولة وزكريا محيي الدين وزيرا للداخلية، وهكذا بدأ صعود صلاح نصر. وفي عام ١٩٦٣ تقرر تشغيل الفتيات في المخابرات اتخذ صلاح نصر هذا القرار بعد أن وجد كل أجهزة المخابرات في العالم تستخدمهن في عملها تحت وهم أنه معروف نفسيا أن الرجل يفقد توازنه وهو مع المرأة بل وقد ينسى نفسه ويتفوه بأحاديث سرية..كان هذا مبرر استعمال سلاح الأنوثة في مصر.

وقد اعترف صلاح نصر بأنهم استعملوا ١٠٠ فتاة وأنهم كانوا يلجأون لتصويرهن من باب السيطرة وخوفا من تقلب عواطفهن. في حوار مع الكاتب عبد الله إمام.. قال صلاح نصر "أحجمنا عن استخدام النساء في بادئ الأمر ولكن ظروف الأمن أجبرتنا على ذلك"

وأضاف: إن بعض الزوار الذين كانوا يحضرون لمباحثات سياسية سرية على مستوى القمة يتصلون بنساء. وفي اليوم التالي كانت أجهزتنا تأتي بكل أسرار المحادثات من أفواه هؤلاء النسوة اللواتي يرددنها في كل مكان ففكرنا أن يكون لدينا طاقم مدرب يمكن السيطرة عليه لا يفشي الأسرار.. هؤلاء اللواتي عملن معنا حصلن على تدريب أمني وفرق توعية، نجحنا بواسطتهن في عدم نشر الأسرار السياسية. كان هذا أساساً هو المنطق الذي جعلنا نستخدم أسلوب النساء لكنه تطور بعد ذلك. فكرنا في استخدامه في بعض قضايا التجسس ونجحت بعض النساء العميلات لنا في الكشف عن قضايا تخابر لم يكن في استطاعة الرجال أن يفعلوها..

ولذا جاء في البند الثالث من قرار اتهامه امام المحكمة: (أنه ارتكب جنايات هتك عرض باستغلال وسائل التصوير الفوتوغرافي والسينمائي السرية في استدراج بعض النساء والتقاط صور لهن بطريق الخديعة في مكان أعد لهذا الغرض للتوصل بذلك إلى تهديدهن والسيطرة عليهن ليتمكن من إخضاعهن لشهواته الخاصة).

وأمام المحكمة – التي كان يرأسها حسين الشافعي – قال محامي صلاح نصر: إن هناك فارقاً له وزنه، هو أنه لا يجوز الخلط بين العمل المباح وغير المشروع، فقد يكون العمل مباحاً ولكنه غير مشروع كالدفاع الشرعى الشرس

مثلاً، فهو في الأصل عمل غير مشروع ولكن القانون أباحه فهناك فرق بين الإباحية والمشروعية وأولئك الذين يعيبون على المخابرات استخدام السيدات في أعمال التجسس أو أعمال السيطرة على العملاء، يقعون في الخطأ، ذلك أنهم يتناسون هنا الفارق بين المباح والمشروع، وبين مصلحة الدولة التي يباح من أجل سلامتها كل شيء..

إن كتاب «الفنانة» المصرية اعتماد خورشيد «شاهدة على انحرافات صلاح نصر» الذي أعيدت طباعته ٦ مرات خلال ٣ شهور من طباعته الأولى احتوى على العديد من الاعترافات التي من الصعب تصديقها، ورغم أن اعتماد خورشيد سليلة إحدى العائلات الأرستقراطية باعتبارها حفيدة حافظ باشا رشدي، إلا أن شهرة "اعتماد خورشيد" تعود إلى علاقاتها المزودجة بـ «الفن» والمخابرات..

والكتاب في مجمله يتضمن قصصا مثيرة من لقائها بالرئيس جمال عبد الناصر لتروي له انحرافات رئيس مخابراته صلاح نصر، وهو اللقاء الذي كذبه العديد من الكتاب والصحافيين، واعتبروه من نسج خيال الكاتبة مثل قصص أخرى روتها عن عبد الناصر وعلاقته باليهود، وانحرافات فنانات كبيرات؟! وعن حقيقة علاقتها بصلاح نصر ومواقفها منه؟ وكيف طمع فيها جسديا وطلقها من زوجها، وتزوجها عرفيا؟! جاعلا زوجها السابق "أحمد خورشيد" شاهدا على الزواج!! ثم إنها كانت حاملا بشهرها السابع؟ أي لا يوجد زواج أصلا يقبله أي شرع؟ ولكنها بقت في عصمة عشق محرم لأربعة سنوات!

وتحكي كيف اغتصبوا معمل تحميض الأفلام الخاص بها، وتكشف عن فنانات كن في جحيم المخابرات مسيطر عليهن وأخريات هربن، وقد كشفت

الفنانة مريم فخر الدين حكايتها مع صلاح نصر بتفاصيلها تقول (حينما شعرت بالملل من القاهرة وكانت وقتها مازالت متزوجة من الدكتور مُحَمَّد الطويل وحاملا منه في نجلها مُحَمَّد ولا تعمل وهو مشغول دائماً في عمله فتركته وسافرت للإسكندرية..

وتقول (هناك التقيت صديقتي (زيزي) أعز صديقة لي في المدرسة الألمانية ووجهت لي الدعوة على العشاء معها فاعتذرت لعدم وجود السيارة معي فأرسلت لي سيارتها في المساء ووجدت السيارة تتوقف أمام فيلا صغيرة من دورين لها باب خشبي. وعند دخولي لم أجد زيزي في استقبالي فقد شاهدت أربعة رجال مفتولي العضلات وفوجئت بوجود صلاح نصر فابتسم لي وقال: شفت عرفت أجيبك إزاي؟ فأدركت أن زيزي تعمل لحسابه فشعرت برعب شديد وقلت له: لو لم تحضرني أنت فمن يستطيع إذا؟ وقلت له: "معقول هؤلاء الرجال سيحضرون الحوار بيننا" فأمرهم بالانصراف وأعطيته الأمان إلى أن انشغل بشيء، وفتحت الشباك وقفزت منه وعدت للقاهرة.)..

وقالت: إن إعتماد خورشيد سيعاقبها الله على كل ما تقوله وتفعله فقد تجنت على الجميع وقالت كلاماً لم يحدث ولم يكن منطقيا أو مقبولا ونشرت أشياء لم تحدث لتحقيق الشهرة التي فشلت في تحقيقها في الماضي بالرغم من كل ما سعت لفعله

ويعترف ابن صلاح نصر بأنه كان هناك قسم في جهاز المخابرات يسمى قسم السيطرة، يستخدم سيدات متطوعات للإيقاع بالجواسيس مثل أي جهاز مخابرات في العالم، وكانت هؤلاء النساء يأتين برغبتهن. لكن المشكلة أن الفترة التي تلت نكسة ١٩٦٧ كانوا يتصيدون فيها أي أخطاء لجهاز المخابرات الذي

أدى دوره كاملا في الحرب، والذي كان بشهادة عبد الناصر نفسه وكان من أقوى أجهزة المخابرات في هذه الفترة، وتم تكريم والدي وقتها بحصوله على قلادة النيل وهي أرفع وأعلى وسام مصري عام ١٩٦٦ عن الدور الذي كان يقوم به

ولعل إحدى المقولات المهمة لصلاح نصر: إن مشكلتي الحقيقية أنني أنشأت جهازا متطورا جدا وعلى أرقى أسلوب في دولة من دول العالم الثالث. وتمت الاستعانة بالنساء لأنه كان هناك طلب من الرئيس عبد الناصر بتكثيف العمل الداخلي إلى جانب الأعمال والمهام الخارجية في جهاز المخابرات لأن الفترة التي أعقبت الانفصال المصري – السوري. وكان الرئيس عبد الناصر يحس بالخطر ويحس بأن هناك انقلابات عسكرية وشيكة، وتم بالفعل اكتشاف بعض الخلايا النشطة داخل القوات المسلحة وكان هناك تحرك من الإذاعات الخارجية ضد الرئيس عبد الناصر وبعض الدول والأنظمة العربية التي كانت تدبر مؤامرات وتدعي صداقة مع الرئيس عبد الناصر

وحول مدى صحة تجنيد سعاد حسني في جهاز المخابرات العامة من قبل والده، قال إن سعاد حسني تم تجنيدها في جهاز المخابرات بالفعل وكان والدي يرى أنها «عميلة مخابرات خايبة» وأنها لم تكن تؤدي المهام التي أوكلت إليها بكفاءة لأنها كانت تهتم بحياتها الشخصية ورغباتها أكثرمن المهام الموكلة إليها

والغريب أن تكشف وثائق أمريكية أن صلاح نصر مدير المخابرات في عهد الرئيس جمال كان أحد أهم أسباب نكسة ١٩٦٧ أمام إسرائيل حيث تسبب في تسريب معلومات مهمة عن وحدة رادار حصل عليها عبد الناصر من روسيا. وحدة الرادار وراء القرارات الـ٦ التي أدت لهزيمة ٥ يونيو ١٩٧٦،

وذلك بعد أن وثق عبد الناصر في قدرة تلك الوحدة على كشف الطائرات الإسرائيلية كما أخبره السوفييت بالمفاجأة التي تكشفها الوثائق أن إسرائيل علمت بأمر ذلك الرادار بجملة واحدة مشفرة أرسلتها جاسوسة عملت لحساب الموساد الإسرائيلي في شبكة السيدات سيئات السمعة التابعة لصلاح نصر في القاهرة كان محتواها "الرادار الروسي أعمى تحت ٥٠٠ متر"

الجاسوسة بحسب الوثائق فنانة كانت تبيت مع صلاح نصر في شاليه يملكه بالقرب من هضبة الأهرامات بالجيزة، والمعلومات المتوفرة تفيد بأنها كانت واحدة من السيدات التي استغلهن صلاح نصر في عمليات جنسية شاذة في إطار الكونترول والسيطرة المخابراتية على عناصر أجنبية ومحلية. وخلال أحداث تلك الليلة الساخنة وفي لحظة ما رن جرس الهاتف فطلبت منه الفنانة الجاسوسة ألا يرد، لكنه أكد لها أنه لن يأخذ سوى دقيقة لأنه ينتظر تليفونا مهما، وكان حظها أن تعثر على أغلى معلومة أرسلت للموساد من مصر منذ ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢.

ويقال أن عبد الحليم حافظ طلب من عبد الناصر حمايته من صلاح نصر فقد استغاث حليم بعبد الناصر ليرفع الرقابة عن تليفونه بعد أن علم أن جميع تليفونات المشاهير والفنان مراقبة من قبل جهاز المخابرات بأوامر من مديرها آنذاك صلاح نصر

وتحكى "إعتماد خورشيد" أن وردة غادرت مصر سرا هربا من صلاح نصر أثناء عملها في أوبريت الوطن الأكبر تعرفت الراحلة وردة على مُحَمَّد عشوب وهو واحد من أهم من عملوا في مهنة "الماكيير" وتوطدت علاقتهما وأصبحا صديقين.. عشوب قال إنه في إحدى المرات الذي ذهب إليها لزيارتها

وجدها متوترة للغاية وقد استدعت أشقائها: (نادرة ومسعود وحميد) وكانوا في حالة قلق أيضاً وعندما سألها عن سبب خوفها وتوترها قالت أنها تلقت اتصالا من شخص مهم يدعى صلاح نصر وحدد لها موعداً للقاء المشير وأضاف أنها عندما علمت بخطورة هذا الرجل وهذا اللقاء قررت السفر سراً مع أشقائها إلى الجزائر وظلت هناك لمدة ١٠ سنوات.

وحكت ايضا عن صائدة النساء (س. ق) أو سنية قراعة والتي تمرست في العهد السابق لقيام الثورة على مهمة التخابر، أدمنت هذا العمل إلى حد أنها رغم صدور أوامر عليا من أولي الأمر في العهد البائد بالتوقف عن مزاولة نشاطها في التخابر، عادت تسعى لعرض خدماتها على جهاز مخابرات العهد الجديد، أي هي التي طرقت الباب راغبة! وكانت (س. ق) معروفة في بعض الأوساط بأنها صحفية في إحدى المؤسسات الكبرى، أما عن نشاطها في العهد القديم، فقد كانت تعمل لحساب المخابرات السياسية في عهد إسماعيل صدقي وكانت لديها مجموعة مندوبات يأتين لها بالأوامر التي تصل من وزراء الخارجية إلى سفرائهم في مصر، وتحصل على ردود السفراء، وتعطي كل ذلك لرئيس الحكومة مقابل راتب شهري يصل إلى ٢٥٠ جنيهًا. وقد انتهت مزاولتها لهذه المهمة على نحو غريب، إذ زارها ذات ليلة الفريق عمر فتحي، وقال لها: "إن السراي تأمرك بالكف عن هذا العمل".. لماذا؟ لأن القصر قد اتضح له أن (س. ق) على اتصال باليهود!! وبذلك انقطعت صلتها بالتخابر عام ١٩٥١. ولكن بعد ثمانية أعوام، وبالتحديد في عام ١٩٥٩ صدر لـ (س. ق) كتاب ديني جديد، راحت توزع نسخًا منه على الوزارات في إطار رغبتها في توثيق علاقاتها بأولي الأمر الجدد.. كما قدمت نسخة منه كهدية لصلاح نصر فاشترت المخابرات مائة نسخة من كتاب (س. ق)، فسعت لتحقيق مقابلة مع صلاح

نصر لكي تقدم له الشكر، وفي تلك المقابلة طلب منها صلاح نصر تكوين هيئة نسائية تفيد العمل في المخابرات، وعلى الفور بدأت في تكوين هيئة نسائية من مختلف الطبقات: الوسط الجامعي، الأندية، سيدات المجتمع. ثم صدر الأمر لها بتطوير نشاطها وجعله أكثر فاعلية بأن تستعين بالفنانات، بزعم أن لهن اتصالات واسعة ولهن سهرات خاصة مع بعض الشخصيات العامة! وهكذا حاولت صائدة النساء الإيقاع بعدد كبير من الفنانات للعمل مع جهاز المخابرات، وكانت حجة إقناعها بالنسبة لكل واحدة منهن، أنها تقدم خدمة قومية ووطنية من أجل مصلحة أمن مصر، وبالتالي وافق بعضهن ورفض البعض الآخر. ولكن من فشلت صائدة النساء في الإتيان بهن استطاع صلاح نصر بطرقه الخاصة أن يجعل كل واحدة منهن تقع في مصيدته وتصبح واحدة من مريدات بلاطه!.

سباجيتي.. برلنتي والمشير عامر..

عن: برلنتي عبد الحميد.. وكتابها: "المشير وأنا"

إنها (سنية) ابنة الأحياء الشعبية التي تعلمت الفنون التزية وقفزت للتمثيل، وتلقت درس لوعة الحب والهجر من مدرسها اليساري، سماها المشير عامر "مسز سباجيتي" وسماها عبد الناصر "المتوحشة" وسمتها إعتماد خورشيد (ب.ع). أما برلنتي عبد الحميد، اسم شهرتها سماها به الأستاذ (زكي طليمات) وبدأ نجمها يلمع في سماء الفن وبخاصة السينما وهي مازالت طالبة بالمعهد واستطاعت أن تجمع حولها شلة من المثقفين في صالونها المعروف بصالون"الخميس" وقد تحدثت عنه في كتابها بقولها: (كان يتردد عليه وقتها: أحمد بهاء الدين، وأنيس منصور، وعدلي فهيم وحجازي).. واتسعت دائرة معارفها عن طريق الاختلاط بالأجانب، وأصبح اسمها معروفا في كل حفلات السفارات الأجنبية وسموها "برلنتي عبد النيل"، وتحكي أنها (كانت مدعوة لحفل أقامه مستر باتل – سفير الهند في منزله بالزمالك – ومنذ ذلك الوقت بدأت تأتيها تليفونات بهذا المعنى

أنا فلان (مخابرات) (اسمعي يا مدام.. نحن نعرف وطنيتك ونطالبك بالمساهمة من أجل وطنك..كل ما نطلبه تقريرًا عن ما تسمعينه خلال علاقاتك القوية بالسفارات ورجال السلك الدبلوماسي)

وتقول (لا أعرف ولا أحب)، واتجهت برلنتي عن طريق صحفية "بروز اليوسف" إلى اجتماع يسمى اجتماع "الثلاثاء" لقياس الرأي العام من الثورة؟!

وتقول في كتابها "المشير وأنا": (سرىَ همس حين وصل.. وقلت من؟ وقالوا الدكتور، وكان هو "عبد الحكيم عامر" ومعه ثلاثة قيل لي من الضباط الأحرار وعرفت أن هذا الاجتماع لكتابة التقارير واتجاهات الرأي العام في الدولة وحينما طلب منها أن تتكلم، قالت: إنها تريد الأمان!! وقال لها المشير (للدرجة دى إحنا بنخوف؟) وحكت للمشير عن صديقة اختفى أبوها.. أخذوه من الدار للنار ولا أحد من أهله يعرف أين هو!

وبعدها بدأت الأشباح في طريقها بقصد ضبطها متلبسة بشيء يساومونها عليه، ولكنهم لم يفلحوا معها..كيف؟!:"مرسي سعد الدين" يتصل بها ويقول لها: شركة فوكس تريد وجوهًا مصرية لأفلامها وقد رشحتك وأرسلت صورتك إليهم. فما عليك إلا أن تأتي معي للمطار وتقابلي (مستر جون مدير الشركة) وحاولي أن تكوني لطيفة معهم إنه طريقك للعالمية. وقالت: "آسفة.. لا أستطيع الذهاب" ويحدثها أنور عمار (صاحب صحارى سيتي) يتصل بها ويخبرها بوجود وفد سينمائي أجنبي وصل لعمل إنتاج مشترك، وأنها فرصة عظيمة بالنسبة لها وأنهم سيسهروا في صحارى سيتي، فقط عليها أن تحضر وتشارك في الرقص والعشاء!! وتقول:كيف يمكنني أن أذهب لقضاء سهرة في مكان عام مع قوم لا أعرفهم؟! ويحضر لها (أنور عمار) ويقول: المفروض أنت (فيديت) ممكن تقابلي أي حد.. أنت نجمة وممثلة شهيرة!! ثم شخص يدعى أنه مسيو (موريس) صاحب شركة لأفلام فرنسية يعطيها (صرة) بداخلها عدد من الأساور الذهبية والخواتم ويحاول أن يلاطفها؛ فتطرده!

ثم محاولات استقطاب من كاتبة دينية لمعرفة بعض المعلومات (س. ق) أو سنية قراعة.. وبعد كل ذلك وكله، يقول لها المشير: طلعتي جدعة يا عروستي أي عروسة، وأي جدعنة؟! لقد ضغط عليها كثيرًا (صلاح نصر) لأنها كانت

(لِمْضَة) وفي أول اجتماع فجرت قضية زوار الليل والناس اللي بيختفوا!! وكل ما مر بها من ضغوط كان الطريق لقلب المشير عامر، أنه يحب المرأة التي ليس لها ثمن. ونجحت النجمة برلنتي؟!

أما ما حدث إضافة إلى فشل صلاح نصر في إدخال برلنتي بلاطه، يشير إلى أن لعبة ما من قبل الفنانة تمت على العميلة (س.ق) وأصحاب التكليف ذاتهم! فهل كانت النجمة برلنتي مستعصية عن قناعة بقدرتها على الصمود في مواجهة غير متكافئة بينها وبين صلاح نصر صاحب النفوذ والسلطان؟! أم أنها كانت تستند إلى ذراع أقوى يستطيع الضغط على رقبة (صلاح نصر) حتى يصرخ مسترحمًا معاهدًا بالكف عن محاولاته لاصطيادها والإيقاع بها في حبائله؟!

الأقرب إلى الإقناع أن صلاح نصر قبل دفعه للعميلة (س. ق) للإيقاع بالفنانة لم يكن يرصد علاقة الفنانة بأحد طرفي الصراع الفوقي على السلطة وأكبر شخصية عسكرية في مصر!!. وإن الفنانة من منطلق علاقتها الحميمة بهذه الشخصية تصرفت بثبات إزاء محاولة اصطيادها، فأبدت موافقتها على التعاون مع جهاز المخابرات لتستدرج هي العميلة (س. ق) حتى تؤدي بها إلى الذين كلفوها بالمهمة (لقد فوجئت صائدة النساء بالنجمة برلنتي على التليفون تطلب رؤيتها وعندما ذهبت إليها، قالت لها: "أنتي كذبتي عليّ بالرجل الذي قدمته لي اسمه حسن عليش وليس عادل.. ورئيس المخابرات اسمه صلاح نصر"

وكان من عادة صائدة النساء ألا تذكر اسم صلاح نصر أمام ضحية من ضحاياها أبدًا وعلى الفور اتصلت صائدة النساء بحسن عليش تخبره بما دار بينها وبين الفنانة (ب. ع) ففوجئت به يقول لها: (لا تتصلي بها مرة أخرى، إلا إذا طلبنا منك ذلك) ولما تم لها ذلك استخدمت نفوذ الشخصية إياها بالشكل

الذي عكس الموقف وجعل صلاح نصر هو الذي يتحرك في بلاطها هي وينفذ ما تخططه من ألاعيب، لأن صداقة قوية كانت تربطه بالقائد العسكري الذي تزوجته فيما بعد، وكان يخشاه ربما من منطلق تحسبه لأن يحسم الصراع الفوقي على السلطة لصالحه وينفرد في المستقبل القريب بحكم البلاد!!..

وقد يؤيد تصورنا ما قاله هيكل؛ فيروي مُحَمَّد حسنين هيكل في كتابه «الانفجار» على لسان صلاح نصر «بعد أسبوع فقط من ذلك الحفل طلب المشير من مدير مكتبه عبد المنعم أبو زيد أن يبحث له عن مسكن آمن بحجة إيواء خبير ألماني (كانت مصر قد استعانت بعدد من الخبراء الألمان للعمل في الصناعات الحربية لكن (إسرائيل) كانت ترصد نشاطاتهم عن طريق عملائها ودبّرت لهم العديد من المؤامرات والاغتيالات) وأن يكرّس كل جهده للبحث عن هذا السكن وفي أقرب وقت ممكن، ولم تمض سوى أيام قليلة حتى عثر أبو زيد على فيلا يملكها رجل قطري ولا يسكنها ووجدها بأنها ملائمة وقام بإخبار المشير بذلك أثناء مرافقته له في رحلة إلى اليمن مخبرا إياه بأن الفيلا قد قاربت على الانتهاء من الإجراءات الأمنية المطلوبة، فما كان من المشير إلا أن قال له حينها: خذ الطيارة الصبح وانزل في مصر وتيجيني بكره ومعاك خبر الفيلا وقد انتهيت كليا.

فنزل أبو زيد إلى مصر وخلال ٢٤ ساعة فقط عاد وقد اتفق مع المالك على عقد الإيجار ورتبت كافة الالتزامات الخاصة بها ليعود بعد ذلك لرؤيتها.. رفقة المشير كنت أجلس بجانبه في سيارتي وأنا أنظر إليه وقد كان مبتسما خائفا مصدوما، وقد حاولت أن أجد تفسيرا لذلك التعبير الذي كان يرسم وجهه حينها، وحينما وصلنا طفنا حولها ثم دخلنا فوجدها مؤثثة ونظيفة وكاملة من كل شيء؛ فنظر اليّ أبو زيد وقال شكرا لك لقد أتعبتك معي لكنها المسؤولية وأنت

بإمكانك الذهاب الآن لأنني سأمكث هنا لبعض الوقت (لم يصرح لي بأنه ينتظر برلنتي) ويمضي صلاح نصر في كشف ما جرى في فيلا الهرم بالقول كما يرويها هيكل «كنت أتردد على الفيلا لإجراء إصلاحات الكهرباء والأثاث كما طلب مني المشير وأحسست بأن شيئا ما يحدث داخلها فهناك مناديل المشير التي كنت أشتريها له متناثرة هناك وهناك في أركان الصالة، وعندما كنت أذهب إلى الفيلا لم أكن أجد فيها أحدا وكنت أتساءل مع نفسي إذا كان الرجال الألمان قد ذهبوا إلى العمل فأين النساء؟ حينها بدأت الشكوك تساورني للحظات ولكنني قلت لنفسي مرة أخرى ما أغباني فربما خرجوا لقضاء بعض الأعمال أو لربما ذهبوا إلى أحد ما... وبينما كنت أهمّ بالخروج من الفيلا إذ بسيّدة ترتدي بلوزة وبنطلونا وتضع نظارة سوداء على عينها تناديني أستاذ عبده.. أستاذ عبده لو سمحت!! فاندهشت لكيفية معرفتها لي، لكنها صافحتني بدبلوماسية وقالت: متشكرة جدا!!، لم أتفوه حينها بكلمة واحدة وكان يمكن أن ألاحظ بأنها ليست خواجاية (يعني أجنبية) لأنها تتكلم عربي ولكن تفكيري أصابه الشلل حينما سمعتها تقول أنا متشكرة وأنا قلت للدكتور يتشكرّك عني حينها نسيت كل شيء وبدأت أفكر في كلمة الدكتور إلا أنها واصلت بالقول أنا مكنتش متوقعة الذوق والجمال ده، السّت ازيها؟، فأجبتها السّت مين؟ فقالت لي أم نبيل زوجتك!! هي كويسه جنبها لسّه تاعبها!! واستمرت بسؤالي عن الأولاد واحد واحد على التوالي قبل أن تتركني غارقا في دهشتي واستغرابي لمعرفة هذه المرأة لكل تفاصيل حياتي، هنا سارعت بالاتصال بعلي شفيق (مدير مكتب المشير عبد الحكيم) وقلت له: لماذا لم تخبرني بحقيقة سكان الفيلا، أنت قلت لي أنهم ألمان لكن الست اللي شفتها مش ألمانية دي عربية أصلية وبتعرف تفاصيل حياتي، فما كان من علي شفيق إلا أن أجابني إذن هي برلنتي عبد الحميد!! فأجبته هي دي الخبير؟ وعندما رأيت المشير عبد الحكيم قال لي

شفت الست اللي كنت بتشتم فيها لعلي شفيق بكرة لما تعرفها حتلاقيها طيبة وحتبدّل النظرة التي أنت شايفها دلوقتي، لم أكن حينها أعي جيدا بأن تلك المرأة قد أضحت زوجة المشير وقد أضحت تعرف كل شيء عن تحركاته وأسراره وأموره السياسية.

وعندما وصل الأمر إلى القيادة العامة للثورة استدعت المخابرات المصرية برلنتي عبد الحميد للاستجواب ومعرفة طبيعة علاقاتها بالمشير، حينها علم المشير فقام باعتزال جميع مناصبه في الدولة ١٩٦٧/٦/١٠ بعد أن شعر بأنه أصبح وحيدا في تحمل مسؤوليات الهزيمة وبأنه سيواجه الشعب وحده معزولا عن أي مساندة من القوات المسلحة التي كان قد ابعِد عنها بأمر من جمال عبد الناصر وقلّصت اختصاصاته وصلاحياته إلى ابعد حد في مواجهة الرئيس.

وبعد أن علم عبد الناصر بحقيقة العلاقة التي تربط المشير ببرلنتي استشاط غضبا بعد أن وضعه بالإقامة الجبرية ببيته بالجيزة ف (حاول المشير قيادة انقلاب على عبد الناصر في ١١/ ٦ /٦٧ رفقة بعض ألوية وعمداء وعقداء القوات المسلحة المقربين إليه مطالبين بحضور المشير لقيادة وممارسة السلطة) فقمت شخصيا بنقل المشير من بيته إلى استراحة المريوطية وكان برفقتي عدد من الضباط على رأسهم عبد المنعم رياض، طرقنا بابا فدخل عبد المنعم رياض إلى الصالون الذي يجلس فيه المشير وطلب منه بلطف الخروج والتوجه معنا إلى مكان جديد.. رفض المشير في البدء ثم تناول شيئا ما ووضعه في فمه وأخذ يلوكه فصرخت ابنته نجيّة قائلة بأن أباها قد وضع سمّا في فمه، وفي الطريق بدأ المشير يدخل في مرحلة فقدان الاتزان، فاتصلنا بعبد الناصر حينها وأخبرنا أن ننقله إلى المستشفى، وبعد أن أشار الأطباء إلى أن حاله المشير جيّدة أخذناه وتوجهنا إلى استراحة المريوطية، وأثناء الطريق دخن المشير سيجارة دون أن

يتبادل معنا أي حديث، وعند وصولنا جلسنا معه بعض الوقت قبل أن نتركه هناك تحت الحراسة المشددة إلى حين مقابلته مع عبد الناصر، وبينما أنا في الطريق وصلني إخطار عاجل يفيد انتحار المشير عامر بمادة سامة تناولها يوم ١٩٦٧/٩/١٣ قضى بسببها نحبه في اليوم التالي..

يقول حسنين هيكل عن اللحظات التي عرف بها عبد الناصر بعلاقته المشير وزواجه من برلنتي عبد الحميد «وفي ٢٠ فبراير ١٩٦٧ قرأ عبد الناصر تقريراً كان بمثابة صدمة، كان التقرير عن زواج عامر وبرلنتي وأنهما ينتظران مولوداً نتيجة لهذا الزواج، ورأى عبد الناصر أن ينتظر أياماً قبل أن يفاتح عامر في الموضوع حتى لا تتملكه انفعالات الغضب وتصعب المناقشة الجادة في تصرف يصعب السكوت عليه، كان شعور عبد الناصر لأول وهلة أن عبد الحكيم عامر يجب أن يبتعد عن منصبه وما دام قد اختار أن يغلب ضعفه الإنساني على شعوره بالواجب فإن الأمور تقتضي حسماً، وقام عبد الناصر باستدعائه لمقابلته يوم أول مارس ١٩٦٧، وكانت مشاعره مختلطة بين الأسى والغضب، فقد كان عبد الحكيم عامر أقرب الناس إليه منذ كانا في عز الشباب ضابطين بالقوات المسلحة، ثم خدما معاً في السودان قرابة عامين، ثم كان عبد الحكيم عامر ساعده الأيمن في تنظيم الضباط الأحرار، وكان هو الذي يتولى الإشراف على شؤون التنظيم بما فيها الاتصال مع الضباط الذين انضموا إلى صفوفه وكان عبد الحكيم عامر بطبيعته إنساناً ودوداً قادراً على كسب ثقة زملائه والاحتفاظ بودّهم، وليلة الثورة كان بجانب عبد الناصر طوال الوقت وفيما بعد، لصلته بتنظيم الضباط الأحرار ولمعرفته الواسعة بهم، وبغيرهم من المتعاطفين مع الثورة أو الذين ساعدوا على قيامها واستقرارها رقيّ إلى رتبة

اللواء وأصبح قائداً عاماً للقوات المسلحة وقد ساعده في هذه المهمة وتولى وزارة الحربية بعد شمس بدران..

ويضيف هيكل: «ومع أن عبد الحكيم عامر لم يكن في أحسن أحواله أثناء معركة سنة ١٩٥٦ إلا أن ظروف العدوان الثلاثي كانت تغلب على أعصابه، ثم إن تجربته في سوريا لم تكن ناجحة. وبرغم ذلك فإن عبد الناصر كان دائماً على استعداد لأن يعطيه فرصة أخرى وكان عبد الحكيم عامر من ناحيته يشعر بهذه الحقيقة ومن ثم فإنه أصبح في بعض الأحيان حساساً بأكثر من اللازم، وحين وصل عبد الحكيم عامر إلى مكتب جمال عبد الناصر في بيته في منشية البكري فإنه أحس على الفور بأن هناك شيئاً غير عادي في الجو، وبدا من بعض تصرفاته أن لديه فكرة عن الموضوع الذي استدعي من أجله..

كان أسلوب عبد الحكيم عامر المعتاد عندما يوجه إليه أي تساؤل عن تصرف من تصرفاته أن يبدأ بإثارة زوابع صغيرة ويتخذ مظهر الغاضب المجروح المعتدى عليه، وهكذا عندما سأله جمال عبد الناصر في موضوع زواجه السري بدأ غاضباً ومتألماً وقائلاً: «إنه سئم هذه الحملات الموجهة ضده والتي تثور من وقت لآخر وإنه لم يعد يطلب غير أن يبتعد وإنه يفضل أن يعود إلى قريته «أسطال» بالمنيا ويعيش هناك فلاحاً عادياً، يزرع ويقلع ولا يكون نائباً لرئيس الجمهورية أو نائباً للقائد الأعلى للقوات المسلحة.. انتظره جمال عبد الناصر حتى أفرغ ما لديه ثم كان تعليقه أن كل ما سمعه من المشير خارج الموضوع، وأن سؤاله كان سؤالاً محدداً، وليست هناك جدوى من تجنب الرد عليه مباشرة.. وهكذا هبط عبد الحكيم عامر فوراً من الغضب إلى التظاهر به دفاعاً عن النفس، واعترف بعلاقته مع السيدة برلنتي عبد الحميد، ولم يجد ما يبرر به تصرفه سوى أنه وجد أخيراً إنسانة تستطيع أن تفهمه وكانت الدموع تلوح في

عينيه وهو يحاول أن يكتمها، ثم لم يتمالك نفسه وراحت دموعه تجري على خدّيه في صمت..

وسأل جمال عبد الناصر عن الظروف التي تعرف فيها عليها وكان ردّ عبد الحكيم عامر أنه تعرف بها عن طريق صلاح نصر.

تحت معطف الذقون الطويلة

عن كتاب (الإخوان والجيش) لسعود المولى

يحدثنا التاريخ أن علاقة الإخوان بالجيش تعود إلى ما قبل ثورة ١٩٥٢ بسنوات طويلة، وكانت أقرب إلى علاقة التحالف والصداقة، لقد كانت جزءا من علاقة تنظيم الضباط الأحرار بالإخوان المسلمين، التي تعود إلى منتصف الأربعينيات من القرن الماضى، ويرى "سعود المولى" في كتابه الإخوان والجيش الصادر في ٢٠١٧ أن تنظيم الضباط الأحرار – بحسب الإخوان – تنظيم إخواني أساسا، وظل إخوانيا صرفا حوالي خمس سنوات منذ تأسيسه في ١٩٤٦وحتى استقل به عبد الناصر عام١٩٥٠ ويرى البعض من مؤرخي تلك الفترة أن بداية تنظيم الضباط الأحرار تعود إلى عام ١٩٤٦في منقباد، عندما كان عبد الناصر وأنور السادات وبعض الضباط حديثو التخرج هناك فبدأوا في تشكيل تنظيمهم. وهذا ما كتبه السادات في كتابه "البحث عن الذات" ويرى مؤرخون آخرون أن تنظيم الأحرار شُكّل عام ١٩٤٩وهو ما يتفق مع ما كتبه خالد محيى الدين في كتابه "والآن أتكلم" وفي كلا التاريخين وجدت العلاقة بين الإخوان والجيش. لقد انعكست على تنظيم الضباط الأحرار الأحداث التي أثرت على مجرى الحياة السياسية في المجتمع المصري، وأهمها حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ وثورة رشيد عالى الكيلانى في العراق وظروف الحرب العالمية الثانية، ثم حرب فلسطين عام ١٩٤٨ التي تعد وبحق أحد الأسباب المباشرة التي عجلت بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢نتيجة لتزايد السخط في نفوس ضباط الجيش مما لاقوه في هذه الحرب..

ويكتب "خالد محيى الدين": (إنه في منتصف ١٩٤٩كان الاجتماع الأول للضباط الأحرار وكان في بيت عبد الناصر، وحضره ٦ضباط هم: جمال وعبد المنعم عبد الرؤوف، وكمال الدين حسين، وحسن ابراهيم، وخالد محيى الدين. وقتها قال عبد الناصر: أنا معايا عبد الحكيم عامر، لكنه لم يستطع الحضور اليوم) وتمكنت وقتها جماعة الإخوان المسلمين، والتنظيمات الماركسية، ومصر الفتاة من اجتذاب بعض الشباب من ضباط الجيش إلى الاهتمام بالقضايا العامة وأدى ذلك إلى أن تتباين الاتجاهات داخل تنظيم الضباط الأحرار، حيث سبق أن انضم بعضهم إلى جماعة الإخوان مثل: عبد المنعم عبد الرؤوف وكمال الدين حسين، وانضم البعض الآخر إلى الأحزاب اليسارية مثل يوسف صديق، وأحمد حمروش وخالد محيي الدين.

وتعلن د.لطيفة أحمد سالم في كتابها "سقوط الملكية": أن جمال عبد الناصر في عنقه بيعة للشيخ "حسن البنا" وهناك فرقة للضباط بالإخوان كان فيها: عبد المنعم عبد الرءوف، وحسين حمودة، وكمال الدين حسين، وخالد محيى الدين – وإن كان خالد محيى الدين في إحدى الجماعات الشيوعية "استرا". ويرى البعض أن اتصال جماعة الإخوان بالضباط الأحرار بدأ منذ الحرب العالمية الثانية. وكان عزيز المصري يمثل نقطة البداية في هذه الاتصالات إذ إن صلة الإخوان "بعزيز المصري" كانت سابقة لصلتهم بالجيش، وكذلك صلة الضباط به كانت سابقة على صلتهم بالإخوان، فقد قام وفد من الإخوان وعلى رأسهم "حسن البنا" المرشد العام للجماعة باستقبال عزيز المصري في المطار، إثر عودته من لندن عام ١٩٣٧، وقد استقبله في المطار ثلاثة أشخاص يرتدون الملابس الإسلامية وقدموا له التحية «وفقا لرواية "ريتشارد ميتشيل" في كتابه الأشهر والأبرز عن الإخوان المسلمين» ومنذ ذلك التاريخ توطدت

العلاقة بين حسن البنا وعزيز المصري، ويشير أنور السادات إلى الاتصال الذي جرى بين الضباط الأحرار، والإخوان بأنه قد قابل حسن البنا عام ١٩٤٠ وتكررت زياراته له، وكان الشيخ حسن البنا هو من قدمه إلى عزيز المصري أول مرة وعرض عليه الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين، وكاشفه عن نشاطه في جمع السلاح وتخزينه والتزامه السرية الكاملة في ذلك حتى على الإخوان أنفسهم. وقد حل عبد المنعم عبد الرؤوف محل أنور السادات كضابط اتصال بين الجيش والإخوان بعد القبض على السادات في أغسطس ١٩٤٢ ومعه زميله حسن عزت بسبب اتصاله بعملاء الألمان، وأخذ عبد المنعم عبد الرؤوف يدعو في الصفوف العليا للضباط لتأييد الإخوان المسلمين وساعده في ذلك "محمود لبيب" وكيل الشؤون العسكرية بحركة الإخوان المسلمين وتم لقاء بين محمود لبيب ضابط الجيش المتقاعد، وجمال عبد الناصر في صيف ١٩٤٤.

وفي هذا الاجتماع تحدث محمود لبيب عن التحرير وعن الحاجة الشديدة إلى أن يبدأ الجيش في القيام بدور نشط في قضايا الأمة، وأن يعمل على تخليصها من ورطتها وركز على الحاجة إلى الإيمان وسأله جمال عبد الناصر عن معنى ذلك من الوجهة العملية، فكانت الإجابة، فلنبدأ بتنظيم تلك المجموعة المؤمنة من مجموعات الجيش بحيث تكون منضمة لنا عندما يحين الموعد ليصبح من المستحيل على أعدائنا أن يسحقونا، ولقد كان من بين نتائج هذه المقابلة أن عبد الناصر قد تأثر باللقاء تأثرا عميقا وبدأ يرتب لوضع خطة الثورة!

وانضم إلى عبد الناصر ضباط آخرون داخل الجيش مثل رشاد مهنا وكمال الدين حسين وحسين الشافعي، ولعب عبد المنعم عبد الرؤوف دورا مهما في إقناع الضباط بضمهم إلى الجماعة.

وفي فبراير ١٩٤٦، سئل عبد الناصر هل تتوقع من الإخوان خيرا، قال «نعم.. خيرا كثيرا»، وكان هذا أول تعبير طيب لعبد الناصر تجاه الإخوان، مما دفع البعض من المؤرخين والباحثين السياسيين إلى أن يصل إلى نتيجة مؤداها أن عبد الناصر فكريا يعود بجذوره إلى مصر الفتاة وجماعة الإخوان، وأن «فلسفة الثورة» ما هى إلا ترجمة متطورة لمخطوطات الشيخ حسن البنا في الثلاثينيات.

لقد بدا الإخوان المسلمون في صورة طيبة أمام أعين تنظيم الضباط الأحرار بعد انتهاء الحرب. ويرجع أحد كتاب الثورة (أحمد حمروش) انجذاب عدد من ضباط الجيش لجماعة الإخوان إلى سببين: معاداة الجماعة للحزبية في صورتها التي كانت سائدة قبل الثورة، والسبب الثانى هو ما اتسم به نظامها من دقة، حيث كانت أكثر انضباطا من كل الأحزاب. ومن ثم عمل الضباط الأحرار كحلقة وصل بين الجيش والإخوان ليعملوا معا دون روابط ظاهرة إلى أن يحين الوقت.

وعندما استدعي عبد الناصر أمام إبراهيم عبد الهادي الذي سأله عما إذا كان يؤيد حكم الإخوان لمصر فأجاب[إن بعض المصريين يفضلون السعديين، وبعضهم يفضل حكم الوفديين، والبعض الآخر يفضل الإخوان، وأنا من هؤلاء الآخرين.]

بل إن العلاقة بين الإخوان وعبد الناصر دخلت مرحلة أكثر ترابطا مع اقتراب يوم إعلان الثورة في٢٣ يوليو ١٩٥٢ ففي ديسمبر ١٩٥٠ ثارت شبهات حول أمر الضباط الأحرار وتم القبض على عدد منهم قبل الإعلان رسميا عن تدخلهم في المسائل السياسية، وقد أدى ذلك إلى مزيد من التقارب بين الطرفين، وتحسبا لأسوأ الاحتمالات قام جمال عبد الناصر بترتيبات سرية

لنقل مخزون الأسلحة وإخفائه في عزبة (محمود العشماوى) والد صديقه "حسن العشماوى" أحد أعضاء جماعة الإخوان.

ويرى البعض من مؤرخي تلك الفترة أنه كانت هناك علاقة بين الإخوان وعملية الإعداد للثورة، فقد كانت هناك ثلاث شخصيات بارزة من الإخوان على علم مقدما بموعد الثورة، وهم "صلاح شادي" العضو القيادى للبوليس السري داخل حركة الإخوان، و"حسن عشماوي" الذي أخفى الأسلحة في عزبة والده عام ١٩٥٠، و"عبد الرحمن السندي" رئيس الجهاز الخاص، إلا أنه ورغم أن اثنين من هؤلاء الثلاثة وهما: صلاح شادي، وحسن عشماوي كانا من أبرز أنصار حسن الهضيبي، فإنه يرجح أن يكون الاتصال بين الإخوان الثلاثة المذكورين والضباط قد تم دون علم الهضيبى.

وكان من نتيجة الاتصال بين الإخوان والثورة أن تم التوصل إلى اتفاق بين المجموعتين بخصوص الدور الذي يمكن أن يلعبه الإخوان يوم الثورة وكان الاتفاق كما يذكر "سعود المولى" في كتابه الإخوان والجيش حول ثلاثة أدوار أساسية :الأول إذا ما نجحت حركة الثورة فعلى الإخوان تأمين الوضع في الداخل وحماية المنشآت الأجنبية وإثارة حماس الجماهير لها إذا ما احتاج الأمر إلى ذلك.. الثانى على الإخوان أن يساعدوا في حماية الضباط الأحرار وتوفير سبل الهرب لهم إذا فشلت ثورتهم. الثالث التصدي لأي تدخل بريطاني محتمل الوقوع. وهكذا كانت الصورة العامة للعلاقة بين حركة الإخوان المسلمين، والضباط الأحرار قبل يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وهى الصورة العامة التي لا يمكن فهمها أكثر، دونما معرفة رأى أصحابها الحقيقيين فيها، ولاكتمال التحليل نورد هنا وجهتي النظر لطرفي العلاقة الأصليين، وبشأن رؤية الإخوان لعبد الناصر وقبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ترد هنا روايتان لاثنين من الشخصيات الثلاثة التي قيل إنها كانت

على علم مسبق بميعاد الثورة وهما صلاح شادي وحسن العشماوي، يرى صلاح شادي (أن الإخوان المسلمين أنفسهم هم الذين كونوا الضباط الأحرار، فلقد كوَّن حسن البنا نظاما خاصا للإخوان يضم مدنيين وعسكريين يؤهلون تأهيلا عسكريا للقيام بأعمال فدائية يتطلبها نشاط الجماعة في الداخل أو الخارج سواء في محاربة الإنجليز، أو في الجهاد في فلسطين، وكان ارتباط جمال عبد الناصر، وكمال الدين حسين وغيرهما من الضباط ضمن تشكيل هذا النظام الخاص باعتبارهم من الإخوان المسلمين، فلما تكاثر عدد الضباط بدأ الأستاذ حسن البنا يفكر في تشكيل قيادة خاصة لهؤلاء الضباط تكون مستقلة عن النظام الخاص وأسند رئاستها للصاغ "محمود لبيب" وكيل الجماعة باعتباره ضابطا سابقا بالجيش، وكان يرى أن يجعل لهذا النشاط اسما حركيا بعيدا عن الإخوان المسلمين فسماهم" الضباط الأحرار"..

هذه هي رواية صلاح شادي (مجلة الدعوة عدد مايو ١٩٧٨)

أما رواية حسن العشماوي التي أوردها في كتابه (الإخوان والثورة) الصادر عن روز اليوسف ١٩٧٨؛ فيرى أن تنظيم الضباط الأحرار بدأ أصلا بمجموعة من الإخوان المسلمين في الجيش ولكنها انفصلت عام ١٩٤٨ حين استطاع جمال عبد الناصر – الذي كان قد تردد قبل ذلك على أكثر من هيئة سياسية – الاحتفاظ بزملاء له فيها أن يقنع رئيسه الضابط المتقاعد الصاغ "محمود لبيب" بانفصالها واستقلالها بكثير من أمورها الخاصة على أن يكون اللقاء في الخطوط الرئيسية والأهداف، وأن حجة عبد الناصر الرئيسية في الانفصال كانت أن الشروط الخلقية التي يتطلبها الانضمام لجماعة الأخوان، لم تكن متوفرة لدى أغلب الضباط، وأنه يقاس معيار العسكرية بالشجاعة والإقدام والجراءة والقوة.. وبعد انفصال تنظيم الضباط الأحرار – وفقا لرواية

حسن العشماوي – توسع عبد الناصر في ضم الضباط إليها بغير شروط غير مجرد السخط على نظام الحكم، وهكذا ضم ذلك التنظيم أشخاصا ينتمون إلى مختلف الهيئات السياسية في مصر، وظل كل منهم يظن أن عبد الناصر يوافقه على مبادئه، ثم ضم عبد الناصر للأحرار "مجموعة من الغارقين في العبث – ضباط النساء والكيف" ويؤكد العشماوي أنه قد عرف جمال عبد الناصر في أكتوبر **١٩٥١** بعد إلغاء المعاهدة المصرية البريطانية عندما دخل مكتبه بزيه العسكري واتخذ له اسما مستعارا هو «زغلول عبد القادر»، ومنذ ذلك الوقت كما يقول حسن العشماوي أصبح أحد أدوات الاتصال بين الضباط الأحرار والإخوان في أمور معارك قناة السويس، وأن الصلة بينه وبين عبد الناصر قد توطدت إلى الحد الذي شكا له فيه عبد الناصر من جهالة زملائه في الجيش وضيق أفق الإخوان في الجماعة

وهكذا تتحدد وجهة نظر الإخوان المسلمين في أن الضباط الأحرار قد خرجوا من رحم حركة الإخوان، وأن انفصالهم تم بتخطيط من عبد الناصر ولاعتبارات وتوازنات سياسية تفهمها وقبلها الطرفان، وأن هذا الانفصال لم يمنع من استمرار العلاقة التي بدأت في رأيهم على أيام الشيخ حسن البنا إلى عام **١٩٤٩** وهو تاريخ اغتياله.

ولكن..كيف رأى الضباط الأحرار جماعة الإخوان؟!

يمكن بلورة رؤية الضباط الأحرار بقيادة عبد الناصر الإخوان من واقع عدة كتابات: فيروي خالد محيى الدين جذور العلاقة قائلا:

(إن الصاغ ثروت عكاشة طلب إليه في يوليو **١٩٤٩** أن يلتقي به في مكان هادئ، وفي المقابلة أبلغه أن إبراهيم عبد الهادي باشا قد استدعى

صديقهما الصاغ جمال عبد الناصر للتحقيق يوم ٢٤ يونيو ١٩٤٩ بحضور اللواء عثمان المهدي رئيس أركان حرب الجيش، ودار في الاجتماع تحقيق مع جمال عبد الناصر حول علاقته بجماعة الإخوان المسلمين، وكان الخيط الذي تمسك به إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء في التحقيق أن البوليس قد عثر في أحد مخابئ الجهاز السرى للإخوان المسلمين على أحد الكتب السرية الخاصة بالقوات المسلحة التي تدرس صناعة واستخدام القنابل اليدوية، وكان على الكتاب اسم "اليوزباشى جمال" وبعد تحقيق عنيف ملىء بالتهديد استطاع عبد الناصر الإفلات متمسكا بأنه كان قد أعار هذا الكتاب لليوزباشى "أنور الصيحي" الذي استشهد في حرب فلسطين، كما يذكر خالد محيي الدين أنه قد تعرف على جمال عبد الناصر في أواخر عام ١٩٤٩بواسطة قائد الجناح عبد المنعم عبد الرؤوف المعروف بانتمائه لجماعة الإخوان المسلمين، وتوطدت صلتهما معا، وكانا على علاقة وثيقة بجماعة الإخوان المسلمين عن طريق الصاغ بالمعاش "محمود لبيب"

وكانت المجموعة ذات الصلة بالإخوان تضم ضباطا آخرين منهم كمال الدين حسين وحسن إبراهيم، وعبد اللطيف البغدادى (خالد محيي الدين– جريدة «الأهالى» ١٩٧٨/٧/٢٦)

ويرجع أنور السادات بدء علاقاته بالإخوان المسلمين إلى عام ١٩٣٩ عندما فوجئ بأحد الجنود يهمس في أذنه بأن بالباب رجلا ممتازا في الدين يريد أن يقول كلمتين للجنود بمناسبة المولد، وكان الرجل هو حسن البنا، وأعجب السادات به لأنه كان يجمع بين الدين والدنيا وكان يمثل زعامة دينية فريدة.. واستمرت اللقاءات بين السادات وحسن البنا في درس الثلاثاء، إلى أن بدأ التنسيق بينهما وبدعوى التعاون المشترك من أجل مصلحة مصر، وقام

السادات – كما يذكر – (بتجنيد عبد المنعم عبد الرؤوف للإخوان) وكانت اتصالات السادات بحسن البنا هى جزء من الاتصالات الواسعة – من قبله – لتوسيع الضباط الأحرار، وكانت مراقبة من المخابرات البريطانية، واستمرت – وفقا لروايته – حتى قامت الثورة (السادات: البحث عن الذات – المكتب المصري الحديث – ١٩٧٩ – ص ٣٤-٣٦).

أما رواية عبد الناصر فترد في تلك الإجابة الطويلة التي رد بها على سؤال من أحد الشباب في معسكر إعداد قادة منظمة الشباب الاشتراكى العربى في نوفمبر ١٩٦٤، الذي كان يدور حول صحة ما نشر بأنه كان عضوا بجماعة الإخوان المسلمين، فأجاب قائلا: (أنا قبل الثورة كنت على صلة بكل الحركات السياسية الموجودة في البلد، يعني مثلا كنت أعرف الشيخ حسن البنا، لكن ماكنتش عضو في الإخوان، فيه فرق إني كنت أعرف الشيخ حسن البنا وفرق إني أكون عضو في الإخوان، كنت أعرف ناس في الوفد، كنت أعرف ناس من الشيوعيين، وأنا أشتغل في السياسة، كنت ماشي في الإسكندرية لقيت معركة بين الأهالي والبوليس، اشتركت مع الأهالى ضد البوليس، وقبضوا عليّ ورحت القسم، وبعدما رحت القسم سألت الخناقة كانت ليه، وكنت في ثالثة ثانوى، فقالوا إن رئيس حزب مصر الفتاة بيتكلم.. والبوليس جاي يمنعه بالقوة، وقعدت يوم وتاني يوم طلعت بالضمان الشخصي رحت انضميت لحزب مصر الفتاة، وبعدين حصلت الخلافات سبت «مصر الفتاة»، ورحت انضميت للوفد، وطبعا أنا الأفكار التي كانت في رأسي بدأت تتطور وحصل نوع من خيبة الأمل بالنسبة لـ «مصر الفتاة» ورحت الوفد، وبعدين حصل نفس الشيء بالنسبة للوفد، وبعدين دخلت الجيش وبعدين ابتدينا نتصل في الجيش بكل الحركات السياسية، ولكن ماكناش أبدا في يوم أعضاء في الإخوان المسلمين

أبدا، ولكن الإخوان المسلمين حاولوا يستغلونا فكانت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار موجودة في هذا الوقت، وكان معنا عبد المنعم عبد الرؤوف وكان في اللجنة التأسيسية، وجِه في يوم وضع اقتراح قال إننا يجب أن نضم حركة الضباط الأحرار إلى الإخوان المسلمين. أنا سألته ليه؟ قال إن دى حركة قوية إذا انقبض على حد منا تستطيع هذه الحركة أنها تصرف على أولاده وتؤمن مستقبله، فقلنا له اللى عايز يشتغل في الموضوع الوطني لا يفكر في أولاده ولا يفكر في مستقبله، ولكن مش ممكن نسلم حركة الضباط الأحرار علشان مواضيع شخصية بهذا الشكل. وحصل اختلاف كبير صمم عبد المنعم عبد الرؤوف على ضم حركة الضباط الأحرار إلى الإخوان المسلمين، إحنا كنا رفضنا كان طبعا في هذا الوقت الشيخ حسن البنا الله يرحمه مات، وأنا كانت لي به علاقة قوية، علاقة صداقة ومعرفة، زي ما قلت لكن لم أكن أبدا عضوا بالإخوان المسلمين).

وهكذا يقدم عبد الناصر والسادات وخالد محيي الدين وجهة نظر الضباط الأحرار في جذور العلاقة وطبيعتها. ولكن الملاحظة التي تؤخذ على هذه الروايات تجاهلها لبعض الأدوار المشتركة التي جمعت بين التنظيمين، في إطار المسألة الوطنية ومقاومة الاستعمار، مثل حرب فلسطين ومعارك قناة السويس وما صاحبهما من تدريب وتسليح ومقاومة مشتركة التي أنتجت فيما بعد تأثيرا إيجابيا متبادلا بين الطرفين. من هذا العرض لآراء الأطراف ومقارنتها بآراء مؤرخي هذه المرحلة تبرز حقيقة: (أن ثمة علاقة قوية قوامها تبادل المصلحة والمنفعة كانت قائمة بين حركة الإخوان المسلمين وتنظيم الضباط الأحرار قبل الثورة، وأن علاقة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين لا يمكن فهم بداياتها وتطورها العام فهما صحيحا دونما تناولها في إطار صراع القوى

والمصالح والاتجاهات الذي كان يموج به الواقع المصري في الأربعينيات، مضافا إليه المتغير الخاص بتصاعد الحدة الوطنية تجاه مسألة فلسطين وقضية الاستقلال الوطنى والمعاداة للغرب)

المخدرات طريق اللي يروح ما يرجعش!!

عن كتاب مارجريت سنكلر (بقلب مفتوح)

قالت مارجريت سنكلر: أنا لن أعود!!

فقررت أن تذيب أحزانها وأوجاعها في (كتاب) فقد صدر منذ سبعة سنوات كتابها (بقلب مفتوح) والكتاب يحكي لوعتها وقصتها مع المخدرات. ففي "ألف ليلة وليلة" ثلاثة طرق: السلامة والندامة واللي يروح ما يرجعش.. وتقول: ولم أعرف أن المخدرات هي الطريق الثالث اللي يروح ما يرجعش.. وأنا أختار من مذكراتها أو كتابها الجميل الرشيق الملئ بالدموع والصراخ ما يتعلق بإدمان هذه المرأة وتعلقها بالمخدرات أي ما يتعلق بعذاب هذه الجميلة الرشيقة الذكية الغنية إنها تقول: المخدرات منتهى المهانة.. يكفي أن تنظر لي وتسمع حكايتي وتعرف شخصيتي لتتحسر وتعرف (آه) ومعناها.. وتعيشها.. وتشعر بها!! وهي ليست هينة.. إنها أول سيدة أولى في التاريخ تتزوج وتنجب من زوجها رئيس الوزراء وعمرها ٢٢ سنة!! وهي أيضًا ابنة لوزير سابق في الحكومة الكندية التي كان يرأسها "ليستر يدسون" وكانت الأسرة التي تربت فيها أسرة سعيدة،

فقد تزوجت من بيترودود رئيس وزراء كندا ويقولون عنها: "دخلت البنطلون الجينز ولم تخرج منه لأنها استطاعت أن تحافظ على رشاقتها حتى بعد أن أصبحت أمًا لثلاثة أولاد!!" وكان الناس يقولون هذه العبارة دائمًا: أنه رئيس الوزراء ترودود فمن تكون هذه السردينة أم بنطلون جينز؟ وكانت هي صاحبة

العبارة التي رددتها بعدها بنفس الاستماتة الأديبة الفرنسية فرانسوا ساجان:"ابصقوا على المخدرات ابصقوا أنتم أما أنا فآسفة لقد أدمنت!!".

سألها الرئيس بوتو "رئيس باكستان": عن الأسباب التي دعت كندا إلى إلغاء عقوبة الإعدام، وردت عليه:"إنها موجودة فقط لمن يقتل أحد رجال الأمن" أما الآن بعد أن تركت زوجها وكندا وثلاثة أولاد بسبب إدمانها المخدرات والهيروين، فهي تدعو كندا لإعادة عقوبة الإعدام مرة أخرى ضد تجار المخدرات، وفي آخر سطور اعترافاتها تكرر: "لا أمل في أن أعود إلى زوجي، لا أمل فهذا شيء من وراء العقل ولن أخرج من هذه المأساة سليمة أو كريمة!! ويأتي السؤال:"كيف حدث ذلك؟! "وصلت المخدرات لزوجة رئيس وزراء كندا وخربت بيته ويتمت أولاده وأمهم حيّة نعم فوق ذلك وقف الرئيس "ريجان" رئيس امريكا السابق وأعلن هو وزوجته (نانسي) أن المخدرات أول وأخطر تهديد للأمن القومي الأمريكي.

عرفت سنكلر، الحشيش والأفيون ويقال عرف عنها زوجها ذلك ومن قبله أبوها وأحس الجميع في منزل رئيس الوزراء بهذه الرائحة العطرية المميزة!! وكان لها علاقات وكثيرة وعالمية لأن زوجها في صبر أيوب لمركزه الحساس ولأن ثلاثة أولاد هي أمهم، ولأنها إنسانة حساسة حاولت أن تتخلص من هذا الإدمان وتقول في كتابها: "شكوت للملكة (عالية) ملكة الأردن وراسلتها بعدة خطابات وإن نصائحها لها كانت صعبة التطبيق" واعترف لها الرئيس جيسكار ديستان بمشكلة المخدرات في فرنسا وقال لها جاك شيراك: في أسرتي واحد أدمن المخدرات وأمكن علاجه بتهديده بحرمانه من الميراث والطرد، وعندما قال لها الرئيس بوتو أنه أعدم في باكستان ٢٠٠ مجرما سنة ١٩٨٧ بسبب

المخدرات، ابتعدت عنه وتركته وخرجت عن قواعد البروتوكول، فقد انتابها خوف أن يعرف ما تحت لسانها فيأمر بإعدامها!

وتقول مرجريت: أنها لم ترتبط في صباها بأحد الشباب مثلما تفعل الفتيات في هذا السن بفرنسا، لكنها تعرفت على مدرس بريطاني جاء إلى كندا للدراسة، وكانا يقضيان الأمسيات في النقاش والدراسة وسماع الموسيقى الكلاسيكية وأعجبت به حينما تولى الدفاع عن أحد الطلبة الذين أبعدتهم الجامعة لأسباب سياسية.

وقد تعلمت مرجريت تعاطي المخدرات والحشيش والماريجوانا، وهي لا تزال طالبة في الجامعة، وفي أحد البيوت على حافة البحر، حيث النورس يتصارع فوق الرؤوس، وحيث تقضي ساعات تغني فيها وتستمع إلى الأغنيات المسجلة تقول:

"كان من السهل أن تحصل على الماريجوانا، فقد كنا نزرعها في حدائقنا جميعًا، وكنا نشتريها بثمن بخس وبكميات كبيرة قادمة من المكسيك أو كاليفورنيا كنت ألتهم كل شيء: (الموسيقى والمخدرات، والحياة، ذات يوم تناولت مهلوسًا وقضيت ثمانية ساعات فوق شجرة أحسست خلالها أنني عصفورة .وذات يوم، وبعد أن التقيت ببير ترودود – الذي كان وزيرًا للعدل آنذاك – سافرت مع مجموعة من أصدقائي إلى المغرب، وتقول: حينما وصلنا إلى أغادير بين جماعات الهيبز، كان أول شيء فعلته هو أن أجرت منزلاً من البامبو على أحد الشواطئ"، وتقول: "وكان عليّ أن أفعل مثلما يفعلون، أعزف الجيتار وآكل مثلهم، وأن ألقي بكل المبادئ المرتبطة بالحرية الجنسية والحياة، فلأول مرة عانيت من مضار السلام والهدوء والحرية الكاملة، وتقول مارجريت:

أنها من المغرب تعلمت كيف (تتعاطى الكيف) الذي يدخنونه بواسطة أنابيب طويلة من الخشب، كانت حياة سهلة هادئة، أحسست من جديد أنني مقيدة، وتتحدث عن عقار الهلوسة الذي تتعاطاه بأنها صعدت به "ببطء سلم التنوير الهلامي"، وتقول مرجريت: أنها عندما التقت بعد ذلك للمرة الثانية بترودود، بأنها أحست بالخجل قليلاً لأنها تركت نفسها تسقط صريعة لنزوات الهيبز، وكان كل ما يهمني هو أن لا أضع شيئًا على كاهلي وأنا أقابل رئيس الوزراء المقبل.

ولا شك أن تجربة زواج مرجريت من بيير ترودود قد أبعدتها بصفة مؤقتة عن هذا العالم الضائع: ليس من السهل على فتاة هيبية ترتدي قميصًا هنديًا وتنورة ريفية أن تتحول في أشهر قليلة إلى سيدة كندا الأولى، فسرعان ما اكتشف أن فتاة العشرينات قد أصبحت امرأة عجوز عليها أن تفعل كل شيء بحساب. وحينما أصبح مركز ترودود حساسًا، فقد انتقل من وزير للعدل إلى رئيس وزراء كندا، قال لها خذي أجازة.. وقرري المخدرات أم أنا؟! ورغم هذه الفرص التي لا تحلم بها، ورغم أن ترودود وضع نظامًا دقيقًا يمنع وصول المخدرات لها، إلا أن داء الإدمان قد سرى في دمها، إنها تحب الماراجوانا، وهذا المسحوق الأبيض الهيروين وإنها تشتهي المخدرات كلها..كما تشتهي الطعام الحلو كله، وبدلاً من أن تفكر في هذا العرض ارتبطت بشاب أمريكي استطاع أن يمولها بما تريد من الصنف؟! وانهارت حياتها الزوجية، وحينما قرر زوجها أن يدخلها مصحة للعلاج، انهارت أكثر وأصبحت تجاهر بشرب سجائر الماراجوانا بقصر رئيس الوزراء!!. ولما لم يجد رئيس الوزراء أملاً أصدر بيانًا يقول فيه: (بناء على رغبة السيدة حرم رئيس الوزراء، فلقد انفصلا مؤقتًا ومن حقها أن

ترى أولادها في أي وقت، والأمل في أن تعود إلى بيتها قريبا) ولكن حتى هذا الأمل انعدم تمامًا. إن هذا أمل كل أسرة خرج منها مدمن، والحقيقة أنها لم تعد.

ولهذه العبارة أسمت كتبها في عنوان فرعى – أبدًا لن أعود – أي أنه انفصال نهائي.. وكان وفي كل سطر من الكتاب تقف وتقول: (آه) وتتذكر الماضي وأيام العز، وتقول صدقوني لست سيئة إلى هذه الدرجة، ولم يصدقها أحد..

ونشرت صحف تورنتو صورة لها بالبيجاما البيضاء وتعليق يمس رئيس وزراء كندا في الصميم يقول:" ليلة بيضاء"!! ويقصدون ليلة "حمراء صهد" قضتها "مرجريت" ببيجامتها البيضاء مع المخدرات؟. وحاولت صديقتها القديمة التي قابلتها في المغرب وقضوا بعض أيام اللهو والشباب، إنها ياسمين أغا خان (ابنة ريتا هيوارث) أن تنقذها بطوق الشهرة، وفرضتها على السينما فيلمًا بعد فيلم، فلا تزال صغيرة وجميلة ورشيقة وتحب البنطلون الجينز، ولكن الهيروين هدها فلم تستمر ولم تفلح.

وفيما بعد تعرفت على الفريق الشهير (الرولنج ستون) الذي يقوده المطرب "مايلي هاجز" وتعجبت منه أنه قوي ولطيف ولا يشرب أي نوع من المخدرات، مع أن باقي الفريق يفعل ذلك وقال لها: أن صحتي وصوتي رأس مالي، والمخدرات والخمر ضد ذلك!! وقالت له كلاما صعبا، فأنا لا أستطيع ذلك، ثم أن باقي أفراد الفريق يفعلون ذلك وهم مثله بصحة جيدة وصوت جيد، وقال لها: "أنا أنظر للمستقبل وهم لا ينظرون إلا للحظة"، وبكت!! وقررت الانفصال النهائي عن زوجها. إنه متدين منظم، وهي مدمنة بهيمية يرجعش.. ما يرجعش"، ولذا فإنها لن تعود – لا تستطيع – ولا تريد.

وفي هذه المذكرات أو الاعترافات، تحدثت مرجريت عن علاقتها بالمخدرات أكثر من أي شيء آخر حتى أولادها وزوجها، وتقول أن الجاه والأبهة ليس جديدًا عليها، أو أنها لم تعرفها إلا باقترانها بزوجها ترودود رئيس وزراء كندا، ولكنها ابنة لوزير سابق في الوزارة الكندية التي كان يرأسها ليستر، وأنها ضحية هذا المجتمع الذي يعطي الجاه ولا يعطي الحنان، ويمنح الأبهة لتكون بديلاً عن القرب الأسري والاحتواء الأبوي، ولذا نشأت وهي تشعر كما تقول: "كنت الولد الوحيد للأسرة – حتى الوقت الذي كانت فيه شقيقاتي مقترنتان وناجحتان في عالمهما –كنت أعيش منفصلة"

وهي ترى أن هناك سببين لطلاقها من زوجها وعدم توبتها: المخدرات والصحافة!! فتذكر حادثتين كانتا وراء قرار بأنها لن تعود!! الأولى: في زيارة رسمية للبيت الأبيض، تقول: (كان لقاؤنا الأول مع جيمي كارتر وعائلته لقاءً (غير رسمي) لذلك جاء سهلاً خاليًا من التعقيدات ومن عيون المراقبين، أما حفل العشاء الرسمي، فقد كان كارثة، لقد حرصت قبله على أن أظهر في أحب فستان إلى نفسي، وقد كان ثوبًا أبيض اللون مرصعًا باللؤلؤ يرتفع ذيله عن القدم ثلاث بوصات (ولم أكن أعرف أن الجوارب التي وضعتها كانت مثقوبة). وطلعت صحف الصباح لتقول: (مدام ترودود وأخطاؤها المعتادة!! مارغريت فعلتها ثانية). فقد كان ردائي، كما اتضح لي، كارثة فظيعة! فكيف أجرؤ على دخول البيت الأبيض برداء لا يلامس الأرض، وفي جوارب بها ثقوب؟).. وذهبت لأعتذر لزوجة الرئيس جيمي كارتر، روزالين وأخبرها أنني لم أكن أقصد على الإطلاق عدم الاحترام، وقد وجدتها ضائقة أكثر مني من رد الفعل الإعلامي وساخطة على الصحافة وشعرت بأنني أبدو أكبر منها وأكثر خبرة في تلك الأمور عندما قالت بكل جدية: (لن أسمح من الآن وصاعدًا أن تنشر

الصحف وصفًا لأزياء الضيوف من السيدات أثناء حضورهن إلى البيت الأبيض) إلا أنني أخبرتها أن شخصي وليس ردائي هو سبب ذلك الهجوم الصحفي الذي استهدف تجريحي، وليس انتقاد أزيائي.

أما الثانية، فتقول عنها مارجريت ترودو:

"والحقيقة أن حياة رولينغ ستونز كانت معكوسة، فنهارهم ليل وليلهم نهار! وجلسنا نحتسي الشمبانيا ونلعب (الطاولة)، وندخن (الحشيش)، كان الجو مرحًا، وكنت أنا في غاية السعادة بانضمامي لهذا الجو،وغادرت تورنتو في اليوم نفسه إلى نيويورك، وهناك صدرت تعليقات الصحف: (مارغريت تسير في ممرات الفندق بالبيجاما، جنس وسكر وعربدة في جناح زوجة رئيس الوزراء، كما نجح أحد الصحفيين، وكان يبيع قصصه لصحيفة دايلي إكسبريس اللندنية في أن يصطادني في حديث هاتفي ذكرت له فيه انني لم أعد أطيق حياتي الرسمية، ولم أعرف أنه كان يسجل الحديث، وأنه باع الشريط المسجل بعد ذلك في جميع أنحاء العالم، وظهرت صورتي للجميع عن أنني الزوجة التي يمكن لها أن تذهب إلى أبعد مدى كي تهرب من زوجها"

ولكن أعجب ما جاء في مذكراتها أو كتابها "بقلب مفتوح" كيف أنها كانت تستطيع أن تخدع الطبيب المعالج.. وكيف أنها كانت تستطيع إقناع طبيبها بكل ما ترى كنوع من العلاج، وهو يستسلم!!

والغريب أن الطبيب أصدر كتاب عن المدمنات، وكيفية علاجهن، دون أشياء كثيرة فيه عن علاجه "لمرجريت سينكلر" وكيف نجح معها؟!

حكمت فهمى.. وجواسيس هتلر؟

عن:ليونارد موزلي" في كتاب "القط والفئران"

شبح حرب "الحرب العالمية الثانية" وبداية من عام ١٩٣٨كان هو بذرة كل هذا، فقد اتجهت النية إلى توسيع الجيش المصري، وزيادة عدده، مع رفع مستواه التسليحي، وهي رغبة اتفق عليها "الملك، والإنجليز، والوفد "وكان الاحتلال يراها تدبيرا جيدا مع احتمالات الحرب، وقد رأت إنجلترا في معاهدة ٣٦ ما يجعل مصر تدخل الحرب معها وأعلن عن قبول دفعة جديدة في الكلية الحربية من الحاصلين على الثقافة العامة فقط، بحجة أنهم سيستكملون تعليمهم في الكلية الحربية فالحاجة أم الاختراع. وتكرر ذلك بأمر الملك عام ١٩٤٢ ليمدد للجيش بأصهاره وأقاربه، وأهمهم "إبراهيم خيري" فقبل ١٩٣٦ كانت الكلية الحربية لا تقبل إلا عددا محدودا من الضباط، كلهم من الفئات العليا المصرية والدراسة شكلية، فلم يكن مطلوبا من الضباط المصريين وقتها، أية مهام قتالية، ولكن في الفترة من (١٩٣٦-١٩٤٠) تدفق من أبناء الطبقة الوسطى للجيش كثيرون، وربما أيضا من الفئات الدنيا مثل (صغار الموظفين، والتجار المتوسطين، وصغار الملاك) وفي ذلك الوقت دخل ٨٨% من الضباط الأحرار للجيش؛ فمع بداية عام ١٩٤٠ والحرب العالمية مشتعلة لم يكن للجيش المصري قرب الحدود الليبية المشتركة مع حدودنا إلا بعض قوات رمزية من الجيش والطيران في منطقة مرسى مطروح، وكانت هناك مجموعة من أربعة ضباط برتبة ملازم طيار تقيم معا في شقة مفروشة بمصر الجديدة وهي قريبة من المطار الحربي مطار ألماظة، وكانت هذه المجموعة مكونة من الطيارين:"أحمد سعودي أبو علي، وحسين عزت، ومحمد وجيه أباظة، وعبد اللطيف البغدادي" فشكلوا

تنظيما سريا بين ضباط الطيران سموه "تنظيم الطيران" بهدف مقاومة الاحتلال البريطاني، وقاموا بالاتصال بجماعة الإخوان المسلمين للتعرف على مدى استعدادها للمشاركة في مقاومة الاحتلال البريطاني، واقترح الإخوان إدماج التنظيمين أي تنظيم الطيران مع التنظيم الخاص بالإخوان المسلمين (ولم يتم الاتفاق) وعن طريق حسين عزت تم ضم "أنور السادات" إلى المجموعة، في ذلك الوقت كان السادات ضابط الإشارة يكره الاحتلال الإنجليزي ويحلم بخروج المحتل من وطنه، ومن البداية اتجه الضابط الشاب الثائر ناحية القوى الوطنية التي كان يعتقد أنها تحارب الإنجليز، وكان يحلم ويعمل من أجل ثورة مسلحة يقوم بها الوطنيون والشرفاء من ضباط الجيش. وكان في هذه الفترة مفتونًا بشخصية عزيز المصري الأسطورية، وكان عزيز المصري يجاهر بكراهيته للإنجليز حتى أن سير مايلز لامبسون السفير البريطاني في مصر طلب إبعاده من الجيش، ولوح بميول عزيز المصري للمحور.

واجتاحت جيوش هتلر أوربا في هذا الوقت، وبدأت تلحق بالحلفاء الخسائر الكبيرة، وبدا أن بريطانيا العظمى لن تستطيع الصمود أمام زحف قوات هتلر، وكان الجيش المصري يشترك مع القوات البريطانية التي تحتل مصر في الدفاع عن الصحراء الغربية ضد قوات المحور. ولم يكن هناك وطني في مصر راض عن اشتراك مصر في الحرب لحساب بريطانيا التي تحتل مصر حتى أن الشيخ مُحَمَّد مصطفى المراغي شيخ الأزهر أعلنها بصراحة قائلًا: "لا ناقة لنا ولا جمل في هذه الحرب".

وتفجرت أزمة عندما أغضب على ماهر رئيس الوزراء الإنجليز عندما قال في البرلمان إن سياسة مصر هي تجنب ويلات الحرب. وغضب الإنجليز وطلبوا من الجيش المصري الانسحاب من مواقعه. وأن يسلم الضباط المصريون

أسلحتهم قبل انسحابهم، لكن أنور السادات – بتعليمات وإصرار من عزيز المصري – بدأ يحرض الضباط ويثير مشاعرهم ضد مسألة تسليمهم سلاحهم؛ وتمكن من إقناع الضباط برفض تسليم السلاح. وفي النهاية اضطرت إدارة الجيش إلى أن تأمر الضباط بالانسحاب مع الاحتفاظ بأسلحتهم!

وتوطدت علاقة السادات بعزيز المصري، وذات يوم طلب عزيز المصري من أنور السادات أن يقابله في محل جروبي، وفي هذا اللقاء أخبره أن الألمان طلبوا منه أن يسافر ليساعد رشيد الكيلاني في ثورته ضد الإنجليز بالعراق، وطلب عزيز المصري من أنور السادات أن يساعده على الهروب سرًا من مصر، وأخبره أن الألمان بعثوا له برسالة يقولون له فيها أن طائرة ألمانية سوف تكون في انتظاره عند جبل "رزة" بالقرب من صحراء الفيوم، ولم يتردد أنور السادات في وضع وتنفيذ خطة هروب عزيز المصري سرًا من مصر ووفر بالفعل سيارة طراز "بيك أب" تصلح للسير في الصحراء، لينقل فيها عزيز إلى مكان الطائرة الألمانية التي سيهرب بواسطتها خارج مصر. ولم تنجح الخطة لتعطل السيارة قبل الوصول لجبل رزة ورصد الإنجليز اتصالات للسادات مع عزيز؛ فصدرت أوامر بنقله إلى منطقة "الجراولة" بمرسى مطروح. ولم يجد أنور السادات أمامه سوى أن يطلب من رفيقه الضابط الطيار عبد المنعم عبد الرؤوف مسألة تدبير هروب عزيز المصري، وبالفعل قام عبد المنعم عبد الرؤوف وزميله حسين صبري ذو الفقار بالاستيلاء على طائرة حربية وضعا فيها الفريق عزيز المصري وقررا الإقلاع بها إلى بيروت، لكن ما إن أقلعت الطائرة حتى اكتشف حسين صبري ذو الفقار نفاد الزيت واضطر إلى الهبوط بها فوق شجرة بالقرب من مدينة بنها! واهتزت مصر كلها لمحاولة هروب عزيز المصري، وكانت الأحداث قد بدأت

تزداد سخونة، فقد سقطت العلمين في يد القائد الألماني روميل وأصبح على بوابة مصر الغربية.

وكان شعور المصريين المعادي للإنجليز يتصاعد يومًا بعد يوم وبدأ أنور السادات يحرض زملاءه لكي يرسلوا ضابطًا مصريًا إلى روميل في العلمين، ليخبره بأمر التنظيم السرى لضباط الجيش المصريين "تنظيم الطيران" وأنهم على استعداد للمشاركة في الحرب إلى جانبه ضد الإنجليز. مقابل أن تنال مصر استقلالها التام بعد هزيمة الإنجليز؟!

وامتدت بعدها الاتصالات بالنازية، وهذا ما حدث بالفعل وأقلع الطيار أحمد سعودي برسالة تحمل هذا المعنى على طائرة حسن إبراهيم الحربية، وكانت طائرة بريطانية من طراز "جراداياتور" فظن الألمان أنها طائرة بريطانية جاءت للهجوم على مواقعهم، فأطلقوا النيران عليها فوق العلمين فانفجرت، واستشهد الطيار أحمد سعودى!؟ وهكذا كلف"أنور السادات، وحسن عزت" بالاتصال بالجواسيس الألمان لأسباب غامضة عللوها "بأن عدو عدوي صديقي"؟!

ولكن السادات في أوراقه يعتبر مجموعة الطيران تنظيمه، وفي مرة أخرى يقسمها لمجموعتين؛ فقد تحدث عن أحمد سعودي ومغامراته وعن صديقه حسن عزت وعن وجيه أباظة على أنهم أفراد مجموعته هو "تنظيم السادات" التي رأسها عام ١٩٤٠ ويجعل "باقي مجموعة الطيران" لعبد اللطيف البغدادي "تنظيم البغدادي" الذي تنسب له مجموعة الطيران في الأصل. وفي هذه الفترة كانت حكمت فهمي تتربع على عرش الرقص الشرقي، كان مقدرا لها أن تلعب دورا على مسرح لأحداث مع جاسوسين ألمانيين زرعتهما المخابرات الألمانية في

القاهرة، لتوفير المعلومات المهمة التي يحتاج إليها "روميل" في معركته الحاسمة ضد جيوش الحلفاء في الشرق الأوسط.

والحكاية تبدأ من اجتماع مجلس حرب عقد في منتصف يونيو/ حزيران في برلين حين ذكر رئيس المخابرات الألماني أن "روميل يحتاج إلى معلومات عن القاعدة البريطانية في مصر"، ونتيجة لذلك تم وضع خطة تتضمن تسلل اثنين من الجواسيس إلى القاهرة وحيفا، وكان أحدهما ويدعى "كلين" قد سبق له أن عاش في الإسكندرية، والثاني "مولينبروخ" عاش في حيفا، وكانا يتحدثان العربية بطلاقة، وعليهما أن يعودا إلى هاتين المدينتين لكن محاولات إرسالهما إلى القاهرة وحيفا باءت بالفشل، إلى أن وقع اختيار رئيس المخابرات الألمانية على اثنين قضيا سنوات في شمال افريقيا هما "ابلر وساندي". ويروي الرئيس الراحل أنور السادات في كتابه "صفحات مجهولة" رحلة هذين الجاسوسين حين يكتب: "صدر إليه – أبلر – وإلى زميله ساندي أمر بالتسلل إلى مصر وكلفا بعمل معين، وسلما جهازا لاسلكيا دقيقا، وزودا بالآلاف من الجنيهات المزيفة المطبوعة في اليونان، وبسيارة من سيارات الجيش الإنجليزي التي استولى عليها الألمان أثناء معركة العلمين، وتحركت السيارة بالرجلين، وقد ارتديا ملابس ضباط الجيش الإنجليزي، وحملا معهما جهاز اللاسلكي والثروة الطائلة واخترقا الصحراء الغربية من طريق غير مطروقة، تقع جنوب سيوة، ثم انحرفا إلى الواحات الخارجة واستراحا فيها وتزودا بما يحتاجان إليه ثم اتجها صوب أسيوط.. ويستكمل السادات روايته قائلا: "كانت هذه المرحلة من أخطر مراحل الرحلة بالنسبة إليهما، إذ ان الطريق طريق عسكري، تنتشر على جانبيه المعسكرات البريطانية والحراسة، وتذرعه دوريات الاستكشاف وقوافل الجنود والعتاد، وأخذت السيارة تنهب هذا الطريق مارة بالموت في كل لحظة، ونفد منها الوقود

في منتصف الطريق وإذا بقائدها "أبلر" ينثني بكل جرأة إلى أحد المعسكرات البريطانية فتفتح له الأبواب، ويدخل إلى محطة البنزين في المعسكر ويقدم أوراقه، ويعبئ سيارته بالبنزين ثم يخرج مودعا بتحيته الجنود، ووصلا إلى أسيوط ثم انحرفا في الطريق إلى القاهرة، ودخلاها ضابطين إنجليزيين تقوم لهما دنيا القاهرة وتقعد في ذلك الزمان."لكن الحقيقة أن رحلة الجاسوسين كانت أضخم وأكبر مما رواه السادات بكثير، وقد أورد بول كارل الكثير عن تفاصيلها في كتابه "ثعالب الصحراء"، كذلك "ليونارد موزلي" في كتاب "القط والفئران" الذي استمد مادته من اعترافات الجاسوس الألماني هانز أبلر، ومن معايشته للأحداث حيث استغرق الإعداد لهذه العملية قرابة ثلاثة أشهر ونصف الشهر، وقد جهزت القافلة بإمدادات تكفيها لمدة ستة أسابيع، وقام سلاح الجو الألماني بمدها بتجهيزات خاصة للتغلب على صعوبات الصحراء.

وفي ٢٩ أبريل/ نيسان ١٩٤٢ بدأ العمل، وعندما قطعت القافلة المسافة من طرابلس إلى أسيوط، وقبل خمسة أميال منها خلع الجاسوسان ملابسهما العسكرية ولبسا ملابس مدنية قام رجال المخابرات الألمانية بحياكتها في برلين، على غرار ملابس المصريين، وزودوهما بصور وإيصالات فنادق وعملات مصرية، وكل ما يمكن أن يحمله شخص يقيم في مصر وهكذا تبدأ عملية "كوندور" يذكر ليونارد موزلي أن الراقصة حكمت فهمي – ولم تكن حكمت فهمى مجرد راقصة جميلة بل كانت أيضاً فنانة عملت بالتمثيل مع فرق مسرحية شهيرة مثل فرقة على الكسار وفرقة جورج أبيض وفرقة فاطمة رشدى وقامت في السينما ببطولة فيلم المتشردة – كانت رائعة الجمال حتى أن الشاعر أحمد رامي كتب فيها ربع ديوانه الأول وأيامها كان لكل راقصة لقب، وكان لقبها "سلطانة الغرام"، والذي أطلق عليها هذا اللقب كان أحمد رامي نفسه.

وطارت شهرة حكمت فهمي من مصر إلى العالم، وأصبحت تسافر للرقص في أشهر الملاهي العالمية، وسافرت إلى ألمانيا ورقصت أمام هتلر ووزير دعايته جوبلز. وكانت همزة الوصل بين الجاسوسين والسادات، وهي التي دبرت اللقاء معهما بناء على طلب جون أبلر، لكن السادات يحكي الحكاية بشكل مختلف فيقول: "وبدأت قصة القدر بطرقات خفيفة على باب صديقي الصاغ حسن عزت، دخل في إثرها رجلان من الألمان، يصحبهما صديق له هو الأستاذ عبد المغني سعيد، ثم لم يلبث الصاغ حسن عزت أن أتى بثلاثتهم إليّ، وهكذا بدأت قصة القدر بالنسبة إلينا. وقال لنا عبد المغني سعيد إنه تعرف بهما عن طريق قريب له متزوج من ألمانية تعرف عائلة "أبلر" وأخرج الرجلان أوراقهما، وأثبتا بما يقطع كل الشك، حقيقة جنسيتهما الألمانية وحقيقة مهمتهما، وطلب الألمانيان منا أن نقدمهما إلى الفريق عزيز المصري، وكانا يطلقان عليه كلمة "الزعيم"، وقال أبلر إن جهاز اللاسلكي الذي جاء به قد تعطل وأنه يرجو أن يعتمد في إصلاحه علينا، كما طلب أن نسهل لهما عند الحاجة الاتصال الشخصي بروميل في مكانه في العلمين" وقال أنور السادات: "أول ما فوجئت به من أمرهما (يعني الجاسوسين) أنهما يقطنان في عوامة للراقصة المشهورة حكمت فهمي".

في حين أن مُحَمَّد صبيح في كتابه "بطل لا ننساه.. عزيز المصري وعصره" كتب أنه سأل حكمت في مقابلة معها عن الجاسوس أبلر، هل كانت بينك وبينه علاقة قديمة؟ فأجابته: كان قبل أن يسافر إلى الخارج يتردد على الملاهي التي أعمل فيها وكان من أصدقائي".

وما يؤكده حسين عيد الذي عكف على كتابة مذكراتها ونشرها تحت عنوان "مذكرات حكمت فهمي.. أسرار العلاقة بين السادات والمخابرات الألمانية"، أن حكمت قابلت أبلر في الخارج، في فيينا..

"ليونارد موزلي" في كتاب "القط والفئران" يقول إن أبلر ذهب إلى حكمت فهمي حيث ترقص، وكانت تربطه بها علاقة حميمة، بعث إليها بيد النادل تذكرة كتبها على ورقة حساب خاصة بالمحل، وبعد لحظات جاءت وأخذت يده وقالت له بالعربية: مرحبا بعودتك يا حسين ما أجمل أن يرى المرء صديقا وصديقا شابا من جديد..

"بول كارل" في كتابه "ثعالب الصحراء" يرى أن الراقصة حكمت فهمي كانت العميل الأول في نقل الأخبار فعلاقاتها الطيبة مع الضباط البريطانيين قد مكنتها من الحصول على معلومات خطيرة للغاية فالراقصة المحبوبة جدا كانت تكره البريطانيين وعلى استعداد للقيام بأي عمل ضد العدو، عدو وطنها، ولم يتوقف أبلر عند حد في استغلال هذا الشعور لديها، وقد أخبرته حكمت عن انتقال عناصر من الجيش البريطاني من سوريا وفلسطين إلى مصر، كما أخبرت الجاسوسين الألمانيين عن وصول مائة ألف لغم إلى جبهة العلمين، وذلك عندما قررت بريطانيا إقامة خطها الدفاعي المحصن في هذه المنطقة بالرغم من أنه في ذلك الوقت لم يكن الموقف واضحا كما عرف أبلر من حكمت فهمي معلومات عن انتقال الفرقة النيوزيلندية الثانية تحت قيادة الجنرال فريبرج إلى مرسى مطروح وذلك قبل أن تتحرك الفرقة بزمن طويل

أما ليونارد موزلي فقد بيّن أكبر إنجازات حكمت فهمي في كتابه "القط والفئران" حين اصطحبت حكمت "أبلر" إلى عوامتها حيث كان الرائد

الإنجليزي سميث يغط في نوم عميق وبجواره حقيبة البريد الرسمي الذي كان مكلفا بإيصاله إلى الجنرال ريتشي، وطمأنت حكمت أبلر بأن الرائد مخمور حتى الثمالة وأنها أعطته منوما في الكأس الأخيرة، فأخرج أبلر أوراق الحقيبة وكان بداخلها رسالة طويلة تعلوها عبارة "سري للغاية" وكانت الرسالة تذكر تفاصيل التعزيزات التي سيتسلمها الجنرال ريتشي لتقوية خط دفاعه تأهبا للمعركة الكبرى التي سيخوضها ضد روميل، كما كانت الرسالة تذكر أيضا اسم ومكونات لواء مدرع سيرسل إلى الجبهة. وأضافت الرسالة أن خط الدفاع البريطاني سيكون في العلمين، وأحضر أبلر ورقة وقلما وراح ينقل تفاصيل الرسالة

وفي تلك اللحظة تذكرت اسمه كاملا ونطقته "حسين جعفر" وتحدثا وافترقا على أن يلتقيا في اليوم التالي ليسهرا معا، وأصبح حسين يثير اهتمام حكمت وتطورت العلاقة إلى أن قال لها حسين "حكمت عندي شيء أريد أن أتركه عندك"، وكان هذا الشيء حقيبة تخصه هو وأنور السادات، هكذا اعترف لها، كما اعترف لها بأنه ألماني. قائلا: "إنني فخور بألمانيتي، فخور بهتلر، مطيع له، واسمي هانز أبلر."

ورغم انزعاج حكمت فهمي وخوفها من الحقيبة، ومما اكتشفته بداخلها "جهاز لاسلكي" فإنها قالت له: "معكما سأسير، بكما ربطت مستقبلي، وخوفي على أزواج شقيقاتي لأنهم ضباط كبار بالجيش المصري، وكذلك على أمي الطيبة

وبعد فترة قليلة تعطل جهاز اللاسلكي، وكان وجوده في العوامة يشكل خطرا على حكمت، ووافق أنور السادات على الذهاب إلى عوامة الجاسوس الألماني «أبلر» وإصلاح جهاز اللاسلكي المعطل، وعندما دخل السادات العوامة سأل عن جهاز اللاسلكي فضحك الجاسوس «أبلر» وقال له: تستطيع

أن تجده.. إذا عثرت عليه بنفسك!. وبدأ أنور السادات يبحث عن جهاز اللاسلكي ويطوف في حجرات العوامة التي لم يجد بها سوى وسائل الراحة والرفاهية، وصناديق الويسكي وكؤوس الشراب! وأخيرا كشف له الجاسوس «أبلر» عن المخبأ السري لجهاز اللاسلكي، وكان داخل جهاز «بيك أب» موسيقي، بطريقة لا يمكن لأحد اكتشافها، وفحص أنور السادات الجهاز ووجده معطلا بالفعل، لكن الجاسوس «أبلر» قدم له جهاز لاسلكي آخر أميركيا، وقال له أنه جهاز قوي لكنه لا يعرف كيفية تشغيله، واكتشف السادات أن الجهاز ليست له مفاتيح فاقترح على «أبلر» أن يشغله بمفاتيح مصرية الصنع يقوم هو نفسه بتركيبها. ووافق الجاسوس الألماني على اقتراح السادات الذي حمل الجهاز في حقيبته، وتوجه به إلى بيته في كوبري القبة. لكن ما هي الا أيام حتى انكشف أمر الجاسوس الألماني عندما سهر في إحدى الليالي، ودفع الثمن جنيهات إنكليزية مزيفة كان يحملها معه ثمنا للويسكي، وجاء حسن عزت ليقول" ألقوا القبض على اثنين في الصحراء ولديهما جهاز إرسال واستقبال، وأنهم يضغطون عليهما لإجبارهما على الاعتراف على جاسوسهما في مصر"

ومر أسبوع لم يتصل بها أبلر، إلى أن انتبهت على صوت أحد رجال القلم السياسي يطلب منها أن تخرج معه، لتجد نفسها أمام محقق بريطاني، أدركت بعدها أنها وقعت في الفخ وأصبحت في النهاية حبيسة الجدران وبجوارها في السجن كانت أسمهان وعزيز المصري، وفي التحقيقات أنكرت معرفتها أو لقاءها بهانز أبلر، ثم قالت فيما بعد أنها تعرف حسين جعفر واكتشفت أن المحققين يعرفون الكثير، يعرفون حكاية جهاز اللاسلكي، وسرقة حقيبة الماريشال تايدر من غرفته الرقم ٢٧٣ بفندق الكونتننتال لكنهم لم يحصلوا منها على شيء..

وأضربت حكمت فهمي عن الطعام لمدة أسبوع في سبتمبر/ أيلول ١٩٤٢وعندما ساءت حالتها نقلت إلى مستشفى الدمرداش للعلاج، واتصل بها شخص من طرف مكرم عبيد الذي كان وزيرا للمالية في وزارة مصطفى النحاس ولما أقصي عن منصبه بدأ يعد لكتابه الأسود عن النحاس، وكان يعتقد أن لدى حكمت معلومات حول علاقة النحاس بالإنجليز، ورفضت رفضا قاطعا أن تمده بأي معلومات. وصدرت الأوامر بنقل حكمت فهمي إلى معتقل النساء في المنصورة، وقضت في المعتقل "فترة قصيرة" وخرجت "محطمة عجوزاً في سن الشباب، منهارة الصحة، ذابلة الملامح، خامدة النظرات على بشرة الوجه اصفرار وشحوب".

يقول السادات: كان "أبلر" يعرف مصر من قبل، كما يعرفها ككل أبنائها، فقد كانت أمه الألمانية تزوجت في ألمانيا من صالح بك جعفر المستشار ثم حضرت معه إلى مصر، وفي يدها ولدها من زوجها الأول (الألماني) وكان ولدها هو هانز أبلر، وأراد الزوج المصري أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة في مصر، فيسر له سبل التعليم والنجاح وأعطاه اسما مصريا ولقب أسرته، وأصبح هانز أبلر يعرف في مصر باسم حسين جعفر، لكنه لم يكن ذلك الولد الصالح الذي ارتجاه زوج أمه، فقد فشل المستشار في إقناعه بالعدول عن حياة الليل بين المراقص والحانات، ولما أيقن بأنه لا سبيل لإصلاحه في مصر طرده من حياته. وككثير من أبناء مهنته، جاء السقوط على يد امرأة، فقد كان «أبلر» على علاقة براقصة فرنسية يهودية، تدعى «إيفت» وكانت في الحقيقة جاسوسة بدورها تعمل لصالح الوكالة اليهودية في مصر، وبينما كانت تقضي الليلة في عوامته، سمعته وهو يتحدث بالألمانية مع زميله عن المعلومات التي لديهم وجهاز الإرسال الذي يخصهم، حيث كانت القيادة الألمانية قد حذرتهم من استخدام

جهاز الإرسال في هذا التوقيت، وكانوا هم يتناقشون حول أهمية إرسال المعلومات التي تحصلت عليها "حكمت فهمي".. أبلغت «إيفت» قادتها، وأبلغوا بدورهم المخابرات البريطانية لتسقط شبكة التجسس الألمانية، وعندما كشفت المخابرات البريطانية أمر الجاسوس الألماني وجد كل من تعاون معه ومن بينهم السادات طريقه إلى السجن، وأودعوا جميعًا سجن الأجانب، فيما أفلت السادات فقط من هذا المصير، بعدما أنكر معرفته بالألمان، وبعد فترة اعتقال جرد هو وزميله الطيار حسن عزت من رتبهما العسكرية وفصلا من الجيش، أما باقي الجواسيس فقد قابلهم رئيس الوزراء البريطاني نفسه "ونستون تشيرشيل" حيث ساومهم بين الإعدام أو الإفصاح عن سر شيفرتهما، وقد اختاروا الخيار الثاني، والذي من خلاله استطاع البريطانيون خداع «روميل» ما تسبب في هزيمته.

ويحكي خالد محيى الدين عن ذلك في كتابه "والآن أتكلم" (حادث أثر في نفسى كثيرا، هو أعتقال الضابطين أنور السادات وحسن عزت وكان السادات رحل لميس المدفعية، وبقي حسن عزت في ميس الفرسان وكنت ضمن أفراد الحرس عليه، وجلست طويلا في إعجاب وشغف بهذا الضابط المعتقل المتقد حماسا وثقافة، ومعه اقتنعت بضرورة أن أعمل من موقعي كضابط في عمل سياسي من أجل مصر، ورتبت وسيلة لتهريبه في حالة استدعائه للمحاكمة، ورفض حتى لا يمس أحد من زملائه بسوء؛ فقمنا في الفرسان بفك أكرة الباب بحيث يمكن فتح الباب من الداخل ومكن ذلك حسن عزت من الدخول والخروج كما يشاء، بل كنا نصطحبه لخارج القشلاق متنكرا لنسهر ونعود، وأشهد انه لم يخدعنا ولم يحاول الهرب؟!

ويقول خالد محيي الدين: (وكنت أنقل رسائل منه إلى ضابط آخر طلب مني التعرف عليه والثقة فيه هو "عبد اللطيف البغدادي" وتعرفنا كما تعرفت على وجيه أباظه، وانتظمت معهم في لقاءات فيما يشبه التجمع وتوقف كل شيء بعزل حسن عزت من القوات المسلحة، وعمل تفتيش وتحقيقات واسعة بالطيران ص٣٦)

ومرة آخرى يذكر "خالد محيي الدين" حسن عزت في كتابه (ولهذا فعندما طلب مني أن أكتب مقدمة لكتابه قبلت بترحاب وقلت في كلمتى "إنه أستاذي في الوطنية" وغضب عبد الناصر وقال لي: كيف تقول عنه أستاذ الوطنية، وهو مشكوك في موقفه منا؟" وقلت أنا أقرر حقيقة رغم اختلافنا معا الآن (ص٥٣ وص٣٧)

هذا الكتاب النادر هو "أسرار معركة الحرية" الذي يعتبر بمثابة مذكرات لحسن عزت، والذي يمكن اعتباره وثيقة من الوثائق المهمة عن تلك السنوات المضطربة التي سبقت الثورة ومهدت لها، أثار الكتاب مشكلات وأزمات يكفي أنه كان السبب في أول أزمة بين عبد الناصر وخالد محيي الدين سبقت أزمة الصديقين الحميمين الشهيرة في مارس ١٩٥٤، التي خرج بعدها خالد من مجلس قيادة الثورة ومن مصر كلها.

تكمن أهمية هذا الكتاب النادر في أنه حصل على صك الاعتماد من أبرز قيادات ثورة يوليو، فهذا الكتاب الذي يقع في «١٣٠» صفحة قد كُتبت له ثماني مقدمات، بينها ثلاث كتبها أعضاء في مجلس قيادة الثورة حينها وهم: عبد اللطيف البغدادي، وأنور السادات، وخالد محيي الدين، وعزيزالمصري، الثائر الكبير والأب الروحي للضباط الأحرار وفتحي رضوان أول وزير للثقافة

بعد الثورة، والشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف الشهير، وقد كانت مقدمة أنور السادات بعنوان «أخي في الإرهاب» والفريق عزيز المصري قال إن ما كتبه حسن عزت في الكتاب إنما هو قليل من كثير، أما خالد محيي الدين الذي نتوقف عنده الآن، فقد كتب:«إلى أستاذي في الوطنية، وأرى في مجهوده فائدة كبرى لكل مصرى يريد أن يعرف كيف يخدم وطنه".

ميسالينا.. إمبراطورة تحترف البغاء!!

عن: بول فريشاور.. وكتابه "الجنس في العالم القديم".

«قالوا إن مخالطتها أشد خطرًا من مخالطة الأفعى! وإن الذي شاطر الإمبراطورة «ميسالينا» فراشها ليلة كاملة لا شك متهور! أما لماذا؟! فذلك لأن ميسالينا كانت تعتنق المبدأ القائل بأن الموتى وحدهم لا يتكلمون، ومن ثم فالصمت التام في رأيها هو الضمانة الوحيدة أمامها لكي تنعم بالطمأنينة! لذا ففي أوانها شهدت روما عددًا لم يسبق لها أن شهدته من الوفيات الناتجة عن عسر الهضم والغرقى الذين كانوا يتنزهون على ضفاف التيب! فما أصل الحكاية؟

تزوج «كلاوديولي» ثلاث مرات قبل زواجه من الشابة ذات الثمانية عشر ربيعًا «فاليريا ميسالينا»، ولم يبن هذا الزواج الرابع على أساس عاطفي، فلم يكن كلاديولي يتمتع بأي شيء يُمكن أن يجذب قلب فتاة مراهقة، وقد بلغ الخمسين من عمره.. لا شيء سوى حسبه ونسبه.. وما جرى مع كلاوديولي في أعقاب تلك الزيجة، ربما جعله يعتقد أن ميسالينا كانت «قدم السعد» بالنسبة له! فما إن اقترن بها حتى وجدهم يبحثون عنه ليقلدوه إمبراطورًا للبلاد! فعمه الإمبراطور «كاليغولا» قُتِلَ على أيدي رجال الحرس الإمبراطوري، وأصبح جلوس كلاوديولي على العرش يُحقق للمُتآمرين غايتين مُهمتين، فمن ناحية يُمثل تنصيب كلاوديولي إمبراطورًا امتدادًا لشرعية الحكم، ومن ناحية أُخرى يصبح بوسعهم – المُتآمرين – إدارة شئون الإمبراطورية من وراء كلاوديولي لما توسموه فيه من غباء وضعف شخصية، فهل تسنى لهم ذلك؟! لقد اتضح أن كلاوديولي

لم يكن في غفلة أبدًا عما يُحاك من مؤتمرات للإحاطة بعمه «كاليغولا» ويعلم علم اليقين أن الإغراء الوحيد الذي يجعل المُتآمرين يتمسكون بالشرعية ويضعونه عن طيب خاطر خليفة لعمه ومن ثم يحفظ عليه حياته حتى يتم ذلك.

هو إن يبدو في مرآهم غبيًا ضعيف الشخصية بالحد الذي يُطمئنهم بأنه لن يرقى بأي حال عن صفة ستار شرعي يحكمون من خلفه ويسيرون شئون البلاد على هواهم؛ لذلك فقد تصنع الغباء وأبدى بالغ ضعف الشخصية. ولما آل الحكم له وأصبح إمبراطور البلاد مدعومًا من أطراف المؤامرة ذاتهم كشف عن قبضة حديدية لداهية سياسي لا قبل لهم أو حيلة بصدد حذقه ومناوراته، فنكل بالخصوم الأقوياء وأبادهم، وأخضع الضعفاء منهم وجعلهم يدورون في فلكه!..

لكنها المرأة!! وصعوبة سير غورها، خديعة ناعمة لا ترقى لمستوى تصنعها وتدابيراتها مناورات العتاة من الساسة ومكائدهم، فخديعتها لما يصدها عن الرجل سوى القدر وحده إن أراد، وإن لم يرد القدر انطلت على الرجل حتى تكتمل جوانبها وتعتمل نتائجها فيه. فـ «ميسالينا».. تلك المرأة الجميلة الفاتنة – الزوجة – لم تكن سوى كيان وحيد وضعته الأقدار في سبيل كلاوديولي الرجل الحاذق الذي ابتلع خصومه من عتاة السياسة والحرب لتتفوق على حذقه وتجعل من الإمبراطور بجلالة قدره أضحكوكة، لما تضع فوق عينيه غلالة الحب فتجعله وحده مغمض العينين عن مباذلها وسقطاتها وإبحارها الممعن في عالم الرذيلة!

لقد انقضت الأيام الأولى من زواج كلاوديولي وميسالينا في سعادة غامرة، فكلاوديولي أثبت أنه في مخدع الحب فارس لا يعرف التعب،لكن بقدر ما أسعد

ذلك ميسالينا من الناحية الحسية، بقدر ما أصابها منه الملل واستبد بها! وبعد انقضاء فترة من الزمن، وضعت خلالها طفليها «بريتانيكوس» و«أوكتافيوس» انصرفت نحو الاستمتاع بالحياة، استمتاعا بكل من يروق لها من الرجال في نفس الوقت الذي لم تكف فيه عن مراقبة زوجها كلاوديولي، ومحاولة الإبقاء على عاطفته مشبوبة ملتهبة نحوها لتكون في أمان تام.

وبعد فترة قصيرة أصبح من المُتعذر إحصاء عدد المتهورين الذين طارحوا الإمبراطورة "ميسالينا" الفراش، وبمرور الوقت بدأت الألسن تتناقل الأخبار في البلاط وبين أفراد الحرس الإمبراطوري، ومع قدوم فصل الصيف الذي تتفاعل فيه المشاعر الحسية مع طبيعة المناخ بما يزيد من تهافت ميسالينا على مضاجعة الرجال وممارستها الخيانة، حدث شيء لم يكن في حسبانها إذا انتشر بالبلاد وباء الكوليرا واتخذ أبعادًا غير مُتوقعة، الأمر الذي ألزمها تجنب مضاجعة العناصر الشبابية الأكثر عرضة للإصابة بفيروس المرض ولم يعد يقع بصر ميسالينا إلا على رجال تقدمت بهم السن، فاستبد بها القنوط مع إحساس بالحرمان من أجمل مباهج حياتها، حتى أقبل ذلك الصباح مع قدوم «ميرتالي» وصيفتها الشابة اليونانية، بهيئة تشع بهجة وسرورًا. ولما استوقفتها ملامح الرضا في وجهها وقسماته راحت تستفسر منها عما وراء كل ذلك الرضا، فعلمت منها أنها قد أمضت ساعات لا مثيل لها بصحبة بحار يعمل على نهر التيبر. ومُنذ ذلك الحين انفتحت أمام ميسالينا آفاق جديدة لمزيد من الاستمتاع بلذاتها، وذلك بالتوجه إلى حي «سوبور» حيث مدمني الجنس في حي السقوط.

أعدت الإمبراطورة ميسالينا عدتها لخوض غمار المعترك الجنسي الذي يرضي شطحاتها ويروي ظمأها، تخفت في صورة مغايرة واستخدمت شعرًا مُستعارًا أشقر اللون، وإمعانًا في التمويه غير من اسمها إلى «ليمسكا» وذهبت

إلى ذلك المخدع في حي «سوبور» ذلك الحي السافل والمشبوه في روما. رافقتها في البداية وصيفتها «ميرتا» وبعد ذلك أصبحت تذهب بمفردها، وبمرور الوقت أدمنت ميسالينا التوجه إلى ذلك المكان الساقط، حيث تلتقي برجال من كافة الطبقات والأوضاع الاجتماعية، وقد زاد من ترددها على هذا المكان مغادرة «كلاوديولي» روما على رأس جيوشه للقيام بغزو إنجلترا، وخلال تلك الآونة أصبحت زوجته تغادر القصر كل ليلة للقاء الأفاقين والجلادين والمدمنين للخمر أما وصيفتها ميرتالي، فقد استبد بها الذعر لاعتقادها أن مولاتها قد فقدت عقلها فبدأت تقدم الطقوس للآلهة داعية ألا يكتشف أحد ذلك السر المرعب، ورغم كل وسائل التخفي التي اتبعتها ميسالينا نفذت إرادة القدر وانكشف أمرها، ولكن لمن؟! للرجل الذي يسيسه ويستثمره خير استثمار لصالحه، إنه «نرسيس» أحد نديمي كلاوديوس والمؤتمن على أسرار الإمبراطور؛ فقد سمع نرسيس ذات يوم حديثًا مُثيرًا عن غانية جديدة ظهرت في حي سوبور تُدعى «ليسيسكا» وأنها قد احتلت مكانة كبيرة في نفوس زبائنها، فأرسل نرسيس بواحد من معاونيه ليتعرف على ليسيسكا ويعرف حقيقة أمرها، فعلها تكون يومًا ذات فائدة له..

وعقدت الدهشة لسان الرجل، فالشعر الأشقر لم يخدعه، إن ليسيسكا ما هي إلا ميسالينا.. أدرك نرسيس قيمة هذا النبأ، لذلك قرر التخلص من معاونه كي يضمن لنفسه الاحتفاظ بهذا السر، فعلاقته بالإمبراطورية ممتازة في الوقت الراهن، ويتمنى أن تظل كذلك، ولكن إذا ما فكرت ميسالينا يومًا أن تنقلب ضده، فإن قضية ليسيسكا ستمنحه فرصة الفوز عليها.

وبعد فترة ليست بقليلة من الانغماس في حياة الدعارة بحي سوبور، حدث ما جعل ميسالينا تقلل تدريجيًا من مرات زيارتها للحي المشبوه، ويسد

جانبًا كبيرًا من نهمها للجنس وحياة الخيانة حسب ما اعتقدت، فقد عاد القنصل «كايوس سيليوس» على إثر استدعاء من الإمبراطور كلاوديوس. فمن هو كايوس سيليوس هذا الذي لجم شطحات ميسالينا الجنسية وجعلها تتفرغ له راغبة؟! إن كايوس سيليوس هو الرجل الوحيد الذي أحبته ميسالينا في حياتها، فلم تكن قد بلغت الرابعة عشر من عمرها عندما التقت به لأول مرة، لقد شغفت به إلى حد الجنون، ولم تتوان عن الاستسلام له بكليتها رجل وسيم مجرب وهو أول من لقنها مبادئ الحب، لكنه اضطر لمغادرة روما والتوجه إلى جرمانيا لمراعاة مصالح الإمبراطورية هناك. وبرغم المحاولات المستميتة التي قامت بها ميسالينا ليذعن إلى دعوتها إياه للرجوع ، إلا أن سيليوس رفض الاستجابة لها، وكان مبرره في ذلك أن الإمبراطور وحده يملك حق إصدار الأمر بالعودة، وفي ذات الوقت لم يكن يجد الإمبراطور من هو أجدر منه للقيام بهذه المهمة، ولكنه أخيرًا قد عاد إلى روما، ولكن معه زوجته التي يُقال أنها يونانية شديدة الجمال، وما إن وصل حتى استدعته ميسالينا بشكل غير رسمي، استقبلته على انفراد واقتادته إلى سريرها دون أن تتيح له فرصة التقاط أنفاسه! ورغم إرهاق العودة إلا أن سيليوس وجد متعة حقيقية في تجديد علاقته بفتاة اكتشف فيها من جديد عشيقة مذهلة، وقد أيقظت هذه العلاقة في نفسه الكثير من الآمال والطموحات الفريدة.

وعلى الفور استأجر سيليوس مسكنا، حيث يتبادل هو وميسالينا الحب ويتطارحان الغرام يوميًا بشغف، وبعد فترة وجيزة بدأ التوتر يظهر على ميسالينا بسبب التكتم الذي تفرضه الظروف على هذه العلاقة، وأصبح كل ما ترغب فيه أن تعلن عن هواها جهرًا وعلى مسمع من الجميع، وتعلم روما أنها مُتيمة بحب كايوس سيليوس، وشرعت تغدق على عشيقها الهدايا النفيسة، فهي لا

تتوانى عن تفريغ القصر من أثاثه الثمين لكي تنقله لبيت العشق الجديد، وبهذا تحولت دار القنصل إلى متحف حقيقي.

تمكن العشق من فؤاد ميسالينا فما عادت تطيق وجود امرأة أُخرى في حياة عشيقها، حتى لو كانت زوجته الشرعية، فهكذا يبدأ العشق، أمل في نصيب من فؤاد العشيق أو العشيقة، ثم يتحول الاحتواء بكامله إلى غاية وعندئذ لا يقبل العاشق مُشاركة أحد في هواه. تنشط نزعة التملك لتطمس الرؤية الواقعية وتغيب العقل عن الحقيقة، فقد أضحت ميسالينا تكتوي بنار الغيرة من الزوجة الشرعية لسيليوس، وتتحول إلى حيوان مفترس كلما تذكرت أن هناك من تشاركها عشيقها، وأخيرًا حسمت أمرها. لقد اهتدت لحل تمثل في السموم التي تعدها «لوكوستا» وهي امرأة على درجة عالية من سعة الأفق وقلة الذمة في آن واحد! حاكت الخطة، ثم نفذتها.

خرج سيليوس إلى منطقة أوستيا بصحبة كلاوديوس،حيث كان الإمبراطور راغبًا في إقامة منارة هناك، كانت زوجة سيليوس في المنزل، حيث تلقت سلة رائعة من الثمار أرسلت إليها من البلاط مباشرة، ولأنها اعتادت مثل هذه الهدايا فلم يكن من المُحال أن تتناول بعض الثمار، وهكذا انتهت ميسالينا من وجود الزوجة التي طالما ضاقت بوجودها في حياة عشيقها سيليوس عن طريق التفاح المسموم بسم «لوكوستا»

وماذا كان رد الفعل على سيليوس؟ إن سيليوس يعرف ميسالينا حق المعرفة، ويعلم أنها قادرة على ارتكاب أي عمل من أجل أن تنعم بالعيش معه، وأحس في قرارة نفسه أن عائقًا إضافيًا قد أُزيل من طريقه إلى العرش، وبذلك لم يتبق غير العائق الأكبر، ذلك الجالس حاليًا فوق العرش الإمبراطوري «كلاوديوس»

نفسه! قد تبدو مسألة التخلص من الإمبراطور مسألة سهلة المنال، مثلما تم مع زوجته، ولكن ميسالينا ليست مُتأكدة من البقاء على قيد الحياة بعد اغتيال الإمبراطوري، «كلاوديوس» كما أن ثقتها أقل في رؤية التاج الإمبراطوري يكلل هامتها، فأعداؤها كثيرون. ورغم كل ذلك، فقد اهتدت إلى طريقة شيطانية، بدت في نظرها خالية من كل خطورة، لقد قررت أن تتزوج عشيقها مع وجود كلاوديوس على قيد الحياة، بل وبمباركته أيضًا! ويُمكن بعد ذلك الخلاص من كلاوديوس بسبب تلبك معوي مثلًا، فلا يبقى أمام كايوس سيليوس، وقد أصبح زوجًا لها غير الصعود للعرش بصورة تلقائية!

وافق سيليوس على خطة ميسالينا، حيث رأى أن هذه الفكرة إذا أحسن إخراجها يُمكن أن تنجح نجاحًا تامًا، (فهي ترتكز على قيام كلاوديوس بجولة انفرادية في الحدائق المُحيطة بالبلاط في المساء فيتلاقى مع شخص يمثل عليه ويدعي قرب موته، وإنه يحفر له قبره.. وفي أحد الأيام، حيث كان كلاوديوس يقترب ببطء من معبد صغير للإله أبولون، لمح عجوزًا أصفر الوجه يرتدي ملابس بالية يحفر حفرة، فتملك الإمبراطور الدهشة لوجود هذا البستاني في تلك الساعة المُتأخرة من المساء، واقترب منه وسأله عما يفعل في هذه الساعة، ورد العجوز بصوت أجش بأنه يقوم بحفر قبر، والقبر لزوج ميسالينا الذي ينبغي أن يموت (خلال ثلاثة أيام)!!

انزعج كلاوديوس من حديث العجوز وانطلق عائدًا إلى القصر بعد أن علم أن اسم العجوز «إليكون»، وما أن دخل القصر حتى استدعى نرسيس وطلب منه أن يُفسر له وجود مثل هذا البستاني الذي يُدعى "إليكتون" في مثل هذه الساعة وفي مثل هذا العمل، إلا أن نرسيس عاد بإجابات غريبة مُبهمة، فالبستاني المدعو إليكتون قد توفي مُنذ شهرين!!

تملك الفزع كلاوديوس الذي قضى ليلة لا يُحسد عليها، فظل يتقلب من جنب إلى جنب، ثم انطلق نحو ميسالينا التي لاطفته وهدأت من روعه طالبة منه أن يستشير كبير كهنة روما. وما إن وصل الكاهن العظيم حتى وضعت المشكلة بين يديه، ولكن ميسالينا قد تصورت الحل لهذه المشكلة، وذهبت إلى الكاهن والإمبراطور حيث هما وقالت: لكي يستطيع كلاوديوس أن ينجو من هذه الرؤية، عليه ألا يظل زوجًا لها، ثم عرضت خطتها."موجز الخطة أن يبتعد كلاوديوس عن روما لبضعة أيام، أي الفترة الكافية لمرور اليوم المقدور، وتقوم ميسالينا في هذه الفترة، ويدافع من إخلاص لا مثيل له، بالتصدي للمحنة، فتظل على رأس الحُكم وتعقد عقد زواج صديق قديم، وليكن كايوس سيليوس. وعلى سبيل المثال، فهو على درجة من الشجاعة والوفاء تُؤهله للقيام بدور زوج ميسالينا في يوم نفاذ حكم القدر، وهكذا تتم التضحية بذلك الرجل الصالح!! ولكن الكاهن الأكبر اعترض بشدة على خطة ميسالينا، ذلك في الوقت الذي أُعجب بها كلاوديوس، فقد وجد في فكرة العثور على بديل له فرصة للهروب من القدر! وإذا كان الكاهن الكبير لم يقتنع في قرارة نفسه، فإنه قد أدرك أن معارضته لهذا المشروع الجنوني سوف تعني أن أيامه في روما قد تكون معدودة. وعندئذ أعلن كلاوديوس عن عزمه السفر إلى أوستيا لمراقبة منارته، وعلى الفور بدأت ميسالينا تعد العدة للاحتفال بعقد قرانها على سيليوس.. لقد أعدت كل شيء دون أن تحسب حساب نرسيس المطلع مُنذ وقت طويل على كل أسرارها. وقد شعر في ظل هذه المسرحية الشاذة التي قامت ميسالينا بتأليفها، أن في يده أسرار قيمة يُمكن استغلالها لإيقاف هذه المسرحية، خصوصًا أنه قد أحس بقدرة ميسالينا الهائلة على التخلص منه في أي وقت تشاء.

ولم يتردد نرسيس، وقام باستخراج كل التقارير المُتعلقة بنشاط ليسيسكا وانطلق على جواده يُسابق الريح إلى مكان كلاوديوس، وكان وصوله له وقع الصاعقة على الإمبراطور الذي ظل لفترة يرفض كلام نرسيس ويفهمه بأنها مخاوف لا مبرر لها وإن ما يحدث الآن مجرد مسرحية هزلية تهدف للحفاظ على حياته. ولكن نرسيس عرض على الإمبراطور سجلًا كاملًا مُدعمًا بالحجج والبراهين يتضمن تفاصيل كاملة عن حياة زوجته في السر. وتمكن في النهاية من إشعال نار الغضب في نفس كلاوديوس الذي قرر الرجوع فورًا، وقد استدعى في عودته كافة الوحدات العسكرية التي وجدها في طريقه، هذا في الوقت الذي عاد فيه نرسيس بسرعة إلى الوطن ليعلن نبأ رجوع مولاه. أحدث نبأ وصول الإمبراطور انفجارًا كالبركان وسط مظاهر الاحتفال في البلاط بالعرش الكبير، وهذا في الوقت الذي كان فيه العروسان فوق سرير الحب يتطارحان الغرام، وقد استولى الذعر على المُحتفلين، وبدأت عملية هروب فوضوية، بدأها كايوس سيليوس نفسه قبل الجميع لإنقاذ ما يُمكن إنقاذه ألا وهو الإبقاء على رأسه بين كتفيه. ولكن ما كاد سيليوس يصل إلى بيته حتى كان رجال الحرس الإمبراطوري في انتظاره مُتعطشين إلى نهب أجمل دار في روما كلها، وعلى الفور توجه أحدهم إليه وطعنه بالخنجر وانتهى كل شيء.

أما ميسالينا فقد هربت بدورها إلى بيت أمها بحثًا عن ملجأ أمين، ولكي تنتظر وصول كلاوديوس فهي تعرف كيف تكسبه إلى جانبها حين يصل، إلا أن نرسيس يعرف ذلك حق المعرفة، وقد أدرك أن كلاوديوس لن يقوى على الصمود أمام دموع زوجته؛ لذلك أرسل جنوده في أعقابها لتحظى هي الأُخرى بطعنة خنجر أحد الحراس، وعندما وصل كلاوديوس بكاها بدموع حارة، فهو لم يأمر بقتلها، لكن نرسيس أرسل إليه "أغريبينا" ابنة أخته، التي عرفت كيف تواسي ذلك العاشق العجوز وتمسح دموعه، وهكذا توصلت أغريبينا إلى خلافة ميسالينا..

حقيقة التنظيم السرى للإخوان

عن: سوزان حرفي وكتابها :النظام الخاص ودولة الإخوان

في كتاب (النظام الخاص ودولة الإخوان المسلمين) للباحثة سوزان حرفي، عن الثورة والإخوان عبر سنوات الصدام، والكتاب صدر بمقدمة لـ "كمال الهلباوي" القيادي المنشق عن الإخوان. وقد ذكر الهلباوي أن الجماعة ضمت ٨٠ ضابطا كانوا في تنظيمها الخاص (كلاً من النقيب آنذاك جمال عبد الناصر، والملازم أول حسين أحمد حمودة، والملازم كمال الدين حسين، وكذلك عبد المنعم عبد الرؤوف)

وذكرت حرفي أن الجهاز الخاص هو أكثر المناطق ضبابية في تاريخ الجماعة، سواء في ما ارتبط به من نشأة وأهداف، أو عضوية وعقيدة ونشاط وأفعال، فكل هذه الأشياء تقع غالباً في المساحة المظلمة التي يتجنب تنظيم الإخوان على مدار تاريخه السابق الاقتراب منها، إلا لماماً.. هذا الصمت، حسب وجهة نظر الباحثة، قد يكون نتيجة لطبيعة النظام الذي تغطيه السرية، فهو «النظام السري» أو «التنظيم السري»، وكان معظم أعضائه غير معروفين لرجال «النظام العام» داخل جماعة الإخوان نفسها، كما أن الصمت جاء التزاماً من أعضاء النظام الخاص أنفسهم بقسم الانضمام، أو البيعة، فالسرية جزء من عقيدة النظام وعقيدة أعضائه. وما زاد من مساحة الصمت ربما ارتباط هذا النظام بعدة جرائم كشفت منهج الجماعة، مثل قتل القاضي أحمد الخازندار وكيل محكمة الاستئناف، واغتيال أحمد ماهر باشا ومحمود فهمي النقراشي باشا،

رئيسي وزراء مصر، وغيرهما من المسؤولين، إضافة للقيام بعدد من التفجيرات والعمليات المسلحة التي راح ضحيتها كثير من المصريين.

تصف موسوعة الإخوان المسلمين، الصاغ "محمود لبيب" بأنه وكيل الإخوان المسلمين للشئون العسكرية ومؤسس تنظيم الضباط الأحرار وصاحب هذه التسمية "الضباط الأحرار"، وكان الصاغ لبيب، أحد أهم رجال حسن البنا في تأسيس ما يسمى "النظام الخاص" داخل جماعة الإخوان المسلمين في عام ١٩٤٠ وهو نظام عسكري أسسته الجماعة هدفه إعداد نخبة منتقاة من الإخوان المسلمين للقيام بمهمات خاصة والتدريب على العمليات العسكرية بما يخدم مشروع حسن البنا.

ولد الصاغ "محمود لبيب البقلي في ١٨٨٢م بالمنوفية، وجده الأكبر هو الشيخ البقلي المعروف، وله زاوية هناك تسمى زاوية البقلي، وقد ترك الصاغ محمود لبيب الجيش عام ١٩٣٦م برتبة صاغ لاختلافه مع عقل باشا مدير مصلحة خفر السواحل فطلب تسوية حالته فأحيل إلى المعاش.. شارك الصاغ محمود لبيب في الحياة السياسية مبكرًا، ويعتبر من الرعيل الأول للحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل، بدأ دور الصاغ لبيب في تنظيم جماعة الإخوان يكبر، وأوكل اليه تأسيس تنظيم الإخوان في الجيش المصري؛ نظرًا لخبرته الكبيرة في المؤسسة العسكرية المصرية، وقد انتخب الصاغ محمود لبيب عام ١٩٤٥م وكيلاً ثانيًا للإخوان المسلمين للشئون العسكرية، ويعتبر هو المؤسس لتنظيم الضباط الأحرار وصاحب هذه التسمية "الضباط الأحرار" حتى يبعد العيون عن حركة الإخوان داخل الضباط، ويخفي ارتباطها بدعوة الإخوان المسلمين تأمينًا لها إذا تعرضت الجماعة لأي ظروف طارئة، وهو أيضا القائد العام لمتطوعي الإخوان المسلمين في فلسطين، وقد قال عنه الرئيس الراحل جمال عبد

الناصر في سلسلة المصور (قصة ثورة الجيش من المهد إلى اللحد) مع حلمي سلام: كان يجمعنا وينظمنا المرحوم الصاغ "م.ل" يقصد الصاغ محمود لبيب وقد أراد حسن البنا تأسيس خلية للإخوان داخل الجيش المصري لتكوين مجموعة من الضباط تعتنق مبادئ الإخوان، لتكون نواة تنبع منها خلايا تعم كل وحدات الجيش، فاوكل الأمر إلى الصاغ محمود لبيب وكان أول ظهور لعريضة تطالب بالتعاليم الإسلامية في الجيش، في نهاية ١٩٤١وهو يأتي بعد سنوات قليلة من خروج الصاغ محمود لبيب من الجيش وانضمامه إلى جماعة الإخوان والتي أوكل إليه حسن البنا تأسيس مجموعة وخلايا لجماعة الإخوان داخل الجيش المصري، ليكون الجيش تحت قيادته فيما بعد ويحقق البنا من خلاله مشاريعه وأفكاره، فقد بدأ ظهور حركة الإخوان في الجيش مبكرا في نهاية سنة ١٩٣٨م حينما نشطت صحيفة الإخوان المسماه "النذير" في مناقشة قضايا الجيش جنودًا وضباطًا، وأفسحت المجال لمناقشة الأخطاء والعيوب التي تسمح بها سلوكيات الجيش المختلفة كنظام المراسلة وعدم إقامة الأذان في أوقات الصلاة، بل عدم تخصيص وقت لصلاة الجنود أصلا..

ومنذ هذا التاريخ أي سنة ١٩٣٨م، كان حسن البنا يتحدث عن الإسلام في الوحدات العسكرية في المناسبات الدينية كمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وغزوة بدر، وشهر رمضان؛ حيث تفتح أبواب الوحدات العسكرية للوعاظ لإلقاء دروس في هذه المناسبات وفي ديسمبر ١٩٤١ أرسلت إلى القصر الملكي عريضة باسم "الجنود الأحرار" تطالب بمنع ما يتعارض مع الإسلام وإلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦م ومنح الجندي الحق في الامتناع عن أي عمل يناقض الشرع؟ ووزعت منشورات داخل وحدات الجيش بمضمون هذه العريضة التي وقعت باسم "الجنود الأحرار" (وهذا ما أكدته تقارير الأمن العام

والبوليس المخصوص – محفظة ٣٤ – في ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١.) وكان الصاغ محمود لبيب هو سنارة الإخوان التي تدلت بين الضباط في الجيش فاستطاع أن يجتذب "يصيد" بعضاً منهم. وكانت أكبر الرتب التي أقبلت إلى الإخوان (عبد المنعم عبد الرؤوف، جمال عبد الناصر، أبو المكارم عبد الحي، كمال الدين حسين).

ونظراً لحساسية وضع الضباط فقد رئي ألا يكون نشاطهم في شعب الإخوان بالمجال العام حتى لا يكونوا عرضة للمحاكمات العسكرية والفصل والقوانين التي تحظر على الضباط الاشتغال بالسياسة أو الانتماء إلى منظمات سياسية، ولذلك تقرر إلحاقهم بالنظام الخاص وتم اتصالهم بعبد الرحمن السندي، ولما كثر عدد المنتسبين من الضباط في النظام الخاص للإخوان (٤٤ ضابطا) كما جاء في مذكرات "حسن العشماوى"، أفرد لهم حسن البنا قسمًا خاصًّا يرأسه الصاغ محمود لبيب، وبدأ استقلال محمود لبيب بعمله في هذا القسم عام ١٩٤٤م مستعينًا بالطيار عبد المنعم عبد الرءوف الذي بدأ في الانتشار وسط زملائه الضباط، واختبارهم لقبول تلك الفكرة والعمل لها، وفي أكتوبر١٩٤٤م قام بدعوة النقيب جمال عبد الناصر، لحضور درس الثلاثاء لحسن البنا بدار المركز العام للإخوان، ثم أتبعه بالملازم أول حسين أحمد حمودة والملازم كمال الدين حسين؛ ثم دعا الملازم أول حسين أحمد حمودة ضابطين هما شقيق زوجته الملازم أول سعد توفيق، والملازم أول صلاح الدين خليفة.

ويقول خالد محيي الدين:"كنا في نهاية عام ١٩٤٤م وكانت الحيرة تغلفنا جميعًا بحثًا عن طرق لنا ولمصر، وذات يوم مر علي عبد المنعم عبد الرؤوف، وعرض علي أن نلتقي بضابط آخر يحمل ذات الهموم، ويبحث عن إجابات لذات الأسئلة، وأخذني لأقابل جمال عبد الناصر، وكان لقائي الأول معه.

اصطحبت عثمان فوزي لمقابلة عبد المنعم عبد الرؤوف في جزيرة الشاي بحديقة الحيوان حيث قابلت الصاغ محمود لبيب الذي عرفت فيما بعد أنه مسئول الجناح العسكري في الإخوان المسلمين، وبدأ محمود لبيب يتكلم في تؤدة ويتطرق إلى موضوع الدين دون تعجل، وتحدث عن القضية الوطنية بنكهة إسلامية، فاشتم "عثمان فوزي – الضابط الماركسي" رائحة الإخوان من الحديث..

ويقول عبد المنعم عبد الرؤوف في مذكراته التي أسماها (أرغمت فاروق على التنازل عن العرش): "في أواخر مايو ١٩٤٢ التقيت حسن البنا ومحمود لبيب لأول مرة وأقترحت تكوين مجموعة إخوانية من ضباط الجيش، ووافق البنا ولبيب، وفي أكتوبر ١٩٤٢دعوت عبد الناصر لحضور جلسات الإخوان وحسين حمودة وكمال الدين حسين وكونا مكتبة إسلامية واستمررنا إلى ١٩٤٦في ضم ضباط لتنظيم الإخوان بالجيش مع الصدامات السياسية وفي نهاية ١٩٤٦ تم الاتفاق على تدريب شباب الإخوان عسكريا. وذهبنا نحن (خالد محيي الدين وناصر وكمال الدين حسين وأنا وحسين حمودة وسعد توفيق) إلى بيت بحي الصليبة وقمنا بالقسم على السلاح والمصحف بحضور عبد الرحمن السندي، وقمنا بتدريب شباب الإخوان على حرب العصابات من كتاب مترجم وعلى السلاح والمتفجرات وجهزنا لاحقا كتيبة من ٢٨٠ مجاهد للذهاب لفلسطين.

ويضيف عبد المنعم عبد الرءوف في مذكراته: مع اغتيال المرشد (حسن البنا) والحملات ضد الإخوان ضعف التواصل بشدة بين التنظيم والجماعة وحوصرنا بالجيش مما دفع المرحوم محمود لبيب إلى اقتراح تغيير اسم التنظيم "للضباط الأحرار" بدلا من الإخوان المسلمين.. وفي نهاية ١٩٤٩طلب الصاغ

محمود لبيب، وهو على فراش المرض، اثنين من ضباط التنظيم حتى يحملهما أمانة التنظيم وأسراره وأسماء أعضائه المنتشرين داخل الجيش من بعده، وهما الطيار عبد المنعم عبد الرءوف، والضابط جمال عبد الناصر الذي كان علاوة على انتمائه لتنظيم الضباط التابع للإخوان المسلمين كان منتميًا لتنظيمات تتبع أحزابًا وحركات سرية أخرى.. غاب عبد المنعم عبد الرءوف عن الموعد لأسباب عائلية، وذهب عبد الناصر ليفاجأ بأن الصاغ "محمود لبيب" يطلعه على أسرار التنظيم ويعطيه خريطة تنظيم الضباط (وفقا لكتابنا) يقول المفكر أحمد رائف: "وبعد وفاة الصاغ محمود لبيب قائد التنظيم الخاص انتقلت القيادة إلى جمال عبد الناصر؛ لأن محمود لبيب قبل وفاته أبلغ عبد الناصر أن الانقلاب كان موجودا في رأس حسن البنا، ولبيب على فراش الموت جهز قائمة بأفراد التنظيم الخاص والمشاركين في التخطيط والتدريب من المدنيين والعسكريين، وكان الوحيد الذي يعلم هذه التفاصيل بعد لبيب هو عبد الناصر.. ويضيف عبد المنعم عبد الرءوف في مذكراته في سبتمبر ١٩٤٩ أبلغني عبد الناصر نيته ضم ضباط من تيارات وأخلاقيات مختلفة لاستحالة تنفيذ انقلاب يخطط له للتغيير وسط شروط أخلاقية ودينية للضباط المنضمين وزي زوجاتهم ورفض طاعة تعليمات مكتب الإرشاد ووصفها بالتزمت ورفعنا الخلاف "لعزيز المصري" الذي طلب استمرار التعاون وعدم الانفصال والقتال ضد الإنجليز، أيدني محمود لبيب في الرأي وأصيب بالمرض وقبيل وفاته سلم عبد الناصر ورقة بها أسماء كل ضباط التنظيم والمبالغ المالية الخاصة بالاشتراكات

ومنذ تأسيس تنظيم الإخوان في الجيش كانت تجمع اشتراكات من الأعضاء للاستعانة بها في التدريب والمساعدات الاجتماعية للأفراد في حالات الضرورة، وفي ٢٥ من مايو ١٩٤٩ استدعي جمال عبد الناصر لمكتب رئيس

الوزراء إبراهيم عبد الهادي بتهمة الانتماء إلى الإخوان المسلمين وتدريبهم، وذلك بعد وصولهم كتابًا عن القنابل اليدوية موقع باسم جمال عبد الناصر مع أحد الإخوان المسلمين، فأجاب جمال عبد الناصر أن أحد الإخوان استعاره منه في حرب فلسطين، وقتل شهيدًا، وبذلك استطاع أن ينفي هذه التهمة عنه.

وأسرع الصاغ محمود لبيب المسئول عن تنظيم الإخوان الضباط بإرسال مرتب شهر لزوجة جمال عبد الناصر، وإبلاغها اهتمام إخوانه الضباط بموضوع التحقيق، وأنهم لن يتخلوا عنه، مما أثبت قوة ارتباطنا ماديًا. وبمناسبة هذا الحادث اقترح علينا الصاغ محمود لبيب استبدال اسم تنظيم الإخوان الضباط باسم "الضباط الأحرار" لإبعاد اسم جماعة الإخوان المسلمين المكروهة من الملك والأحزاب العميلة والإنجليز..

ويقول الفريق طيار عبد المنعم عبد الرءوف: إنه "في سبتمبر ١٩٤٩ أبلغني جمال عبد الناصر أنه لا يستطيع تجميع الضباط حول مبادئ الإخوان المسلمين واتباع هذا الأسلوب المتزمت في اختيارهم المتمثل في أن يشترط في الضباط الذين يُراد ضمهم للتنظيم اجتناب الخمر والميسر والنساء الساقطات، وضرب لي مثلاً بقوله: إن خالد محيي الدين تركنا ١٩٤٧ واعتنق المبادئ الماركسية، وانضم إلى منظمة اسكرا الشيوعية. وطال الجدل بيني وبين جمال عبد الناصر، واستغرق عدة ساعات، وظل كل منا متمسكاً برأيه"

وفي كتابه "والآن أتكلم" أدلى خالد محيي الدين بتلك الشهادة: "عام ١٩٤٤ عرفني الضابط الإخواني عبد المنعم عبد الرءوف بعبد الناصر ثم محمود لبيب كضابطين من الإخوان، قمنا بتكوين مجموعة من العسكريين الإخوان بعضها في منزل أحمد مظهر، لم نكن جميعا من أصحاب الولاءات للإخوان فمنا

من كانوا من الإخوان تماما ومنا مجرد ضباط يبحثون عن طريق، عبد الناصر كان يقول لي انهم – الإخوان – يريدون استغلال الضباط وليست لهم أهداف وطنية، ويتساءل عن سبب عدم قيامهم بالهجوم على الاحتلال والتظاهرات الكبرى."

ولما كان هناك خلاف في الرأي بين جمال عبد الناصر ومعه كمال الدين حسين من ناحية وبين عبد المنعم عبد الرءوف ومعه أبو المكارم عبد الحي من ناحية أخرى، فقد طلبوا عرض الخلاف على المرشد العام – حسن الهضيبي – الذي رأى أن هذه مجموعة تريد أن تتحلل من التزاماتها كإخوان، وليس هناك بد من قبول ذلك وأنه ربما كان من الأصلح أن يستمر الإخوان في طريقهم وليستمر جمال في طريقه، وكان هذا هو ما أراده جمال عبد الناصر؛ فأجاب بأنه سوف يستمر صديقاً للإخوان.كانت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار تحت إشراف عبد الناصر الذي أصر على استقلالها الكامل عن كل الجماعات الأخرى سواء داخل أو خارج الجيش، وعلى الأخص، كان عبد الناصر مصمماً على عزل الحركة عن الإخوان المسلمين، بينما كان الإخوان يحاولون تجنيد أكبر عدد من ضباط الجيش عن طريق كبار مندوبيهم. وأحد هؤلاء المندوبين كان عبد المنعم عبد الرءوف عضو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار، وعن ذلك يقول أنور السادات:

"فوجئنا بالبكباشي عبد المنعم عبد الرءوف وهو ينادي بضم تنظيم الضباط الأحرار كله إلى الإخوان المسلمين". هنا حدث خلاف في الرأي للمرة الثانية – على الأرجح – بين جمال عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرءوف، ولكن هذه المرة بخصوص تبعية هذا التنظيم السري – تنظيم الضباط الأحرار – للإخوان المسلمين، ورفض جمال عبد الناصر تبعية التنظيم للإخوان المسلمين،

ووافق باقي الضباط على رأي جمال فانسحب عبد المنعم عبد الرءوف من تنظيم الضباط الأحرار، كما تم إسقاط عضويته من اللجنة التأسيسية لالتزامه وارتباطه بجماعة الإخوان المسلمين بدلاً من تنظيم الضباط الأحرار.

وعن هذا يقول المفكر أحمد رائف:"إن تسمية الضباط الأحرار ترجع إلى الصاغ محمود لبيب أول رئيس للتنظيم الخاص بالإخوان في الجيش وأن عدد من يعرفون تفاصيل الانقلاب ما بين خمسة وستة أفراد فقط من التنظيم الخاص، ولم يكن عدد كبير من مكتب الإرشاد يعرف ذلك، ومن هؤلاء الذين كانوا يعرفون الموعد والتفاصيل من التنظيم الخاص، فريد عبد الخالق، ومنير الدله، وصالح رقيق، وعبد القادر حلمي، وحسن العشماوي، وصلاح شادي، وأنه تم تأجيل الثورة (يوليو ١٩٥٢) يومًا كاملًا لحين الحصول على موافقة حسن الهضيبي، وذهب إليه أحد أفراد الإخوان في الإسكندرية وظل يقنعه حتى وافق في النهاية، وعليه قامت الثورة بموافقة الهضيبي، وفي صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان حسن العشماوي يتجه إلى مبنى قيادة الجيش في كوبري القبة ليجتمع مع عبد الناصر، وكان موضوع اللقاء هو أن يطلب العشماوي من المرشد العام المستشار حسن الهضيبي، إصدار بيان يؤيد الثورة، ورفض المرشد العام في البداية إلى أن عاد إلى القاهرة من مصيفه بالإسكندرية، وبعد أن غادر فاروق البلاد فعليًا، أصدر بيان تأييد نشر في صحف ٢٨ يوليو قال فيه:

(في الوقت الذي تستقبل البلاد فيه مرحلة حاسمة من تاريخها بفضل هذه الحركة المباركة التي قام بها جيش مصر العظيم، أهيب بالإخوان المسلمين في أنحاء الوادي أن يستشعروا ما يلقي عليهم الوطن من تبعات كبيرة في إقرار الأمن وإشاعة الطمأنينة وأخذ السبيل على الناكصين ودعاة الفتنة ووقاية هذه النهضة الصادقة من أن ننسى روعتها وجلالها بأقل أذى أو تشويه، وذلك بأن

يستهدفوا على الدوام مثلهم العليا، وأن يكونوا على تمام الأهبة لمواجهة كل احتمال، والإخوان المسلمون بطبيعة دعوتهم خير سند لهذه الحركة يظاهرونها ويشدون أزرها حتى تبلغ مداها من الإصلاح وتحقق للبلاد ما تصبو إليه من عزة وإن حالة الأمن تطلب منكم بوجه خاص أعينا ساهرة ويقظة دائمة، فلقد أعدتكم دعوتكم الكريمة رجالًا يعرفون عند الشدة ويلبون عند أول دعوة، فكونوا عند العهد بكم، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم، وإن الهيئة التأسيسية للإخوان سوف تجتمع في نهاية الأسبوع لتقرر رأي الإخوان في ما يجب أن يقترن بهذه النهضة المباركة من خطوات الإصلاح الشامل ليدرك بها الوطن آماله ويستكمل بها مجده)

وفي اليوم التالي لصدور هذا البيان طلب المرشد العام، أن يلتقي مع أحد رجال الثورة في منزل صالح أبو رقيق الموظف بجامعة الدول العربية، وفي هذا الاجتماع دار حوار طويل بين المرشد العام وعبد الناصر، طلب فيه المرشد العام أن تطبق الثورة أحكام القرآن الكريم، وعندما أجابه عبد الناصر بأن الثورة قامت حربًا على الظلم والاستبداد السياسى والاجتماعى والاستعمار البريطاني، وهي بذلك ليست إلا تطبيقا لأحكام القرآن، لم يتحمس لهذا الرد، ورأى أن تصدر الثورة قانونًا بفرض الحجاب حتى لا تخرج النساء سافرات بشكل يخالف الدين، وأن تغلق دور السينما والمسرح، ووجد عبد الناصر أنه سوف يدخل في معركة مع الـ ٢٥ مليون مصريا أو نصفهم على الأقل، فأجابه بأنه – أي الهضيبى – يطلب منه طلبًا لا طاقة له به، فكانت إجابة الهضيبى أنه مصمم على طلبه، فقارن له عبد الناصر بين سلوك ابنته التي تذهب إلى كلية الطب سافرة، وأنه في بيته لا يستطيع أن يفرض على ابنته الحجاب فهل يفرض على المجتمع كله، فصمت الهضيبى، لكنه كان صمتا تشوبه المرارة، فلقد بدأ عبد

الناصر يرفض (أخونة) الدولة ويتمرد، وتلك كانت من الإشارات الأولى للصدام القادم؟!

لكن الثورة تعلن قانون الإصلاح في أيامها الأولى، وتعلن إقالة رشاد مهنا، المعروف بانتمائه إلى الإخوان، الذي راهنوا عليه أحيانا باعتباره الجواد الفائز، فيسبب هذا إحساسًا عميقًا بالفتور والقلق من الإخوان ولكن لا الإخوان يصارحون بالعداء جهارًا، ولا مجلس قيادة الثورة يهاجم مباشرة الإخوان. وهى اللغة التي ميزت العلاقة بين الإخوان المسلمين والنظام السياسى الحاكم الجديد وقتها.

وكان الصدام الأول الذي بدأ في ١٤ يناير ١٩٥٤ بقرار مجلس قيادة الثورة بحل جماعة الإخوان، ثم تلتها في مارس ١٩٥٤ أزمة الصدام الدامي الشهير كمرحلة ثانية حين أطلقت ثماني رصاصات على عبد الناصر في الإسكندرية لتعقبها مرحلة السقوط في تاريخ العلاقة، كانوا في ذلك الوقت أحرارا خارج المعتقلات على عكس عديد من الأحزاب والقوى الوطنية التي ضربت بعد حريق القاهرة، كالحزب الاشتراكى، والحزب الوطني، وأنصار السلام، والتنظيمات الشيوعية، ولفتت "حرفي" إلى أن سعي (حسن البنا) من خلال التنظيم الخاص، كان لإنشاء «جيش بديل» عن الجيش المصري، هو «جيش المسلمين»، طبقاً لما أكده جمال البنا، وكذلك محمود الصباغ أحد قيادات هذا الجيش في أربعينات القرن العشرين، وقد ذكر حسن البنا في إحدى رسائله الموجهة للتنظيم الخاص، وهي رسالة «المنهج» التي رسم فيها مراحل العمل وتكوين الكتائب ونموها، أن العدد المستهدف لهذا الجيش في مرحلته هذه هو اثنا عشر ألفاً، مضيفاً: «ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة.«

فكرة «الجيش البديل» هذه أسَرت محمود الصباغ عندما التقى حسن البنا لأول مرة عام **١٩٣٩**م في لقاء للتعارف رتبه زميله بالكلية مصطفى مشهور في دار الإخوان التي كانت تقع بمنطقة الحلمية الجديدة، بالقاهرة، حيث كان البنا يشرح الإسلام ودعوته. ولكنها أزعجت عبد الناصر والثورة. ويقول عبد الناصر: «رأيت أن كل ما يسوقه من آيات بينات رسمها الله للمسلمين شرعة ومنهاجاً في هذه الحياة تعالج ما نحن فيه في زماننا الحالي، فخرجت وأنا أقول: ولماذا التباطؤ في التنفيذ؟ خرجت مسلماً صحيح الإسلام، عضواً في جماعة الإخوان المسلمين، دون أن أكتب استمارة عضوية، أو أدفع اشتراكاً شهرياً أو سنوياً، أبحث مع مصطفى وسيلة لتنفيذ ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، التي تجلت واضحة في مقاتلة العدو من خلال (جيش مسلم) سيتحقق له نصر مؤكد، لو صدق ما عاهد الله عليه»

ثم يضيف: «همست بما يجول بخاطري لمصطفى مشهور، فعرفني على أخي في الله المرحوم الأستاذ عبد الرحمن السندي، بصفته المسؤول عن إعداد (جيش المسلمين) في تنظيم الإخوان المسلمين. المهم أن مشاركة هذا الجيش الإخواني في فلسطين لم تكن كما يروجون، فإنهم – حسب ما ذكرته "حرفي" – لم يدخلوا إلا معارك قليلة جداً فيها، فقد صدرت من الشيخ مُحَمَّد فرغلي، وهو المسؤول العام للمقاتلين الإخوان في فلسطين، الأوامر بعدم الدخول في مزيد من المعارك، بحجة أن هناك مؤامرة لتصفية المجاهدين، وظل الإخوان في معسكرهم لا يحاربون إلى أن عادوا من فلسطين.

الحكاية إذن لم تكن محاربة الصهاينة في فلسطين كما روجوا، لكن هدف إنشاء النظام الخاص الحقيقي أوضحته "حرفي"، وهي تستشهد بما كتبه عبد الرحمن الساعاتي، شقيق حسن البنا، المراقب العام للجماعة: «استعدوا يا

جنود، وليأخذ كل منكم أهبته، ويعد سلاحه، ولا يلتفت منكم أحد، وامضوا إلى حيث تؤمرون، خذوا هذه الأمة برفق، وصفوا لها الدواء، فكم على ضفاف النيل من قلب يعاني وجسم عليل. فإذا الأمة أبت، فأوثقوا يديها بالقيود، وأثقلوا ظهرها بالحديد، وجرعوها الدواء بالقوة. وإن وجدتم في جسمها عضواً خبيثاً فاقطعوه، أو سرطاناً خطيراً فأزيلوه، فكثير من أبناء هذا الشعب في آذانهم وقر، وفي عيونهم عمى.«

أما عن المكانة التي كان يتمتع بها هؤلاء الذين اختارهم البنا لهذه المهمة، فقد كانت أعلى من غيرهم من المنتمين للجماعة، طبقاً لما أكده الشيخ أحمد حسن الباقوري، في كتابه «بقايا ذكريات« حيث أفاد الباقوري بأنه تم توجيه هذا الشباب الذي انضم للتنظيم الخاص على أنهم هم أعضاء الجماعة الحقيقيون، وأن إخوانهم المشتغلين في الدعوة العامة مع البنا هم أقل منهم درجة، فهم كانوا يحملون صفة تربوية، عرفها حسن البنا لهم بـ «الأخ المجاهد»، بينما المشتغلون مع البنا في الدعوة العامة كانوا يعرفوا بـ «الأخ العامل.«..

تابعت "حرفي" في كتابها قصة نهاية عقد الثلاثينات وبداية الأربعينات، وما ساقه بعض ممن ساهم في تأسيس خلايا وكتائب داخل النظام الخاص في تلك الفترة، كما كشفت أن فكرة الاغتيالات كان مرحباً بها بين أعضاء الجماعة، وهو ما ظهر جلياً في ما قاله الدكتور يوسف القرضاوي، عضو تنظيم الإخوان سابقاً، بمذكراته «ابن القرية والكُتاب.. ملامح سيرة ومسيرة» يقول: «قابلنا، نحن الشباب والطلاب، اغتيال النقراشي بارتياح واستبشار، فقد شفا غليلنا ورد اعتبارنا.«

ويلفت النظر إلى أن الأهداف التي استدعت تشكيل النظام الخاص، بما فيها الدفاع عن «الدعوة»، وحماية ظهرها من الأعداء، كان بينها ضرب

الخصوم؛ فالنظام الخاص أو التنظيم السري يعتبر تنظيماً عسكرياً هرمياً سرياً، هدفه ضرب الخصوم، والخارجين حتى عن الطاعة من داخل الجماعة نفسها. وذكرت "حرفي" أن البنا كان يؤيد العنف بكل أشكاله، وقد اتضح ذلك في المؤتمر الخامس للإخوان، الذي انعقد عام ١٩٣٨، عندما وجه بأن «القوة شعار الإسلام، وأول درجاتها قوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدها قوة الساعد والسلاح وإن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها»

وقد بدا ذلك تحولاً في نهج الإخوان من الاكتفاء بنهج التربية والدعوة إلى السعي للتغيير بالقوة، وتدشيناً لمرحلة جديدة من طور نمو التنظيم، بعد مرحلة «التعريف» بالانتقال للمرحلة الثانية، وهي مرحلة «التكوين»، وصولاً لـ «التمكين»، لإقامة دولة «الخلافة الإسلامية» التي تقترب من دولة الخلفاء الراشدين الأربعة، ولا سبيل لتحقيق تلك الغاية إلا بالجهاد المسلح، وهو ما أعلنه عدد من القيادات البارزة داخل تنظيم الإخوان، على رأسهم اثنان من مكتب الإرشاد، وهما محمود أبو زيد عثمان صاحب امتياز مجلة «النذير»، ومُحَمَّد المغلاوي مسؤول قسم الطلبة والعمال، ومعهما مُحَمَّد عطية خميس، والدكتور علي النشار، والشيخ حافظ سلامة، كما انضم لهم عدد كبير من كوادر الجماعة. وجاء هذا بوضوح في مجلة «النذير» لسان حالهم بعد الانشقاق، واللافت أن البنا لم يهاجمهم، ولم يقف رافضاً لما قاموا به، بل تبرع لهم للمساعدة في إنشاء مقرات، كما أن بعض قيادات الجماعة وقفوا الموقف نفسه، ووصفوهم بأنهم «شباب استعجلوا النصر.«

وكشفت حرفي أن البنا أصدر توجيهاته بأن يكون هناك لقاء أسبوعي «يوم المعسكر»، هدفه تسهيل إمداد النظام الخاص بعناصر جديدة تعوض

الخسائر التي فقدوها بخروج مجموعة «محمد عزت» و«شباب محمد.« وكشفت أيضاً أن استعراضات الجوالة لم تكن مقصودة لذاتها دائماً، وإنما كانت ذريعة لإظهار قوة الجماعة ومظهرها العسكري، والإيحاء بأنها هي القوة العسكرية للجماعة، وصرف النظر عن التنظيم الذي يتم إعداده سراً، وفي كتمان تام بعيداً عن مظهريات الجماعة. وقد تطرقت المؤلفة لطريقة تكوينه، وبيعة أعضائه، وتشكيله العنقودي، وسريته التامة حتى داخل أعضائه أنفسهم

وأشارت "حرفي" إلى أن «القيادة» كانت تضم عشرة أشخاص، خمسة من بينهم لا يتصل أحد منهم اتصالاً مباشراً بأي من أعضاء النظام، وتم تحديد مهام «قيادة الجيش» بدراسة طرق التنفيذ لما يصل من خطط صادرة من الأركان، وإصدار بيانات يشترك فيها جميع الأعضاء، كذلك الإشراف على أحوال الجند، والاطمئنان على دوام قوتهم المعنوية، كما تقوم القيادة بالاتصال بالإدارة العليا، وتبليغ الأركان بكل ما يحتاج إليه من إرشاداتها، ويجب أن يكون كل فرد من الأفراد العشرة المكونين لمجلس القيادة على استعداد لتولي القيادة في أي لحظة.

أما «الأركان» فهي مجلس مكون من خمسة أشخاص، ويمكن أن يزيد عدده كلما احتاج الأمر، ومهماته وضع خطط لتنظيم القوات في كل من أوقات السلم والحرب، ودراسة المعدات عملياً، وتحديد ما يصلح منها لاستعمال الجيش، وإصدار بيانات بمميزاتها وطرق استعمالها وحفظها، كذلك تحديد الأهداف التي سيتم التعامل معها، ورسم خطة التنفيذ، من زمان ومكان والقوات المطلوبة، ودراسة كل ما يصل إليها عن طريق مجلس القيادة، من صعوبات ومشكلات عملية، ومطالب مستجدة، وإصدار بيانات بنتيجة الدراسة ترسل إلى مجلس القيادة..

وبالنسبة لـ «الجنود» فمهمتهم الاستعداد الروحي والعقلي والطاعة والتنفيذ. ويعد صالح عشماوي، هو قائد التنظيم السري بتكليف من حسن البنا بقيادة النظام الخاص كما استطاع محمود عبد الحليم أن يجعل من الطلاب العنصر الأساسي في تكوين التنظيم.

التنظيم شبه العسكري جرى تقسيمه إلى مجموعات عنقودية صغيرة لا تعرف بعضها مع تلقينهم برنامجا إيمانياً وروحياً مكثفا، إضافة إلى دراسة مستفيضة حول الجهاد في الإسلام وذلك لغسل أدمغة هؤلاء الشباب. وفي ١٦ يونيو ١٩٤١ انتقل محمود عبد الحليم للعمل إلى دمنهور ليعهد بتدريب الشباب على استعمال الأسلحة والأعمال الشاقة والمبالغة في السمع والطاعة في المنشط والمكره وكتمان السر إلى "عبدالرحمن السندي."

وفي عام ١٩٤٨ جرى فضح هذا النظام السري في قضية السيارة الجيب، بعد أن عثر البوليس السياسي على سيارة جيب بها جميع أسرار التنظيم الخاص، ومن بينها أوراق التأسيس والأهداف، وقدمتها حكومة النقراشي إلى محكمة الجنايات..

يقول علي عشماوي، الذي كان عضوا بهذا التنظيم السري في كتابه «التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين»: «جرت محاولتان لاغتيال عبد الناصر والاستيلاء على الحكم (١٩٥٤و ١٩٦٥)» وحدثت مواجهات دموية بين نظام يوليو والإخوان المسلمين بالفعل، وتم إعدام عدد من قيادات الإخوان في المناسبتين، وكان الذي يقود الإخوان المسلمين في محاولتي الانقلاب والاغتيال والاستيلاء على السلطة تنظيم مدرب عسكريًا، من ذوي اللياقة البدنية العالية، وذوي التلقين العقيدي المتعمق، والمبرمجين على السمع والطاعة

المطلقة، وكان هذا التنظيم شبه العسكري يعرف في صفوف الإخوان باسم «التنظيم الخاص» وفي دوائر السلطة باسم «الجهاز السري»

ويتابع عشماوي «أن قيادة التنظيم الخاص كانت مخترقة من الأجهزة الغربية وتعمل لحسابها، وأن جميع الأعمال الكبرى التي يتفاخر بها الإخوان في تاريخهم قد تم تفريغها من نتائجها بعد معرفتي بعلاقات العمالة والتبعية من بعض قادة الإخوان للأجهزة الغربية الصهيونية، وأكد لي المرحوم الأستاذ سيد قطب ذلك!

كاتبة على حجر العفريت؟!

عن: غادة السمان وكتابها: "رسائل غسان كنفاني لغادة السمان"

أصدر أنيس منصور كتابه "يسقط الحائط الرابع"، وكان أول ناقد يكتب عن غادة السمان، وقال عنها أنها مثل كرة من القطن المشتعل تنطلق في كل مكان، إنها تبحث عن ماء يخمدها فإذا وجدت الماء رفضته وصرخت: ما الذي تريده؟! إنها تريد أن تظل مشتعلة وأن تحلم بالماء. وحينما كتب أنيس عن أعمالها: "دليل الغرباء"، و"عيناك قدري"، و"البحر في بيروت"، وصفها بأنها أديبة غير منتمية، وتريد أن تنتمي، وحينما نقل بعض عبارات من كتبها مثل:

"قال لي انصهري فانصهرت قال انسكبي فانسكبت"

"طالما بكيت لأنني سقطت وحدي ولم يرفعني أحد، حتى أبي لم يرفعني لأنه هرب مع امرأة ضائعة مثلي!"

"صوت حبيبي آت من الجبال إلى التلال على فراشي طلبت حبيبي فما وجدته"

قال عبارته التي اشتهرت: "جاء أدب الأظافر الطويلة من لبنان!! أي جاء "الأدب النسائي"

المهم.. اعترفت غادة بعلاقة حب بينها وبين غسان كنفاني، هذا الاعتراف قلب الدنيا أنها قالت فيه:"لا أستطيع الادعاء.. دون أن أكذب أن غسان كان أحب "رجالي" إلى قلبي كامرأة كي لا أخون حقيقتي الداخلية مع

آخرين سيأتي الاعتراف بهم بعد الموت".. إذن فأنت الفتاة الجالسة على حجر العفريت في ألف ليلة وليلة، والتي قابلت شهريار وأخاه ومارست الهوى معهما، وأظهرت لهما خيطاً من الخواتم لرجال آخرين فأعطاها كل منهم خاتمه.

المهم هذا الاعتراف هز الوسط الأدبي كله رجالاً ونساءً، ماذا لو فعلها باقي الكتاب أو لو استهوت اللعبة الأدب النسائي؟! ولهذا قالت لها سناء البيسي: "أعترف بأنك ملكة الرواية بعد رواية "ليلة المليار" وكان هذا يكفي لماذا الآن وله زوجة وأولاد؟! وقالت لها عبلة الرويني: "غادة تشعل سيجارتها" إنها تذكرها بصداقتها، وقرابتها لنزار قباني، وبأنها فعلت فعلة إحدى بطلات قصائده أو أنها هي صاحبة هذه القصيدة، والقصيدة عنوانها "حارقة روما" وتقول:

كفي عن الكلام يا ثرثارة...كفي عن المشي على أعصابي المنهارة.. ماذا أسمي كل ما فعلته.. سادية.. نفعية.. قرصنة.. حقارة؟!

ولكن غادة السمان لا تهتم وتأتي بما لم يأت به الاوائل، اختارت أن تصدر عن دار الطليعة في بيروت "رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان" راصدة ريع الكتاب لمؤسسة غسان كنفاني، وهو ما رفضته زوجته وأولاده..

فمنذ أكثر من عشرين عاماً أحب الروائي الفلسطيني غسان كنفاني غادة السمان وتبادلا الرسائل العاطفية، وبدا يومها عاشقاً ضعيف القلب، لا يلتفت كثيراً لما يردده أهالي بيروت عن أنه ساقط في الخيبة، وأنه سيتعب من لعق حذائها البعيد، ومن أنها لا تكترث به، وأنه ملحاح كالعلق، فكل ما رددوه ظل

تحت ما يشعره حقاً. هكذا أعلن حبه ببساطة ووضوح، مؤكداً أن مشاعره لا يمكن فهمها في شارع الحمراء.

ومنذ عشرين عاماً نسف الإسرائيليون غسان كنفاني، فاكتملت أسطورته، هو المبدع الفذ الذي يبدأ منه تاريخ تبلور النثر الفلسطيني، الذي نقل الخبر ــ بتعبير محمود درويش – إلى مرتبة الشرف حين أعطاه قيمة الدم.

نشرت غادة السمان رسائل غسان العاطفية إليها، دون نشر رسائلها هي إليه، ليظل الكتاب ناقصاً ومخالفاً لوجه الحقيقة.. تقول غادة إن رسائلها ليست في حوزتها، ربما لكي تبقى حقيقة الرسائل في حوزتها.. يبقى تاريخ العلاقة في وجدانها، لكنها التزمت الصمت والموقف الحيادي، فلم تعلق على رسالة واحدة.. لم تضف هامشاً، لم تفصح عن صورتها أو ملامحها يوم كانت، لتتيح أمام القارئ اكتمال المشهد..

"ثمة رجل يدعى غسان كنفاني" هكذا انتقت بحيادية تامة عباراتها وهي تشاهد الحريق، وعلى حين تصورت غادة أن كتابها جريء جداً يتحدى مؤسسات الرياء الاجتماعي "وتطيب خاطره" ويرفض الخضوع لزمن الغبار الذي يتكدس في الحناجر، ولا يمتلك جرأة المجابهة لأن فعله الحقيقي هو "فعل" غسان، وموقفه الحقيقي هو موقف "غسان" وجرأته الحقيقية هي "جرأة" غسان، بينما تتوارى غادة دون فعل دون موقف دون جرأة.

أما من هو غسان كنفاني بطل هذه الرسائل؟ لنبحث عن الفارس العاشق: "ولد غسان كنفاني في مدينة عكا بفلسطين عام **١٩٣٦** ومن عائلة متوسطة، انتقل مع أبويه إلى يافا، حيث تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة تابعة لإرسالية

فرنسية، وقبل أن يكمل عامه الثاني عشر قامت العصابات الصهيونية بمهاجمة المدن الفلسطينية؛ فاضطر إلى النزوح مع عائلته المكونة من أبويه وجده وسبعة أشقاء إلى جنوب لبنان وأقاموا هناك فترة قصيرة من الزمن، ثم انتقلت العائلة إلى دمشق

في بداية الخمسينات التحق غسان بحركة "القوميين العرب" التي كانت قد طرحت شعار مناهضة الاستعمار، وفي عام ١٩٥٣ كتب قصته الأولى، وكان اسمها "أنقذتني الصدفة" وأرسلها إلى برنامج أسبوعي كانت تبثه إذاعة دمشق تحت اسم "ركن الطلبة"، وبالفعل أذيعت القصة مساء ١٩٥٣/١١/٢٤. ثم نشر قصته الثانية في جريدة "الرأي" عام ١٩٥٣ واسمها "شمس جديدة" التي تدور أحداثها حول طفل صغير من غزة. في العام نفسه سافر غسان إلى الكويت ليعمل مدرساً، وهناك ومن خلال مشاهدته للصحراء ولأبناء شعبه وللعلاقات السائدة يختزن في ذهنه مئات الصور والفجائع الإنسانية، وليستفيد منها بعد عدة سنوات في الرواية الشهيرة "رجال تحت الشمس" التي كتبها عام ١٩٦٣.

انتقل إلى بيروت عام ١٩٦٠، حيث عمل محرراً أدبياً لجريدة "الحرية" الأسبوعية، ثم أصبح عام ١٩٦٣ رئيساً لتحرير جريدة "المحرر" كما عمل في "الأنوار" تحت اسم مستعار "فارس فارس" ومجلة "الحوادث" حتى عام ١٩٦٩ وقد نشر بالأخيرة رواية "من قتل ليلى الحايك" و"عائد إلى حيفا" ثم أسس مجلة "الهدف" الأسبوعية وبقي رئيسا لتحريرها حتى استشهاده. في صباح الثامن من حزيران عام ١٩٧٢ استشهد غسان على أيدي عملاء "إسرائيل" عندما انفجرت قنبلة بلاستيكية ومعها خمسة كيلو غرامات من الديناميت في سيارته أودت بحياته الغالية..

تقول زوجته ورفيقة نضاله السيدة "أني": "بعد دقيقتين من مغادرة غسان ولميس _ابنة أخته_ سمعنا انفجاراً رهيباً.. تحطمت كل نوافذ البيت.. نزلت السلم راكضة لكي أجد البقايا المحترقة لسيارته.. وجدنا لميس على بعد بضعة أمتار، ولم نجد غسان.. ناديت عليه، ثم اكتشفت ساقه اليسرى.. وقفت بلا حراك.. في حين أخذ فايز _ ابنه _ يدق رأسه بالحائط .. وليلى _ ابنتنا _ تصرخ: بابا.. بابا.. لقد قتلوك".

بقي أن نذكر أن المحققين وجدوا إلى جانب السيارة المنسوفة ورقة تقول: "مع تحيات سفارة إسرائيل كوبنهاغن". هذه الورقة لها معناها المحدد وهي تكشف عن جانب مهم من جوانب نضاله السياسي فماذا تعني هذه الرسالة الغامضة؟ ومن المعروف أن "غسان كنفاني" كان متزوجاً من فتاة دانمركية اسمها "أني" هذه الفتاة كان لها دور كبير في حياة غسان وفي نضاله السياسي ونشاطه الثوري. وقد اعتمد عليها غسان في توثيق صلاته بكثير من الأوساط الأوربية، بل واعتمد على مساعدتها له في الحصول على كثير من الوثائق المتصلة بواقع العرب في الأرض المحتلة. هؤلاء الذين أصبحوا أكثر من مليون ونصف مليون مواطن، بعد أن وقعت الضفة الغربية لنهر الأردن تحت سيطرة الإسرائيليين. لذلك فإن هذه الورقة التي عثر عليها المحققون بمكان الانفجار تعني إشارة واضحة للدور الذي لعبه غسان من خلال هذه الزوجة المثقفة الوفية لزوجها، ولشعب فلسطين العربي..

وتجدر الإشارة إلى أن غسان التقى مع "آني" لأول مرة وهي تقوم بزيارة لبعض الدول العربية لإعداد دراسة عن "اللاجئين الفلسطينيين"، وقد تعرفت على غسان باعتباره كاتباً فلسطينياً يمكن أن يساعدها في إعداد البحث وتقصي الحقائق، وانتهت هذه المعرفة إلى الزواج.

وبعد أكثر من عشرين سنة تفتح غادة السمان خزانة أوراقها الخاصة وتنفض الغبار عن رسائل غسان إليها وتدفع بها للنشر. نعم يعرف كثيرون أن غسان كان يحبها، وأنه وقع في هواها في سنة ٦٦ _ على الأرجح _ حين كانا يعيشان في بيروت "هل يذكر أحد بيروت منتصف الستينات قبل أن تدهمها غاشية الحرب التي لم تبق على أحد أو شيء؟" ثم رحلت هي إلى لندن وبقي هو يكتب لها الرسائل من حيث يكون.. من تلك الرسائل اختارت غادة اثنتي عشرة رسالة فيما بين:٦٦و٦٨ ونشرتها، مع صور خطية لها، ومقدمتين، في المقدمة الثانية _ دعك من الأولى التي ليست سوى اقتباسات من الرسائل ذاتها تورد السيدة مبرراتها لنشرها هي ليست _ فقط _ الوفاء لعاطفتها، الغابرة والمتجددة نحوه بل وفاء لمبدع من بلادها اكتمل بالموت. ولا تنسى أن تضيف _ حرصاً منها على علاقات أخرى في الماضي والحاضر _ لا أستطيع الادعاء _ دون أن أكذب _ أن غسان كان أحب الرجال إلى قلبي كامرأة، كي لا أخون حقيقتي الداخلية مع آخرين سيأتي دور الاعتراف بهم" وهي تنشر الرسائل دون حذف أو تعديل طلقة في معركتها التي لن تهدأ يوماً ضد مؤسسات الرياء الاجتماعي، ثم لكي تضيف بعداً إنسانياً جميلاً لصورة المناضل من الداخل قبل أن تدخل في سجن الأسطورة، وأخيراً تمارس السيدة غادة، لحظه صدق، فتضبط نفسها وهي "تكاد تتستر على عامل نرجسي لا يستهان به: الفخر بحب رجل كهذا. أهدى روحه لوطنه وأنشد لي يوماً ما معناه: "مولاي وروحي في يده.. إن ضيعها سلمت يده"

لكن قارئ تلك الرسائل "المنتقاة" تذكر غادة أنها ليست كل الرسائل، فثمة أخرى قد احترقت في بيتها في ٧٦" قد لا يستطيع أن يزيح عن نفسه أن هذا الدافع النرجسي هو أهم الدوافع كلها، فصورة العلاقة بينهما _كما

تعكسها الرسائل _ هي صورة تعلق جارف من طرف واحد، نراه ونسمع لهاثه ونقرأ كلماته الشاكية الضارعة الغاضبة الآملة، ونحس عذابه الجارف والطاغي لملك الطرف الأخر. بعبارة ثانية: أن صورة غادة _ كما تبدو في تلك الرسائل _ هي صورة فتاة طاغية الأنوثة، مرحة لعوب "في إحدى الرسائل يقول لها: أنت صبية وفاتنة وموهوبة". وأكثر الأوصاف التي يصفها بها تردداً هي "يا شقية" "تعبث بالرجل الذي أيقنت به من رسالته الأولى _ أنه يحبها، والذي تعرف عنه أنه _ كما يصف نفسه في رسالته الأخيرة هنا _ "كرة متشابكة من الأعصاب والجروح" وهي في هذا العبث ليست عادلة تستخدم سلاحاً موجعاً.

كان غسان زوجاً وأباً، وكانت هي حرة طليقة. في إحدى رسائله يحلل غسان علاقتهما مشيراً لهذه النقطة بالتحديد: "لقد استسلمنا للعلاقة بصورتها الفاجعة والحلوة، ومصيرها المعتم والمضيء". وتبادلنا خطأ الجبن: أما أنا فقد كنت جباناً في سبيل غيري، لم أكن أريد أن أطوح بالفضاء بطفلين وامرأة لم يسيئوا إلي قط، مثلما طرح بي العالم القاسي قبل عشرين سنة، أما أنت فقد كان كل ما يهمك نفسك فقط".

وفي أكثر تلك الرسائل حميمة وسخونة وامتلاء بنزف القلب، تلك التي وجهها غسان لأخته الكبرى فايزة، وهي يعني غادة في كلمة من كلماتها يحاول غسان تحليل دوافعه الذاتية العميقة _ قدر ما استطاع الغوص والنفاذ _ التي تدفعه إلى التعليق بمن تهينه وتذله وتعبث به.. وفيها يروي واقعة صغيرة من وقائع هذا الإذلال: وقالت له في الصباح أنها ستأوي إلى فراشها في العاشرة من المساء، ولذلك "اذهب لبيتك باكراً اليوم" لكنها حتى منتصف الليل لم تكن هناك، ولا في الواحدة، ولا في الثالثة.." ثم هتفت لها فأبلغتني أنها كانت تشرب نبيذاً وأنها سهرت مع صديق.. وهذا ما كانت تريد أن تقوله هل تتصورين؟

كانت تجهد لتنال أذني كي تصب فيها اللعنة، ترى.. ما الذي يذكرني بهذه الإنسانة إلا الذل؟.. ذلي فعلى عيني بكت عيني وعلى روحي بكت روحي"

ولم يكن غسان ظالماً لها بل كان _ شأن العشاق الكبار _ يتلمس لها الأعذار والمبررات فهي وحيدة "لا تستطيع أن تردم الهوة بينها وبين العالم إلا بالرجال".. وهي تفضل التفاهة والمشاعر التي تمر على السطح. وأنا أعرف أن الحياة قد خدشتها بما فيه الكفاية لترفض مبدأ من "الأخداش" ولكن.. لماذا يتعين علي أن أدفع الثمن؟ أمس صعقتني مثلاً حين قلت لها أنني أرغب في رؤيتها فصاحت: أتحسبني بنت شارع؟ كانت ترد على غيري، كنت أعرف ذلك، ولكن ما هو ذنبي أنا؟" ذنبك الوحيد، أيها العزيز غسان، أنك سقطت في هوى أنثى جميلة طاغية مشتهاة تجيد اللعب ويلذ لها أن تعبث بمن يحبها، كنت في حبك لها مستجيباً لأعمق ما في ذاتك وأنبل ما فيها: حين وجدتها في مأزق حقيقي قدمت لها جواز سفر وسعيت لها في عمل فكافأتك مكافأة رائعة: وكتبت لك رسالة بيضاء. اسمك في أولها: واسمها في آخرها، وتركت لك أن تملأ المساحة الفارغة كما تهوى!

ومن سياق الرسائل أيضاً تفهم أن ثمة صراعاً كان ناشباً بين الأنثى والكاتبة فيها "كان يصفها بأنها امرأة حتى كعب حذائها". ويخاطبها: "أيتها المرأة قبل ألف مرة من أن تكوني أديبة أو كاتبة". وكان غسان يحاول أن يدفع صاحبته نحو الانحياز للكاتبة فيها، نحو النصف الأعلى لا الأسفل يكتب لها مرة ضارعاً إليها أن تكتب له: "اكتبي أيتها الحلوة الذكية" تمسكي بهذا الشيء الذي يستطيع إلى الأبد أن يكون درعك أكثر مما يستطيع أي رداء مبتكر "وقصير" أن يفعل"..."اطرحي، مرة وإلى الأبد، حيرتك الأنثوية المغيظة بين رأسك وركبتيك فتكسبي رأسك ورؤوس الآخرين وعظمة أنوثتك"

وبعد نحو ١٢ عاماً قررت السمان إصدار كتاب "محاكمة حب" ضمن سلسلة "الأعمال غير الكاملة" لها تحكي فيها كل تشعبات القصة " هي وغسان" وأصداء الكتاب الى تناول النقاد والصحافيين له، الى أوراق خاصة لم تنشر، وإذا السمان تتحدث عن أمراض ثقافية لأنها اعتبرت "هجوم" الصحافة العربية عليها من باب قمع الحريات الذي يتعرض له الكاتب في المجتمع العربي، وبالأخص المرأة.

الكتاب ممتع من ناحية تسلسله وسرده "للواقعة" كما حصلت، والأشد متعة في الكتاب تلك المحاورات المنشورة التي هي في صلب الكتاب إذ إنها تتضمن كل التفاصيل وكل الاجابات عن تساؤلات قد يطرحها القارئ حول الموضوع. وبعد إهداء أول الى رفاق القلم الذين دعموا الكاتبة في خطوتها البيوغرافية غير المسبوقة في العالم العربي وإلى الذين "وقفوا ضد همجيتنا الأبجدية المتمثلة في إحراق بعض أوراق راحلينا المبدعين في غياب أي مؤسسة عربية ترعى الميراث الثقافي للراحلين" وإلى الذين "هاجموا" وإلى الذين "حاوروا" وبعد إهداء ثان إلى"عشاق الشغب على الغبار والشخير التاريخي من المنظرين للرياء والدجل واستغباء الناس وقمعهم وتخويفهم وإرغامهم على القيام بدور الرقيب الذاتي"

كتبت السمان في فصل بعنوان "مصارحة" ذكرت فيه أن نحو مائتي مقالة نقدية سطرت حول هذا الكتاب، نصفها ضد الخطوة – ومنها "مقالي في مجلة العربي" – ونصفها الآخر يؤيد "فعلتها" ونشرتها ولم تعلق عليها، وتنشر السمان في "محاكمة حب" وقبل البدء بالمحاكمة نصين غير معروفين بخط يد كنفاني وهما مضمون رسالتين موجهتين إلى غادة السمان تحت عنوان أوراق خاصة.

وإذا السمان تدافع عن كتابها "رسائل حب غسان كنفاني" فهي تثير زوبعة أخرى بنص يذكر فيه كنفاني كراهيته للشاعر نزار قباني في هجاء جاء فيه: (كان رأسه يابساً وشعره منتصبا كأنه شعر الفرشاة. وكنت أضحك دائماً حين كنت أراه، فقد كنت أتصور أنه لو قُطع هذا الرأس وألقي في دغل لحسبته قنفذا فر من أنثاه الغاضبة! إنه رجل تافه، لو قدر له أن يقطع حياته جيئة وذهاباً أربع مرات على التوالي، فوق حقل من الطين، لما ترك أثراً!) ..

وتذكر غادة السمان في إشارة تحت النص وبالحرف الصغيرة أن نزار كان قريبها عائلياً وكان يلتقيها كنفاني في بيتها؟!."ونزار أيضاً بادل غسان كرهاً بكره، وكان منظرهما معاً مسلياً: مبدعان وذكيان يتبارزان بالأبجدية كطفلين" كذلك يتضمن النص الثاني كلاماً في الحب من فصيلة الكلام الذي رفضه القارئ والناقد في الرسائل المنشورة سابقاً:

[لو وجدت في كوة الضوء التي انفتحت أمامي بعد رحلة الشوك الطويلة واحدة غيرك لمت من اليأس، ولكن أنت؟.. إنني أستغرب الرحلة الآن، بل أرى أنني لو لم أقطعها ـ في الليل والبرد والتوحش ـ لما وجدتك. لقد جفت فجأة نقاط الدم التي تركتها تسيل وتنطبع على احجار الطريق لتدلني على العودة إلى البداية، وصرت بالبداية من جديد. أحس، أمام عينيك الشاسعتين، إحساس كاهن يستمطر السماء. إن وجودي كله معلق هناك، كي أفرش كفي ذات يوم خارج باب الكهف، فإذا بها تمطر].

كلام جديد في الحب من محفوظات السمان كتبه لها كنفاني وتطلقه من جديد متحدية كل من يقف في وجه الحب الأشد قوة وتأثيراً من كل كلام. وكأنها بذلك "ترد الصاع صاعين"، وتتحدى من رفض كلام العشق وضعف

المعشوق بكلام جديد عنه. وكنفاني في هذا النص أيضاً يشكو ولعه وحاجته الملحة الى وجودها بقربه ليستمد منها قوة.

وأيضاً كأن السمان تحاول أن تجعل كنفاني يتكلم ويرد على المنتقدين برأيه الخاص بالموضوع: "أنت تستحقين أن أرحل إليك، عبر الليل والبرد والتوحش، ثلاثين عاماً"، وتفتح المعركة أو المحاكمة على الصحافة والصحافيين الذين انتقدوها بسيف استلته من كنفاني نفسه. وليست الحوارات المنشورة كلها ضد فكرة نشر رسائلها، بل على عكس ذلك، فثمة حوارات منشورة تفتح الأفق أمام كلام وكلام في الحب والكتابة والحياة والنضال والأدب والموت وكل الموضوعات الحية التي غالباً ما عالجتها السمان في أدبها، فتجيب بجمالية فائقة وبكلام مصفى على اتهامات واتهامات. وبما أنها تسمي المحاكمة بأسمائها فالحوارات استجوابات: في حديث صحفي قالت غادة السمان إن "ملف غسان كنفاني مفتوح للحقيقة وللتاريخ فقد شكل كتاب "الرسائل" وما جاء بعده، أقوى ضوء سلِطَ على غسان كنفاني وكانت له أصداء أكثر من مهرجانات التأبين التي أقيمت له على مدى عقدين من الزمن.. لقد أعاده هذا الكتاب حياً بكامل بهائه الإنساني؛ لأنني وجدت حقيقته أجمل من تمثاله، ولم يسىء أحد إلى غسان كنفاني بقدر ما أساء إليه الذين اتهموني بتشويه صورته، فأنا لم أزور الرسائل ولم أستتر عليها لأنني لم أر فيها ما ينتقص من عظمة غسان، بل ما يضيف اليها"

يقول غسان لغادة في رسالة: "إنني على عتبة جنون ولكنني أعرف قبل أي إنسان آخر أن وجودكِ معي جنونٌ آخر له طعم اللذة، ولكنه – لأنك أنتِ، التي لا يمكن أن تُصلح في قالبٍ أريده أنا – جنون تنتهي حافته إلى الموت! أمس رن الهاتف في المنزل، ورفعت السماعة.. لم يكن ثمة أحد يتكلم

على الطرف الآخر وهمست، بعد لحظةٍ، بصوت جبان: غادة؟" وهذا كله لا يهمك.. أنت صبيّة وفاتنة وموهوبة، وبسهولة تستطيعين أن تدرجي اسمي في قائمة التافهين، وتدوسي عليه وأنت تصعدين إلى ما تريدين، ولكنني أقبل.. إنني أقبل حتى هذه النهاية التعيسة!" "ماذا أقول لكِ؟ إنني أنضح مرارة.. يعصر لساني الغضب مثلما يعصرون البرتقال على الروشة، لا أستطيع أن أنسى، ولا أستطيع أن أبعد عن وريدي شفرة الخيبة التي بذلتِ جهداً يشهد الله كم هو كبير، لتجعليني أجترعها بلا هوادة!".."لا أعرف ماذا أريد. لا أعرف ماذا أكتب. لا أعرف إلى أين سأنتهي. والآن – خصوصاً – أنا مشوش إلى حد العمى.. إن النقرس يفتك بي مثل ملايين الإبر الشيطانية. أشفقي عليّ أيتها الشقية فذلك – على الأقل – شيء يقال"..

ويكتب: "قلتِ: نتحادث في الهاتف.. أما أنا فليس لدي قرشٌ أستطيع أن أصرفه، وأن أصرفه خصوصاً على عذاب لا أحتمله. لقد تقوّض هذا الشيء الذي كنته، وأنا حطام، وأعرف أن ذلك شيء لا يسرّك كثيراً، ولكنه حدث: عنوان القصة"حازم".. أجل حازم، من نوع أكثر صميمية: إنني أكثر شجاعة منه في وجه العدو المعذب، ولكنني أقل منه شجاعة في وجه الحب".."حازم: أحد أبطال قصص كتاب غادة السمان" الطريف حقاً في الجدل الذي أثير حول كتاب الرسائل أنها المرة الأولى التي ينافح فيها العربُ عن سمعة رجل ارتكب "خطيئة" الحب، دون أن يبالوا بسمعة ومشاعر الأنثى التي أعلنتْ هذا الحب في ليل الأول من فبراير شباط عام ١٩٦٧

وقد يتساءل القاريء عن رسائل غادة السمان إلى غسان كنفاني، وهي ترد على ذلك بوضوح في كتاب الرسائل قائلة:"وريثما أحصل على رسائلي إليه فأنشرها ورسائله معاً، أكتفي مؤقتاً بنشر رسائله المتوافرة، بصفتها أعمالاً أدبية

لا رسائل ذاتية أولاً ووفاء لوعد قطعناه على أنفسنا ذات يوم بنشر هذه الرسائل بعد موت أحدنا"

وهي بالمناسبة لم تنشر رسائله كلها، فقد ضاع بعضها – بحسب غادة – إثر احتراق منزلها ببيروت عام ١٩٧٦، وما تبقى نشرته بعد حذف المقاطع السياسية التي لا بد أنها قد حملت جزءاً كبيراً مما لم يتضمنه أدب غسان كنفاني، وربما جاز لنا أن نشير إلى أن أرشيف غادة السمان غير المنشور والذي أودعته في أحد المصارف السويسرية، يضم مجموعات من الرسائل تعد غادة بنشرها "في الوقت المناسب"

ولأن غادة كانت نجمة في سماء بيروت الثقافية في عقد الستينيات فإنه من المتوقع أن تؤرخ هذه الرسائل لتلك الحقبة، ومن المنتظر أيضاً أن تكشف عن علاقات عاطفية لم تكترث غادة لإخفائها آنذاك، خاصةً مع ناصر الدين النشاشيبي الصحفي الفلسطيني الذي كشف عن وجود رسائل عاطفية موجهة له من غادة في أواسط الستينيات.. وقد تحدث النشاشيبي عن "علاقة حب عاصفة جمعتني بالأديبة غادة السمان"، وقال"جمعتني لقاءات بها قبل أن تتزوج، وشرفتني بالزيارة إلى منزلي بجنيف وأقامت معي؟!" وما كتبته في كتابي "المرأة تحب الكلام" تحت عنوان "كاتبة الليل" كان عن غادة السمان"؟!

ومن الأسماء الأخرى المرشحة لنشر رسائلها مع غادة الشاعر الفلسطيني كمال ناصر الذي اغتيل في أبريل نيسان عام ١٩٧٣ في حي فردان في بيروت على يد فرقة كوماندوز إسرائيلية قادها إيهود باراك..

والغريب إصرار غادة وهي في سن السبعين، أن ترجع لزمانها، زمن الأنثى المرغوبة والمدللة؛ ففي عام ٢٠١٢ قالت "غادة": سأنشر عن الرجال الذين أعطوني أفضل ما في الحياة؛ فغسان كان ينشر رسائله لي على صفحات الصحف ويقوم بقراءتها على الأصدقاء معلنا حبه، وبالتالي أنا لم أبح بسر، ثم إنني توهمت أن خطوتي هذه ستشجع سواي على سد النقص العربي في حق أدب المراسلات والاعتراف وللأسف كنت مخطئة، وحدث العكس ولم يجرؤ أحد خلال العقدين الماضيين على مجاراة خطوتي والغضبة (المضرية) والحملة الصحافية عليّ أخافت الكثيرين لكنها ببساطة لم تخفني ولأن أحدا سواي لم يتقدم (لتعليق الجرس) سأقوم أنا بذلك وسأتابع نشر رسائل المبدعين الراحلين لي وليكن ما يكون؟! ثمة حروف جميلة في الأدب العربي لا يحق لأحد إحراقها أو حذف كلمة منها، سأقوم من طرفي بنشرها وأعرف أنه سيأتي في المستقبل من يساهم بذلك، لقد سبقنا كثيرا الغرب في حقل نشر رسائل المبدعين واعترافاتهم أما عندنا فقانون الازدواجية يحول بيننا وبين نشر الحقيقة"..

لقد أحب غسان كنفاني هذه المرأة حباً زلزل كيانه، إلى الحد الذي يقول لها فيه: "لم أعرف أحدا في حياتي مثلك، أبداً أبداً. لم أقترب من أحد كما اقتربت منك أبداً أبداً ولذلك لن أنساكِ، لا.. إنك شيء نادر في حياتي. بدأت معكِ ويبدو لي أنني سأنتهي معكِ" يبدو أن حالى معها كان يشبه حال غسان كنفانى مع غادة.. نفس العذاب ونفس الهوان؟! ولذا فعلى طريقة غادة نشرت عن نفسى وعنها ورحب موقع القصة السورية بذلك ونشرة باعتباره رؤية نقدية لكتاب غادة عن غسان كنفانى، وغادة نفسها قبله نشرت ما نشر في مجلة العربى في كتابها "محاكمة حب" ووجدت نفسى مع أو ضد "ليلى الحر" التي جلست وهمست: لماذا أنت ضد غادة وبقسوة؟ إنك لا تعرف غسان فقد كان

طوفانا يجتاح الجميع، وكان يحب غادة حباً كبيراً ومخيفاً، فهو لا يعرف رجلاً غير هو ولا فناناً سواه ولا سياسيا أو شاعرا إلا هو – حفنة من العبقرية والنرجسية المعقدة – وكنا نعرف أنه من الفنانين الذين يعيشون جنونهم ك "يوسف إدريس" عندكم.. هل تعرف أنه أحب غادة أيضاً؟.. القدر حاصر غادة بالمهووسين بالفن؛ فالمهووسون يحبون فن بعضهم البعض؟..

ثم عادت لتُشعل الجدل في الساحة الثقافية (٢٠١٦) عندما نشرت رسائل الشاعر اللبنانى أُنسي الحاج إليها، ومثلما كان حب غسان لها من طرف واحد، كان وضع أنسي الحاج، وارتضى بدور العاشق المهزوم في رسائله لها (غادة أراك دائمًا أمامي، أشتاقك، أعذب نفسي بأن أحاول نسيانك، فأغرسك أكثر في تربة صارت كالحقول التي يزرعون فيها الحشيش، مأساتي ومأساتك أنني أحبك بصورة أكبر من أن أخفيها وأعمق من أن تطمريها)

لم يختلف الحال في حالة أُنسي الحاج الذي كان قد سبق غسان كما يبدو في حب غادة، فعاش معها قصة حب عنيفة محمومة سريعة طاردها فيها برسائل "تسع" باح فيها بمشاعره واعترف بضعفه

«ليتك تعلمين كم أنتِ أساسية وخطيرة وحساسة، ليتك تعلمين كم أنتِ حيوية ولا غنى عنك، كم أنتِ كل شيء في صيرورتى، لو تعلمين إلى أي درجة أنتِ مسئولة عن مصيرى الآن لارتجفتِ من الرعب، لقد اخترتكِ وأنتِ مسئولة عني شئتِ أم أبيتِ»

أحبها أُنسى الحاج في عام ١٩٦٣وأحبها غسان في عامى :١٩٦٦و١٩٦٧، فاسم غادة السمان في الستينيات والسبعينيات ينافس

نجمات السينما في الشهرة والذيوع، فقد كانت هى الأديبة الجميلة التي تحدت المجتمع وقيوده، وتحدت الرجال في عالمهم الذي احتكروه طويلًا، على حد تعبير "رجاء النقاش" والمفاجأة التي نكشف عنها أن غادة وهى تتلقى رسائل غسان الغرامية الملتهبة،كانت تعيش قصة حب مع الموسيقار "بليغ حمدي" وهو ما كشفت عنه تلك الرسائل التي كتبتها بخطها وتعترف فيها بحبها لبليغ وبمشروع زواج بينهما لم يتم؟!

ظهرت خطابات غادة السمان الجديدة **أنها رسائل لغادة نفسها وبخطها أرسلتها للموسيقار الموهوب "بليغ حمدي" الموسيقار وقع في غرامها عندما التقاها لأول مرة في لندن وقت أن فقد الأمل في الزواج من وردة لتعنت أهلها،** فشقيقها حميدو يرفض زواجهما ويرافقها في كل مكان حتى يمنعها من رؤية بليغ، وأجبروها بعدها على الزواج من زوجها الجزائري أبو أولادها «رياض، ووداد» كان بليغ شخصية عاطفية انفعالية سريعة التقلب «يحب على روحه» كما كان يصفه كامل الشناوي ووقع في غرام غادة السمان بعدما قابلها في لندن، في مطعم عربى اسمه «بغداد» وكانت غادة وقتها في قمة شبابها وأنوثتها، بالإضافة إلى شخصيتها الجذابة وطبيعتها البسيطة المتحررة الخالية من عُقد المرأة العربية، وسرعان ما تطورت علاقتهما من إعجاب إلى حب، وبدأا يخططان لمشروع زواج، وكان بليغ وقتها قد فقد الأمل في الارتباط بوردة بعد زواجها وابتعادها، ووجد في غادة مشروع زوجة مناسبة، لكن فجأة تغير السيناريو بعدما حصلت وردة على الطلاق، وجاءت لتستكمل مسيرتها الغنائية من القاهرة، فتجدد الحب القديم وبدأ بليغ ينسحب من حياة غادة وقرر أن يتزوج وردة عام ١٩٧٢، ويبدو أن غادة غضبت أو هددت بشيء ما فترك حفل زفافه في القاهرة وسافر إليها في بيروت ثم عاد ليتمم زواجه من وردة وسط دهشة الجميع

مختلقًا أغرب مبرر ساذج فقد ادعى أنه سافر ليشتري بدلة الفرح من بيروت لأن الموديلات لم تعجبه في القاهرة.

وبعد زواج بليغ من وردة لم يعد هناك أمل لغادة، فتزوجت من اللبناني "بشير الداعوق" صاحب دار النشر التي تولت نشر كتبها، وأنجبت ابنها "حازم" منه. ولذا وصفت "بليغ" في أحد رسائلها بقولها: (أحببت رجلا من ثلج فإذا جاء الصيف ذاب؟)

وقد أرسلت رسائلها إلى الصديق المشترك الذي تعرفت على بليغ عنده في لندن، وكتبت إليه كثيرًا تشكو له بليغ وتصرفاته وتقلباته. هذا الصديق هو "أحمد عثمان" الكاتب المصري الذي هاجر إلى العاصمة البريطانية في عام ١٩٦٥ واستقر بها، كان بيته قِبلة لكل نجوم الفن والإبداع في زياراتهم إلى لندن، وهو"أحمد عثمان" الذي بدأ حياته صحفيًا في أخبار اليوم، وكتب عدة أعمال للمسرح، وذاع اسمه كواحد من أهم من كتبوا في المصريات وأصبحت له نظريات باسمه في التاريخ الفرعوني، الرسائل التي كتبتها غادة إلى أحمد عثمان يعود تاريخها إلى عام ١٩٦٧ وما بعده بقليل، ويبدو منها مدى العلاقة الإنسانية التي ربطتهما، إلى حد أنها تبوح له بكل شيء..

والرسائل من نوع ما يتبادله الأصدقاء على عجل، ومكتوبة على السجية، فهي مما يفتح الأعين على كثير من التفاصيل المهمة التي لا تزال تغلف حياة أدبائنا إما لخوفهم من التلصص، أو لحسابات شخصية لا تزال تؤرقهم. ويغتاظ كثيرون لأن غادة السمان تنشر رسائل عشاقها وتدّعي بأنها فقدت رسائلها كما في حالة غسان كنفاني، أو أنها تلقت الرسائل ولم تجب عليها أبدا كما في حالة أنسي الحاج. ولذا فإن صديقها أحمد عثمان لا يفعل بالإفراج عن

رسائل غادة سوى السير على سنتها، بأن تلك الرسائل تمثل وثائق أدبية لا بد من نشرها مهما كانت خصوصيتها، ما دامت تريد أن تقدم المثل والنموذج في تأسيس ثقافة الاعتراف في العالم العربي على الطريقة العصرية، وليس على طريقة العصور الوسطى

الرسالة الأولى [٦٧]

أعزائى نجلاء وأحمد.. كان وداعنا متعبًا وصامتًا كوداعي مع بليغ، طبعًا كان غاضبًا ومعاتبًا، ولم يكن لدىّ أي وقت للشرح أو الاعتذار، لم يكن قد بقي أكثر من ساعتين قضيتهما في لم الشنط، وفي السادسة والنصف غادرت البيت إلى المطار.. رجائى أن تبلغ شوقى إلى «أولغا»، والأهم أن تبعث لي بعنوانها ضرورى جدًا، وأن تبلغ نجلاء تحيتي، وأن تقول لها إنني سأكتب لها عنواني «غادة السمان، بواسطة شاكر أبو مرعي. لبنان الدامور وتليفوني هنا «الدامور ١١١»

وأرفقت غادة مع رسالتها ورقتين بالأسئلة التي طلبت من أحمد عثمان أن يجيبها عليها وتتعلق بتجربته ككاتب مسرحي وكمهاجر عربي جديد إلى بريطانيا وانطباعاته ومشاهداته في لندن، لكن ما يهمنا منها هو ذلك السؤال الأخير «النشاز وسط الأسئلة الصحفية» ويقول نص السؤال: س ٧: ما أخبار بليغ حمدي؟ وأين هو وأين سيكون؟ وما عنوانه في القاهرة؟ «ملاحظة: هذا السؤال ليس للنشر» وإذا كان لا يزال في لندن، أرجو أن تعطيه عنواني أو تبعث إلىّ بعنوانه. لم أكن أدرى أنني سأشتاق إليه كثيرا

الرسالة الثانية

«أحبائى نجلاء وأحمد.. رغم عتبي الشديد البالغ حد القهر منكما أكتب، لأن محبتي أكبر وأعمق. ظننت أنكما لم تتسلما رسالتي حينما طال صمتكما ولم أتلق أي رد، وما زلت أنتظر، لكن بليغ أخبرني أنكما تسلمتماها، رغم كل شيء أكتب لكما أنا بالحب القديم نفسه، بالشوق نفسه، بالصدق نفسه، وأحمل لكما تحيات بليغ أيضًا، وقد رغبنا في الكتابة إليكما أكثر من مرة، أحيانا شاكرين لأنكما كنتما سبب تعارفنا، وأحيانا ناقمين لأنكما كنتما سبب تعارفنا، وهو الآن ليس هنا ليكتب معي، هو في الكويت، وقد حدثني البارحة هاتفيًا وسألني: كيف سأقضي أيامي في غيابه؟ فقلت له: سأكتب رسائل لأحمد ونجلاء أملي أن أسمع منكما ردًا سريعًا هذه المرة، فأنا بشوق إليكما وإلى أخباركما، ولم تغيبا عن بالي أبدًا.. فعلا كانت هنالك صورة يحتفظ بها صديق بليغ الواد الحمش اللطيف «غاب اسمه عن بالي» وهي صورتي أنا وبليغ الملونة التي التقطها لنا وديع حسن علي في بيته، هذه الصورة أرجو أن تبعثا بها إليّ لأنها تحمل لي ذكرى غالية وأود الاحتفاظ بها.. أخبارى هائلة، وسأكتبها مفصلا في رسالتي المقبلة مع موجز لحالة الطقس السياسية في الأجواء العربية.. بانتظار ردكما، لأتأكد من أنكما لم تغيرا العنوان، أبعث إليكما بهذه الصورة، وبصورتي أنا وبليغ لأننا نعلم حبكما لنا.. وإلى لقاء قريب. عنواني: غادة السمان.. ص بريد: ١٢٨١.. بيروت، لبنان

الرسالة الثالثة:

نجلاء وأحمد، أيها الحبيبان.. تأخرت في الرد لأنني كنت على وشك السفر إليكما، ثم تأخرت بسبب عودة بليغ إلى بيروت فجأة.. هذه المرة سأطير

حتما مع أول آب «أغسطس» إلى أكثر من مكان، وسأمر بلندن حتما لقضاء أسبوع بين ٥ و٣٠ آب، أسبوع أقضي نصفه في تقبيل أصدقائي الكثر في لندن، ونصفه الآخر معكما، وحينئذ سنتحدث طويلا حول كل شيء، ريثما أصل، أقول لك إن قلقك في غير محله، على الأقل بخصوص حياتي أدبيًا وصحفيًا وعمليًا، أما بخصوص بليغ فأنت محق في قلقك. أخشى من أن نتزوج. بالمناسبة، تلقيت اليوم رسالة من صفية أخت بليغ، وفي ردي أعطيتها عنوانكما في لندن لترد عليّ فبليغ في تونس ولا يعرف أنني مسافرة للندن.. قبل دقائق اتصلت بى على المكتب سهيلة مرزوق من عند نزار قبانى..علمت أنها تقضى إجازتها هناسأحاول أن أدعوها للعشاء قبل سفرى لأسمع منها أخباركما[١]

أوهمتنا غادة أنها متلبسة بغسان، وفتحنا كتابها بنية بوليسية، لنجدها متلبسه بألف غيره، مع سبق الإصرار والترصد، غسان لا هو الأول ولا الأخير،

اختفى بليغ بعد هذه الرسالة من خطابات غادة السمان إلى أحمد عثمان، ولم يظهر إلا فى اتصال تليفوني بعدها بنحو أربع سنوات تخبره فيه بأن « حبيبها المجنون » بليغ حمدي هبط عليها فجأة في بيروت وكاد عقلها يتوقف عندما رأته، فقد كان آخر إنسان تتوقع أن تراه فى هذا اليوم، لأنه كان يوم زفافه على وردة، قرر فى لحظة نزق عارمة أن يترك فرحه ويطير إليها ليودعها الوداع الأخير، ولم يملك أحمد عثمان يومها سوى أن يطلق ضحكة صافية ويقول لها بسخرية: بليغ ممكن يعمل أى حاجة ..

ويقول أحمد (رسائل غادة السمان إلينا استمرت ولم تكن عن قصة حبها القصيرة لبليغ ومشروع زواجها منه الذي لم تُكتب له النهاية السعيدة التي تمنتها، بل كانت بمثابة فضفضة من كاتبتها، تتكلم فيها عن كل شيء بانطلاق وجرأة وحرية، وترسلها إليه من كل مكان تذهب إليه كتلك الرسالة التي تحكي فيها عن تلك الواقعة المجنونة عندما قرروا أن يرتدوا الأزياء العربية التقليدية ويقوموا بمظاهرة لإثبات هويتهم، تضامنًا مع القومية العربية وزعيمها "عبد الناصر"وقت أن كانت طبول الحرب تدق معلنة عن قرب المعركة مع العدو الصهيوني، وتتوالى رسائلها لصديقها أحمد وفيها: "عزيزي.. اتصلت الآن بالدكتور سهيل إدريس، الكاتب والناشر اللبناني المعروف وصاحب دار الآداب وسأراه صباح بعد الغد، وسأعاود الكتابة إليك، على أي حال هنالك دور أخرى، ولا يهمك كلنا عساكرك. سنجد ناشرا"

"عزيزى أحمد وأختي الحبيبة نجلاء.. يجب أن أنام الليلة جيدًا.. أمامي غدًا تصوير من أجل غلاف مجلتين.. وتليفزيون.. وزحام وزحام.. يا إلهي، الآن فقط أدرك كم كنت سعيدة هناك، الآن فقط أدرك أن أفيون الشهرة فقد تأثيره عليّ نهائيًا.. إنني أحلم بلحظات تسكعنا سعداء مجهولين في تلك المدينة النائية!!

ولكنه واحد في الطابور؛ ففي جعبة غادة عشرات الرسائل من أشخاص آخرين غير غسان كنفاني، ربما كانت تنتظر استشهادهم أو بروزهم، أو موتهم لتنشر رسائلهم..

إن في حياة غادة السمان رجالا كثيرين، أدباء وشعراء وصحفيين وسياسيين وأناسا عاديين، عرفتهم وعرفوها بطريقة أو بأخرى، قبل غسان كنفاني وبعده، وهذا الأمر ليس سرا لأن غادة نفسها تحدثت وتتحدث عن شيء من ذلك بأسلوبها الخاص وضمن حساباتها الذكية، في أحاديثها الصحفية الكثيرة وهي – في هذه الأحاديث – تعودت أن تطري كل من كان معها هينا لينا، أو مستسلما أو عاجزا، أو شخصا لا تستطيع تجاهله والقفز عنه.

كما تعودت – في الوقت نفسه – أن تتجاهل ذكر أولئك الذين لم تنجح في العبث بهم والطغيان عليهم، ومن هؤلاء الرجال الذين عرفتهم غادة السمان وتركوا بصمات أو آثارا في نفسها – إيجابا أو سلبا – الصحفي السوري "نشأت التغلبي" (وهو صاحب فضل كبير عن انطلاقتها الصحفية الأولى) "وياسين رفاعية " و"عبد الله الشيتي" (حب من طرف واحد) "وراضي صدوق" (الشاعر والإعلامي الفلسطيني) و"ياسر هواري" (رئيس تحرير مجلة الأسبوع العربي اللبنانية الأسبق) وقد تطورت علاقة غادة بياسر إلى إعلان الخطبة بينهما. وللحقيقة والتاريخ فقد استفادت غادة من كل واحد من هؤلاء الأدباء والصحفيين بذكاء، وكثيرون منهم كتبوا عنها مقالات ساعدت على ظهورها وبروزها في أول حياتها الأدبية، كما أن بعضهم فتحوا لها أبواب النشر على مصرعيها في المجلات التي كانوا يرأسون تحريرها "كأحمد بهاء الدين"

إن هناك كثيرين من الأدباء والصحفيين والسياسيين في بلدان عربية عديدة يحتفظون برسائل من غادة السمان تنطوي على الكثير مما يمكن أن يكشف عن حقائق أدبية وشخصية خافية برغم ما تتسم به هذه الرسائل من حذر محسوب، ولذا حين أرسلت نسخة من كتاب رسائل غسان لصديقها يوسف إدريس، أرسل لها يقول (أكان لا بد يا لي لي أن تضييء النور) وكان ذلك آخر عهد صداقتهما فلقد مات إدريس بعد شهر من صدور الكتاب، وحين أرسلت نسخة لصديقها "ناصر النشاشيبي" الصحفي الفلسطينى أرسل يقول لها "شرفتني بكتابك كما شرفتني من قبل بزيارة منزلي بجنيف وأقمت معي بضع ليال أسعدت جنيف كلها! وكشف عن وجود رسائل عاطفية موجهة له من غادة في أواسط الستينات وعلق: نخوة الرجال لا تنشر أسرار النساء؟!

وطلب حسن التهامى تشريح جثة عبد الناصر؟

عن :"جمال سليم" في كتابه "كيف قتلوا عبد الناصر؟"

فجأة وبلا مقدمات وضعت الصين أول علامة استفهام حول وفاة زعيمنا عبد الناصر؛ فقد سأل شواين لاي أول وفد سياسي مصري يزور بكين بعد وفاة جمال عبد الناصر": لماذا مات جمال عبد الناصر؟!

فوجئ أعضاء الوفد بالسؤال، ويمكن أن نقول أنهم ذهلوا، أو صدموا، ولم يرد أحد على السؤال، لكن رئيس الوزراء الصيني كان مصراً عليه فسأل: "متى ولد عبد الناصر؟!" وكانت الإجابة: "في ١٥ يناير سنة ١٩١٨" وسأل: "ومتى توفي؟"..وكانت الإجابة:" 28سبتمبر ١٩٧٠" فقال: "إذن فقد مات عن ٥٢ سنة و٨ أشهر و ١٣ يوما"، ثم أضاف في دهشة: "هل هذا ممكن؟!" أحس أعضاء الوفد بالحيرة من جديد، فردوا: "هذه مشيئة الله!"، فقال لهم "يجب ألا تحمل الله مسئولية ما نفعل لا بد من سبب.. لقد مات عبدالناصر شاباً، فسن الـ٥٢ هي سن صغيرة؟! إنني الآن في الثانية والسبعين، ولا أزال أعمل، وفي صحة جيدة.. إنني لا أستطيع أن أتصور كيف مات.. وكانت تتوافر له أفضل العناية الطبية كيف سمحتم له بأن يموت؟!! سأوضح لكم السبب لقد مات من الحزن والقهر..مات كسير القلب..أما الذنب فهو ذنب الاتحاد السوفييتي فقد خدعه السوفييت ودفعوه إلى مأزق ثم تخلوا عنه وتركوا فؤاده يتحطم ويتكسر!!

ويخرج من ذلك بتأكيد للنتيجة التي أفصح عنها الزعيم الصيني، وهي أن موت عبد الناصر لم يكن شكلاً طبيعياً ويصل الشك إلى حد أنه قتل أو اغتيل!!

وإذا كان ما قاله "شواين لاي" لم يثر أحدا في الوفد السياسي المصري لكنه آثار فيما بعد كتاب وصحفيين في مصر والعالم الغربي، وكانت الاتجاهات مختلفة في البحث عن سر الموت المفاجئ الذي جاء فأصاب عبد الناصر في سن صغيرة؟! وهو وسط أهله؟! ومع أصدقائه ورجالات الدولة؟! وقبل ذلك وبعده في بيته وحوله كل الأطباء الذين اختارهم لعلاجه؟! ومع مرور السنون وبعد الذهول والدموع والتشنج كان من الطبيعي أن نسأل كيف مات عبد الناصر؟! وهل هناك شبهة جنائية في وفاته؟! وإذا كان فمن الذي قتله؟!

(الاتجاه الأول) وهو الغربي ويرى إذا كان عبد الناصر قد تعرض لأكثر من حادث اغتيال وحدث شروع فعلي في قتله (الشروع تعبير قانوني يقصد به البدء في تنفيذ الجريمة، ولكنها لا تحدث ويغيب أثرها لسبب لا دخل فيه للفاعل، وتعاقب عليه معظم القوانين في كل بلاد العالم) وكانت هناك أوراق رسمية ومحادثات مسجلة وأوامر لمخابرات أمريكية وإنجليزية ويهودية بقتله وأحياناً مؤامرات عربية فلماذا لا يكون قد مات من إحداها؟! فلا يوجد زعيم في العالم الثالث تطاول على الغرب نصف ما فعل ناصر ونجا؟!! وفي هذا الاتجاه كتابات فقد صدر كتاب (وكالة المخابرات المركزية) تأليف "بريان فريمانتل" وهو صحفي إنجليزي، وأول فصول الكتاب عن محاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر،وذلك بعد فشل العدوان الثلاثي فقد دبرت بريطانيا مع فرنسا وإسرائيل عدواناً على مصر لأنها أممت قناة السويس، وأيدت أمريكا العدوان سراً، وعارضته علناً. بل إن أمريكا أدانت الدول الثلاث بأنها اعتدت على

ميثاق الأمم المتحدة، وطالبتها بالانسحاب فوراً، وكان الانسحاب عاراً قومياً لبريطانيا ونهاية لحياة أنتوني إيدن السياسية والصحية.

وأصيب إيدن بجنون اسمه "اغتيال عبد الناصر" ووافق آيزنهاور على اغتياله، كما وافق قبل ذلك على اغتيال رؤساء آخرين، واستعجل إيدن هذا الاغتيال، قائلاً إن علاجه الوحيد من جميع أمراضه هو: موت عبد الناصر..

واجتمعت إدارات المخابرات الأمريكية يبحثون عن الطريقة التي سوف يغتالون بها عبد الناصر، وكان رجل المخابرات في مصر في ذلك الوقت هو "ميلز كوبلاند" الذي ألف كتاب "لعبة الأمم"، وكان صديقاً للرئيس عبد الناصر، ويتردد على بيته في أي وقت دون إذن سابق. وكانت جلسات طويلة مع كوبلاند ليعرفوا من هو وما هو وكيف هو عبد الناصر، آكلاً وشارباً ومدخناً، وأين نقاط الضعف فيه، أي المداخل إلى نهايته، وعرفوا أن جمال عبد الناصر يدخن كثيراً جداً، وأنه يفضل سجائر "كنت" الأمريكية، ووجدوا أن هذه هي البداية وكلفوا رجلاً اسمه "د. سيدني جوتليب" بالمهمة العاجلة. هذا الرجل هو "حاوي" المخابرات الأمريكية، فهو يدير معملاً كيميائياً ضخماً يساعده مئات من العلماء والكيميائيين، ويشتغلون في إعداد السموم القاتلة..

واهتدى "د.سيدني جوتليب" إلى صنع سجائر "كنت" مسمومة، إذا دخن عبد الناصر واحدة منها فسوف يموت بعد ساعة، وأعد علبة سجائر مغلقة لا يمكن أن يشك فيها حراس عبد الناصر إذا رأوا ضرورة تفتيش كوبلاند، وكان لا بد أن يفتحها ميلز كوبلاند أمامه وأن يدخن واحدة مسمومة، ولكن قبل أن يجيء للقاء عبد الناصر، لا بد أن يحقن نفسه بعقار مضاد لسموم السجائر..

وسافر الجاسوس كوبلاند إلى القاهرة ولكنه أبرق بأن هذه الخطة لا يمكن تنفيذها فعبد الناصر يعتبرها عيب أن يتناول من سجائر ضيوفه؟! وكانت هذه إحدى المحاولتين اللتين أعدتهما المخابرات المركزية، ولم يشرح أحد بعد الأسباب التي جعلت اغتياله مستحيلاً..

وفي كتاب"صائد الجواسيس" جاء أنهم حاولوا اغتيال عبد الناصر بوضع عقار الهلوسة في جهاز التكييف، وفي كتاب عن أعمال التجسس السرية اسمه (الألعاب القذرة) جاء أن وكالة المخابرات المركزية، تخلصت من عبد الناصر بحقنة أنسولين مسموم!؟! وهناك اعتراف آخر أدلى به أنتوني ناتنج في مذاكراته، وكرره في برنامج وثائقي لهيئة الإذاعة البريطانية أن إيدن قال له: "أريد جثة (ناصر)!! أريده مقتولاً" وأنه قام باستدعاء السير جون سينكلير رئيس المخابرات البريطانية "M.I.G" وطلب منه تصفية جمال عبد الناصر في أسرع وقت!

ولم تكن – بالطبع – المخابرات البريطانية وحدها هي التي تعمل في مجال تصفية جمال عبد الناصر، فقد كانت بالطبع تستعين بالموساد (المخابرات الإسرائيلية) وكانت هذه الأخيرة تنفرد في محاولات كثيرة للقيام بهذا العمل الذي لم توفق أبداً فيه؛ فيذكر كتاب "عملية ياخنين" لمؤلفه شمونيل سيجيف، وهو الكتاب الذي ظل حبيساً في الرقابة الإسرائيلية لمدة ١٥ عاماً، يذكر أن منظمة "النطاق" التابعة للموساد، وهي المنظمة التي كانت تعمل على تهجير اليهود من المغرب تستعد لاستقبال"لجنة الدار البيضاء" التي دعاها الملك مُحَمَّد الخامس لبحث مسألة الكونغو، واجتمعت اللجنة في ٣ يناير سنة ١٩٦١ بمشاركة كل من: جمال عبد الناصر، وفرحات عباس رئيس جمهورية الجزائر المؤقتة، بالإضافة إلى رؤساء كل من غانا وغينيا ومالي وممثل عن حكومة ليبيا. وكان يهود المغرب

قد ارتدوا الثياب السوداء احتجاجاً على زيارة عبد الناصر، وقبضت الشرطة المغربية على بعضهم ووضع (أرسين) رئيس جماعة النطاق التابعة للموساد خطته لاغتيال عبد الناصر بالمغرب وكانت الخطة تقوم على وضع المتفجرات في فراش الرئيس بواسطة عامل الشاليه الذي يقيم فيه عبد الناصر، ولكن رجال الأمن المصري اعترضوا على وجود غيرهم بالشاليه، فاستبدل بالاقتراح إرسال باقة من الزهور مشحونة بالمتفجرات وعندئذ قررت السلطات المغربية تنظيم رقابة قوية وفعالة على وجبات الطعام التي تقدم للرئيس ناصر ومرافقيه خوفاً من دس السم لهم؛ فالسم طريقة يهودية للتعامل مع الأعداء منذ حياتهم القديمة في "يثرب" وقد حاولوا ذلك مع الرسول ﷺ وأصحابه، وقصة ضرع الشاه الناطقة معروفة في الأدبيات الدينية؟!

ويقول عن ذلك "محمود الجيار مدير مكتب (ناصر)": بالطبع حدثت أكثر من مرة محاولة لاغتيال جمال عبد الناصر، ولكن كان هناك ترويج لإشاعات وهمية عن محاولات لم تحدث لاغتيال الرئيس وتصورات غير صحيحة لمؤامرة للتخلص منه، وكان ذلك من بعض القوى المعادية داخلياً وخارجياً، وذلك بقصد تقليل حركة الرئيس ومنعه من الزيارات الميدانية أو الاتصال المباشر بالجماهير والناس، واستفاد من ذلك فيما بعد صلاح نصر!!

وفي كتاب (الجبار يتذكر) الذي سجله معه الصحفي الصديق (سليمان الحكيم) نجد هذا السؤال وهذه الإجابة وبعدها لا تعليق، ولكن لماذا حاول هؤلاء منع الرئيس من الاتصال بالناس وما هي مصلحتهم في ذلك؟

إجابة: حين كان الرئيس يتصل بالناس اتصالاً مباشرا كانوا يقدمون له الشكاوى مكتوبة أو شفهية؛ فأرادوا منعه من الاتصال بالجماهير حتى لا تكون

هناك فرصة ليعرف عبد الناصر شكاوى الناس، خاصة وأنهم يتحكمون في كل مصادر المعلومات المهمة الخاصة بالرئيس، سواء في مكتبه أو في الداخلية أو المخابرات، ولم تكن تصل إليه إلا المعلومات التي تتناسب مع مصالحهم؛ لهذا كان الرئيس يلجأ إلى وسيلة الاتصال المباشر بالناس ليقف على أحوالهم مباشرة دون المرور بطريق هؤلاء، فأرادوا بقصص المؤامرات الوهمية أن يعزلوا الرئيس عن الناس بحجة الدواعي الأمنية، وقد علمت أن مكاتب جديدة تم إعدادها للرئيس ومعاونيه بقصر القبة، لكي ننتقل إليها بديلا عن مكاتبنا بمجلس الوزراء بشارع القصر العيني، كما علمت أن هناك اقتراحا أيضا بنقل سكن الرئيس إلى قصر الطاهرة المقابل لقصر القبة بدلا من سكنه بمنشية الكبرى. وقد أخبرني الرئيس بأمر المكاتب الجديدة، وقد استمعت إليه دون أي تعليق فسألني عن رأيي مستغربا سكوتي وصمتي بعد سماع الخبر؛ فقلت:"ماذا تريدني أن أقول؟.. هل تريد سماع رأيي؟" قال: "نعم"..قلت: "بدون زعل؟"..قال:"لا". سألته: "هل أنت خائف؟" اندهش الرئيس،وسألني مستغربا: خائف من ماذا؟. قلت له: "إذن ما الذي يجعلك تقبل مثل هذا الاقتراح وخاصة أنه سبق أن عرض عليك من قبل ورفضته؟" قال ضاحكا: "المسألة كما قالوا لي هي تأميني من التعرض لأي محاولة اعتداء، خاصة أن المسافة طويلة بين منشية البكري وشارع القصر العيني" قلت للرئيس:"إذا كنا حنخاف من المشي في شوارع القاهرة، إذن لا داعي للاستمرار في الحكم، المسألة في حقيقتها هي رغبتهم أن يبعدوك عن الناس"..

فكر الرئيس قليلا ثم قال: "حين تذهب إلى قصر القبة بلغ صلاح الشاهد بإلغاء كل هذه الترتيبات" وبالفعل ذهبت وقمت بإلغاء أمر الانتقال إلى قصر القبة. أما المحاولة الوحيدة المنشورة بالتفاصيل، والتي دخلت مراحل

التنفيذ، وفشلت فهي محاولة (الإخوان) لاغتيال عبد الناصر في يوم ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٤ بميدان المنشية بالإسكندرية. وفي مساء ذلك اليوم وأثناء إلقاء الرئيس لخطابه أطلق شخص كان يجلس بين الجماهير أمام المنصة، تسع رصاصات على الرئيس قاصدا قتله ولكنه أخطأه، وأصيب بعض الذين كانوا يقفون بجواره بإصابات سطحية، ومن بينهم السيد ميرغني حمزة وزير خارجية السودان الذي أصيب برصاصتين.

قبض على المتهم واتضح أنه يدعى "محمود عبد اللطيف" ويعمل سمكريا (بإمبابة) واعترف بأنه من جماعة الإخوان المسلمين، وأنه كان ينوي اغتيال الرئيس، وأن الذي كلفه بتنفيذ هذه المأمورية محام بإمبابة يدعى "هنداوي دوير" الذي ألقي القبض عليه، وأسفرت التحقيقات عن أن الحادث مدبر ومخطط له كان انتظارا لما سيسفر عنه الاعتداء، فإذا نجح بادروا بالظهور منتهزين فرصة الفوضى والاضطراب الذي سيسود مصر، أما إذا فشل فسيمضون في الفرار والتخفي،كما كشفت التحقيقات عن شخصيات أعضاء الجهاز السري للإخوان بأكمله وتم القبض عليهم جميعا، عدا بعض أفراد تمكنوا من الفرار خارج البلاد. وقد استمر وقتها عبد الناصر على المنصة وارتجل عدة كلمات أعادت الهدوء للمكان، ولكنها لم تعجب عباس العقاد ولا أنيس منصور، بحجة أن الشعب هو الذي يعلم عبد الناصر وأهله الكرامة وليس العكس..

ومن أقوال عبد الناصر وقتها:(إن جمال عبد الناصر منكم ولكم وحياته فداء لمصر وللوطن.. أيها الناس.. ها هو جمال عبد الناصر مازال بينكم.. لا تروعوا لا تخافوا.. فأنا لست جبانا.. لقد ثرت من أجلكم ومن أجل عزتكم ومن أجل كرامتكم.. إن دمي من دمكم، وسأعيش حتى الموت مكافحا في سبيلكم، ومن أجل حريتكم ومن أجل كرامتكم وعزتكم.. ليقتلوني؛ فقد

أودعت فيكم العزة.. ليقتلوني فقد أنبت في هذا الوطن الحرية والكرامة.. ليقتلوني من أجل مصر.. من أجلكم.. من أجل أبنائكم وأحفادكم.. يا أبناءمصر: كافحوا واحملوا الرسالة والأمانة.. لقد ثرت من أجلكم وسأموت في سبيلكم)

ولكن أصعب ما في الاتجاه أنه ينتهي إلا أن عبد الناصر قتل؟! وأنه قتل بالسم مدهونا به أو مدسوسا عليه في حقنة أنسولين مسمومة؟! ويترك لنا علامات الاستفهام ويأتي ذلك من رواية هيكل نفسه، سر أسرار عبد الناصر والتي كتبها يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٠ تحت عنوان: (بصراحة: ٢٨ سبتمبر..الأربع والعشرون ساعة الأخيرة) فيقول:

(وصلت إلى مكتبي بالأهرام في الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم (الاثنين ٢٨ سبتمبر) وحين دخلت، كان أول ما قيل لي: "إن الرئيس اتصل بنفسه وسأل عنك، ولما عرف أنك لم تحضر بعد، قال: إنه لا داعي لأن تطلبه، لأنه خارج إلى المطار الآن، وسوف يتصل بك هو عند الظهر". ولم أذهب إلى وزارة الإرشاد كما أفعل عادة في الحادية عشرة صباحا، وإنما بقيت في الأهرام قريبا من التليفون الذي يطلبني عليه عادة.كان تليفونه قبل الثامنة والنصف أول اتصال أجراه ذلك اليوم. ثم قام – كما علمت فيما بعد – إلى حمام الصباح، ثم جلس إلى إفطاره، وأكل تفاحة واحدة من صندوق تفاح جاء به الوفد اللبناني إلى مؤتمر القاهرة ثم فنجان قهوة مع السيدة الجليلة قرينته، وقالت له هي قبل أن ينزل إلى أول وداع رسمي ذلك اليوم في المطار: إن "الأولاد" سيكونون جميعا على الغداء اليوم. وسألها عن أحفاده قائلا: و"هالة" و"جمال"؟.. وقالت هي إن "جمال" هنا منذ الصباح الباكر، جاءت به "منى".

ثم رددت بعض صحف لبنان وصحف الأردن أن عبد الناصر مات بتفاحة من هدايا الوفد اللبناني؟! إلا إن إشاعة أن عبد الناصر مات بالموت البطيء عن طريق السم الذي سرى في دمائه بالتدليك لساقه بواسطة الدكتور علي العطفي مدير معهد العلاج الطبيعي بالقاهرة كانت أقوى، وابتلعت حكاية "التفاح اللبناني" المحقون بالموت، وبخاصة بعد ما ثبت اتهام علي العطفي بالتجسس لصالح إسرائيل في القضية رقم ٤ لسنة ١٩٧٩ أمن دولة عليا وحكم عليه فيها بالسجن مدى الحياة. أما حقنة الأنسولين فإنها شغلت فيما بعد الكاتب الصحفي "جمال سليم" حتى أنه جرى وراءها لمدة عشرة سنوات في كتابه "كيف قتلوا عبد الناصر؟"، فقد جرى وراء كتاب الغرب (الألعاب القذرة) وأجرى محاكمة صحفية لأطباء أو طقم أطباء عبد الناصر، ورفع في النهاية الكارت الأحمر في وجه د. الصاوي حبيب الطبيب المقيم الدائم لعلاج الرئيس؟!

ثم صدرت عدة كتب في لبنان ومعظمها مترجم ركزت على واقعة شديدة الحساسية وهي أن د. الصاوي طلب عصيرا للرئيس جمال بعد عودته من الهيلتون يوم موته فأسرعت زوجة الرئيس بنفسها لعمل العصير. ولكن قدم لعبد الناصر كوبين من العصير: كوب عصير برتقال وكوب عصير ليمون وكان السؤال لماذا كوبين ونوعين من العصير؟! وهل مع السرعة والعجلة تقوم الزوجة الملهوفة على زوجها بعمل نوعين من العصير أم نوع واحد للسرعة وإن كانت الروايات تردد أن عبد الناصر اختار كوب البرتقال وشربه ؟!

أما الاتجاه الثاني فهو لصحفيين ناصريين حاولوا أن يقوموا بدور النائب العام، طالما أن الشكوك غير كافية لتحريك الجهات الرسمية، ولأن الأمر يقرب من الاستحالة لأنه يتحتم معه تشريح جثة الزعيم؟! فلم يبدأ الشك يثور إلا

بعد خروج الفريق فوزي، وفي عصر أنور السادات وبعد ١٠ سنوات من وفاة ناصر!! أما السبب فهو ما أدلى به الفريق فوزي من أقوال بأن الفريق أول طبيب رفاعي كامل حضر له بعد دفن عبد الناصر وقرر أمامه بأنه وقع على شهادة الوفاة غلط، وأن عبد الناصر لم يمت بنوبة قلبية ولكنه يرجح أنه مات بغيبوبة السكر؟!

وبدأت رحلة مجموعة البحث عن الحقيقة بالطبع أهمهم: الصحفي (جمال سليم) ثم (مصطفى بكري)، فعادل حمودة، وعبد الله إمام، وسليمان الحكيم..(فقد اهتم جمال سليم بإعلان الوفاة الأطباء وما حدث منهم ومسرح الأحداث وأثبت بالطريقة القانونية (شهادة الشهود) أن هناك شبهة جنائية في الوفاة؟!

أما مصطفى بكري وسليمان الحكيم فقد بحثا عن القصة الغريبة التي قيلت من جانب الغرب وإسرائيل عن مدلك للرئيس كان يدهنه بالسم على جرعات؟!

أما عبد الله إمام فقد انفرد بسامي شرف ليعرف منه الحقيقة؟! وعادل حمودة جمع كل ذلك وأعاد ترتيبه ويعيد فيه النظر والتفكير، وكل ما فعله هو الاستفادة من هذه الجهود لرصد ظاهرة القيد ضد مجهول التي وصلت إلى عبد الناصر نفسه؟!

وأبدأ بالحديث القنبلة الذي فجرته جريدة الوفد في ٩ يونيو ١٩٨٨والذي أجراه "حمدي لطفي" مع طبيب قلب، وأترك الدكتور الفريق رفاعي كامل، يروي ذكرياته:

عملت في بداية خدمتي العسكرية طبيبا بالمدرسة الحربية وقمت بالكشف الطبي على دفعات الطلبة التي تخرجت بها طوال ذلك العام ١٩٣٨ ومن بينهم عبد الناصر وأنور السادات وزكريا محيي الدين وحسين الشافعي وعبد اللطيف بغدادي والمرحوم جمال سالم وحسن إبراهيم.. وقد ذكرني بذلك عبد الناصر حين جاءني عام ١٩٤٦، وكان برتبة نقيب وينتظر ترقية للرتبة الصاغ أو الرائد، يشكو من آلام يشعر بها في صدره، ولم أكن قد تخصصت في القلب بعد، ووصفت له الدواء.. ثم لم أعد أراه.

هل كانت الآلام التي شعر بها قبل قيامه بالثورة بست سنوات، في صدره بداية لانسداد شرايين القلب؟

كان ذلك عام ١٩٤٦، وأعتقد أن القلب كان سليما، ولكنه التدخين والإرهاق والتعرض لنزلات البرد، وقد تخصصت في أمراض القلب بإنجلترا عم ١٩٤٧ وعدت أخدم بالمستشفى العسكري العام، ولم أر عبد الناصر، وقامت الثورة ولم أسع إليه، ومررت بسلم الترقية حتى توليت رئاسة القسم الطبي للقوات الجوية المصرية عام ١٩٥٩ وبقيت مؤيدا له بكل كياني كضابط طبيب، وفي عام ١٩٦٣ عرفت أنه طلبني من المشير عبد الحكيم عامر كي أشرف على شئونه الصحية والعلاجية، وعدت أراه كثيرا مرة كل أسبوع أو أكثر، وكان يشكو الإرهاق وبعض الاكتئاب الذي أصابه بعد انفصال سوريا، وحطم كبرياءه إلى حد ما

ويستطرد الطبيب قائلا:

في عام ١٩٦٤ أو بعد ذلك بقليل اكتشفت إصابته بالسكر، ولم يكن بقادر على السيطرة على المرض، وتكتمت الأمر تماما، وشكرني على ذلك،

ولكني وجدت أنه من الضروري أن نلجأ إلى طبيب آخر لضبط السكر، فاقترحت عليه اسم الدكتور المرحوم أنور المفتي، فوافق عبد الناصر. وقام المرحوم دكتور أنور المفتي بمهمته الطبية، ولكن طبيعة عبد الناصر المتوترة دائما، وأعباء الحكم الذي ينفرد به وعدم لجوئه للآخرين لمعاونته إلا بقدر بسيط، وصراعه السري مع عبد الحكيم عامر حول قمة السلطة – وإخفاءه هذا الصراع – الذي ظل يؤرقه طويلا، حتى تردد أن عامرا هدده بالنفي ذات يوم، وقد أصبح عبد الناصر معزولا عن ضباط الجيش تماما غير قادر على الاتصال بهم للوقوف إلى جانبه..كل هذه الاعتبارات جعلته ينهار ويصاب بأزمات نفسية شديدة الخطورة فاقترحت ضرورة اللجوء إلى طبيب أخصائي في علاج الجهاز العصبي، وبات الأمر أخطر من أن ينفرد به طبيب أو مسئول واحد مثلي أو مثل الدكتور المفتي أو سامي شرف أو مُحَّد أحمد، فتكونت لجنة من المشير عامر وصلاح نصر رئيس جهاز المخابرات العامة، اشترك فيها سامي شرف، وقررت أن تقوم إدارة الخدمات الطبية للقوات المسلحة باستدعاء أخصائي أمراض نفسية وعصبية من إحدى دول أوروبا بحجة الإسهام في علاج بعض حالات القادة العسكريين المصريين، وبالفعل اختاروا طبيبا من"النرويج" جاء إلى القاهرة، وبعد عدة جلسات معه ذهب للكشف على عبد الناصر ثم كتب تقريرا أعتقد أنه كان في الخزانة الخاصة بعبد الناصر، وقد تحدث الطبيب النرويجي في هذا التقرير عن خطورة مرض"البارانويا" على عبد الناصر، وقال أنه ينصح بإبعاده عن إدارة شئون الدولة أو أي عمل يفصل فيه! واتفقت مع الدكتور أنور المفتي على تكتم الأمر تماما، غير إنني فوجئت وكنت بين بعض زملائي لأطباء بكلية طب جامعة القاهرة بأساتذة أطباء يسألونني عن حقيقة مهمة الطبيب النرويجي الذي زار ووجدتهم لا يصدقونني! والتقيت بالدكتور أنور المفتي ورويت له ما سمعت، فقال لي أنه تلقى ذات السؤال وأنه روى لزملائه

بعض التفاصيل وتوقعت شرا لا محالة! وبعد أيام سمعت أن أعضاء نادي الجزيرة يتحدثون في سهراتهم عن مرض عبد الناصر، وازداد خوفي!

ألم يناقشك سامي شرف في هذه القضية؟ أو يسألك كيف تسربت؟

لا.. لم يحدث، ويبدو أنهم عرفوا أن مصدر القصة هو المرحوم دكتور أنور المفتي ولهم أساليبهم العديدة.

هل تعتقد أن ما تحدث به الدكتور المفتي كان سبب الخلاص منه بالسم كما تردد وأشيع بعد وفاته؟

لا أستطيع أن أجزم بشيء، ولكني سمعت القصة في وسطنا الطبي قبل وفاة عبد الناصر وبعد وفاته، وستظل حكاية المرحوم أنور المفتي واحدة من القصص المثيرة التي أفرخها الحكم الشمولي لعبد الناصر.

وكيف بقيت علاقتك الطبية بعبد الناصر؟

هذا هو أهم جزء في حوارنا.. كنت أراه دائما، وفي الفترة السابقة على وفاته اعتدت زيارته مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع، وفي كل مرة أجري له رسما للقلب، وأقف على سرعة ترسيب الدم لديه، وفي يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٧٠ أجريت له الاختبار المعتاد وكانت سرعته الترسيب ٢٢ % وهو معدل مطمئن، ويوم الوفاة أشفقت عليه من المجهود الذي يبذله في توديع الرؤساء والملوك العرب بعد عقد مؤتمر القمة الطارئ، وبعد الخامسة بقليل تلقيت مكالمة تليفونية للإسراع إلى بيت عبد الناصر، وفي الخامسة والنصف تماما كنت واقفا بجوار جثمانه وقد فارق الحياة، ووجدت نفسي أسأل سامي شرف ثائرا: لماذا

استدعيتني متأخرا، لماذا لم تكلمني فور إصابته بالأزمة؟ ولم أتلق جوابا! وعدت أسأل: هل أجريتم رسما للقلب وقياس سرعة الترسيب؟..

وجاءوا لي برسم القلب الذي أجري له الساعة الرابعة والنصف وكانت المفاجأة الكبيرة المذهلة وجدت سرعة الترسيب كما سجلتها في اليومين السابقين ٢٢% ومن الصعب أن تكون تلك النسبة سببا في الموت، لا بد أن تكون سرعة الترسيب ٨٠% مثلا كي يصاب بالتجلط وانسداد شرايين القلب، ومثل هذه السرعة لا بد أن تترك علامات بالقلب، وقلت لمن حولي هذا الشرح، وأكدت أن الوفاة ليست بسبب القلب، فإذا بهم يعلنون تأففهم وتبرمهم بحديثي، ويتساءلون: "ماذا تريد أن تفعل بالبلد؟!"

من هم الذين أعلنوا ذلك حول جثمان عبد الناصر؟

كنا في حجرة المكتب الصغير الملاصقة لحجرة نوم عبد الناصر وأذكر أن الذين تواجدوا في تلك اللحظات هم كالآتي: الدكتور الصاوي حبيب، دكتور آخر لا أذكر غير اسمه الأول (طه)، ثم سامي شرف ومحمد حسنين هيكل وأنور السادات وحسين الشافعي وشعراوي جمعة والفريق أول محمد فوزي ومحمد أحمد سكرتير الرئيس وأمين هويدي، ومحمد فائق.. ولا أذكر إذا كان علي صبري جاء خلال تلك اللحظات أو بعد ذلك بقليل، وقد قالوا لي جميعا أن أقوالك ستسبب ضجة خطيرة بالبلاد (والدكتور منصور فايز) كان هنا قبلك أكد أن سبب الموت هو انسداد شرايين القلب، وأحسست بالحرج الشديد، وكل هؤلاء يوجهون لي نظرات نارية غاضبة، ثم جاءوا بالتقرير الطبي لكي أوقعه، وترددت مرة ثانية في التوقيع، ثم وقعت في النهاية وأنا في حالة سيئة من المفاجأة ومن موقف هؤلاء الحكام أو معاوني عبد الناصر، ولكني أعترف بأنني وقعت التقرير

والندم يملأ روحي! بعد ذلك طلب مني السادات أن أرافق الجثمان إلى المكان اللائق الذي أختاره بنفسي، وجاء الدكتور مصطفى كمال كبير الأطباء الشرعيين في مصر، وفحصنا معا حالة الجثمان، فلم نجد أي آثار لمقاومة وهو إجراء روتيني. أذكر أنني طلبت أن أتحدث إلى السادات مرة أخرى بصفته نائب الرئيس، والتقيت به في حجرة المكتب الرئيسية ببيت عبد الناصر، وكان معه حسن التهامي، ودعا صبري وسامي شرف، وشعراوي جمعة، وعدت أتحدث عن أهمية تشريح الجثمان، وسألوني جميعا: لماذا؟ قلت حتى نتأكد أن الجسم ليس به أي سموم.. هذا ضروري أمام التاريخ والشعب. ورفضوا جميعا تشريح الجثمان وفي الدرجة الأولى (أنور السادات) وعللوا رفضهم بأن التشريح سيحدث بلبلة. قلت لهم يا جماعة سرعة ترسيب الدم كانت ٢٢ % حتى صباح اليوم. وإذا افترضنا زيادتها فلن تزيد أكثر من عشر درجات، وحتى هذه الزيادة لا تسبب الوفاة، لا بد أنه هبوط السكر الحاد، وصمموا على رفض كل اقتراحاتي..

ونبدأ من تقرير الأطباء عن وفاة الرئيس، وفيما يلي نص التقرير:

أثناء توديع سمو أمير الكويت بالمطار في الساعة الثالثة والنصف من مساء اليوم ٧٠/٩/٢٨ الموافق ٢٧ رجب ١٣٩٠ هجرية، شعر سيادة الرئيس بدوخة مفاجئة مع عرق شديد وشعور بالهبوط، وقد توجه سيادته بعد ذلك فورا إلى منزله بمنشية البكري حيث حضر على الفور الأطباء، ووجدوا عند سيادته أزمة قلبية شديدة نتيجة انسداد الشريان التاجي للقلب، وقد أجريت لسيادته جميع الإسعافات اللازمة بما في ذلك استعمال أجهزة تنظيم ضربات القلب، ولكن مشيئة الله قد نفذت وتوفي إلى رحمة الله في الساعة السادسة والربع أثناء إجراء هذه الإسعافات.

وقد وقع على التقرير: دكتور رفاعي مُحمَّد كامل، دكتور منصورفايز، دكتور زكي الرملي، دكتور الصاوي حبيب، دكتور طه عبد العزيز، ولكن فيما بعد أقر د. رفاعي مُحمَّد كامل بأنه وقع تحت ضغط حتى يوقع وبخاصة أنه أستاذ القلب الوحيد بينهم المتخصص أما دكتور طه عبد العزيز فلم يوقع على التقرير والتوقيع الموجود على التقرير للأسف ليس توقيعه؟!! (وهذا ليس اكتشافي ولكنه اكتشاف جمال سليم)

وتروى قصة أوردها كتاب (كيف قتلوا عبد الناصر؟) على لسان د. رفاعي كامل: بعد يومين من الوفاة استدعيت لأن تحية هانم حرم الرئيس كان بييجي لها خفقان في القلب، وكنت أعالجها، وبعدين سألتها عن اللي عمله الرئيس يوم الوفاة وقالت حرم الرئيس عبد الناصر: إن الرئيس بعد أن أخذ حقنة الأنسولين اليومية قعد على ترابيزة السفرة وأكل نصف تفاحة بالضبط ونزل "جري" وقال أنا أتأخرت عن الملوك والرؤساء. وبعدين اتأخر في المطار لحد الساعة ثلاثة وشوية ورجع منهك ويتصبب عرق ورجليه بتلف على بعضيها وبعدين الصاوي أعطى له حقنة أنتستين وحقنة بانتوبون اللي هو من مشتقات المورفين. ولكن الدكاترة اللي جم بعد الصاوي سألوه: أنت اديته إيه؟ فلما قال لهم حقنة بانتوبون قالوا له: إديلوا حقنة ثانية؟! وبعدها راح الرئيس في غيبوبة.. ويقول د. رفاعي أنه فكر في كلام تحية هانم، وما رآه في بيت الرئيس يوم الوفاة من تقرير رسم القلب وتحليل الدم، وانتهى إلى أن عبد الناصر مات بكومة سكر!! وأنه لو أعطي قطعة سكر كان أنقذ!!

(نلاحظ في الرواية أن حكاية طلب العصير والكوبين غير موجودة لأن العصير، على كلام د. رفاعي كان كافيا لإنقاذ الرئيس لوجود السكر مذابا فيه). وقد قرر نفس الشيء (محمود فهيم حارس عبد الناصر الخاص) فقال في

حواره مع سليمان الحكيم: بعد وفاة الرئيس على نحو مفاجئ كثرت الأقاويل هنا وهناك حول أسباب الوفاة فمن قال مات بالسم ومن قال بالقلب ولكن دكتور رفاعي كامل، أكد لي أنها كومة سكر، وأنا من ناحيتي أميل إلى تصديق د. رفاعي لأنه واحد من أكبر أطباء القلب في مصر..

ونأتي إلى شهادة دكتور الصاوي الذي حاوره وداوره فيها (جمال سليم) ووصل فيها إلى اتهامه!!

س: من كان معك ومعه في حجرة نومه؟

ج: المدام (يقصد تحية هانم حرم الرئيس عبد الناصر)..

س: ألم يكن الدكتور منصور فايز قد وصل بعد؟..

ج: لأ، الدكتور منصور وصل بعدي بربع ساعة، والدكتور زكي الرملي اتأخر ولذا طلبت استعجاله من سكرتارية الرئيس فجاء بعد حوالي عشر دقائق.

س: هل قدمتم إليه شيئا ليأكله أو يشربه؟

ج: على ما أعتقد أخذ كوب عصير قدمته له المدام، والمدام هي اللي كانت موجودة ولا أذكر أحدا من الأولاد، لكني أذكر أن المدام هي التي رأيتها، والموقف زي ما أنا فاكر كان يدعو إلى الخوف من الدقيقة الأولى

(ولكن محمود الجيار مدير مكتب جمال عبد الناصر قرر لسليمان الحكيم في كتابه (الجيار يتذكر): أنه يتذكر غرفة عبد الناصر جيدا عندما دخلها وأنه وجد بجوار عبد الناصر كوب عصير كاملا؟!)

س: هل توصلت يا دكتور صاوي إلى هذا التشخيص بناء على الكشف الظاهري أم استعملت أجهزة قياس القلب ورسمه وما إلى ذلك؟

ج: طبعا، استخدمنا جهاز قياس القلب والكشف وقمت بكل ما يلزم والتشخيص لم يكن يحتاج إلى شيء – يقصد أن التشخيص لم يكن صعبا – انخفاض الضغط وبرودة الأطراف، ومن هنا تبينت خطورة الوضع وشعرت لأول مرة أن الضغط يتسرب من بين يدي وينخفض بشدة والأطراف باردة، ولكنه كان متيقظا تماما وليس عنده أي خوف ولا كأنه في حاجة خالص وهو كان من الناس الذي لا يجيء انسداد الشريان التاجي بألم، لأنه لأول مرة جاء له لم يكن بألم، فنسبة من الناس لا يجيء لهم انسداد الشريان التاجي بألم من مرضى السكر بالذات

(ثبت إنه لم يستخدم جهاز تنظيم ضربات القلب إلا بعد وفاة الرئيس وإنه لم يكن موجودا بالحجرة وأن د. طه عبد العزيز عند حضوره وقف مستغربا عندما وجد د. الصاوي يقوم بتدليك القلب يدويا، وأن الذي أحضر عربة الإسعاف وبها الجهاز اللواء عزيز..)

وقد ذكر الجميع وخاصة السادة سامي شرف وشعراوي جمعة والفريق فوزي أنهم عندما حضروا كان الدكتور طه عبد العزيز يقوم بالتوصيلات اللازمة لعمل صدمة ولاحظ – بالطبع – د. طه عبد العزيز أنه لم يظهر على شاشة الجهاز أي أثر لرسم القلب، لقد كان مظهر الرئيس أنه ميت منذ فترة لا تقل عن ساعة، ولكن أحيانا يبزغ خاطر كالشهب أن أحاسيس الإنسان تخدعه وأن الآلة قد تكون أصدق تطبع قبلة الحياة على الجسد الميت.. وهذا ما دعاه – كما سبق القول – إلى إعطائه أدرينالين لتحريك عضلة القلب، وعندئذ بدأ

الصدمة الأولى وانتفض الجسم وظن الذين حبسوا أنفاسهم أن المعجزة قد وقعت وأن الحياة قد دبت في الجسد الميت، لكن لم تكن هناك ثمة معجزة، فمن المألوف أن ينتفض الجسم الميت إذا ما انعقدت الدائرة الكهربائية حول القلب ومست الأعصاب.

س: إذا سمحت لي يا دكتور صاوي أنا عاوز تفاصيل كاملة عندما حضرت أنت والدكتور منصور والدكتور الرملي وتأكدتم تماما من الخطر ووجود انسداد في الشريان التاجي، ماذا أعطيتم للرئيس عبد الناصر؟

ج: لأ، تسألني أعطيتم له إيه بالضبط ده سؤال يسأله دكتور إنما لا يسأله كاتب أو صحفي.. لأنه في هذه الحالة لا يفيد..

س: هناك اتهام يا دكتور صاوي وكلام قيل أنك أعطيت للرئيس عبد الناصر حقنة أنتستين.. أنا أريد توضيح هذه النقطة..

ج: لا يوجد أنتستين في الحالات اللي زي دي،

س: ربما أعطيته دواء منشطا للقلب وهو فسر هذا الدواء بأنه أنتستين؟

ج: أنتستين؟ ليس له دور في هذا الموضوع.. ده دواء للحساسية ومالوش دور يعني.. أبدا، وهل الانتستين يموت؟

وحتى يحسم الموضوع في رأسي أطلعت على كتاب د. منصور فايز الطبيب الخاص للرئيس (مشواري مع عبد الناصر) وجاءت أقواله التي بقلمه تؤكد على الخلل الطبي الواضح الذي كان يومها في غرفة نوم الرئيس فهو يقول ص ١٧٣ من كتابه (أبلغني د/ الصاوي في كلمات موجزة أن الرئيس قد أحس

بالتعب أثناء توديعه أمير الكويت في المطار وأنه قام بفحصه وأجرى له رسما كهربائيا في القلب تبين منه وجود جلطة جديدة في الشريان التاجي مصحوبة باضطراب في ضربات القلب وأنه بدأ العلاج فورا)..

ولكنه يعود في ص ١٧٤ ويقول:"قمنا بفحص الرئيس واطلعنا على رسومات القلب التي أجريت له على الفور واتضح لنا من الفحص الإكلينيكي الذي وقعه كلا منا وكذا من دراسة الرسومات الكهربائية للقلب أن الرئيس جمال عبد الناصر قد أصيب بجلطة حديثة في الشريان التاجي للقلب". وبعدها بدأنا العلاج المركز للرئيس.

فمن الذي بدأ العلاج ومن الذي قرر الحالة د. الصاوي وحده أم معه د. منصور فايز؟! ولماذا لم يكن الإسراع بإحضار جهاز تنظيم ضربات القلب حيث لم يستخدم إلا بعد الوفاة والتي كانت حدثت من ساعة قبل استخدامه؟! ثم كانت ملحوظة كبير أطباء الكرملين الطبيب الروسي (شازوف) في كتابه (الصحة والسلطة) من أنه فحص الرئيس بعد النكسة واتضح له أنه يعاني من تصلب الشرايين، وأنها وصلت إلى القلب وكونت عنده مرض (احتشاء القلب) أي إصابة أجزاء منه، وأنه في حالة السكر مع احتشاء القلب يقال أن المريض (يحترق) مع أي توتر، وبالفعل حرقت السياسة عبد الناصر..

ثم يعلق على تقرير الأطباء عن وفاة الرئيس (أنه كتب فيه وقد أجريت لسيادته جميع الإسعافات اللازمة بما في ذلك استعمال أجهزة تنظيم القلب؟!). وكأنهم لا يعلنون الوفاة وإنما يعطوننا درسا في الطب أو كأنهم بشكل نفسي ينفون أنهم أهملوا في علاجه فمثل هذه الأشياء لا تكتب في تقارير وفاة عن

رئيس دولة من المفترض أنه تحت أفضل عناية طبية؟! وتبقى لملاحظة (شاذوف) وجاهتها!!

ثم نعود لحكاية القتل بالسم، والتي أعجبت فريقا من الصحفيين أو حكاية د. العطفي وتدليك عبد الناصر بالسم.. أما سر الاهتمام فهو حكاية د. العطفي نفسه (ومن خلال أوراق القضية ٤ لسنة ٧٩ أمن دولة) وكما كتب عنها فإنه في نهاية الخمسينات سافر العطفي الذي كان وقتها مدلكا بالنادي الأهلي إلى أمستردام ومعه مدرب كرة القدم عبده صالح الوحش، وفي هذه الزيارة تعرفا معا على فتاتين هولنديتين وكان أن تزوج العطفي آنا ماريا جوهاني وتزوج عبده صالح الوحش صديقتها، ومن هنا بدأت رحلات العطفي إلى أمستردام تتكرر دون أن يثير ذلك شكوك رجال الأمن؛ فقد اتخذ العطفي زوجته ستارا لاتصالاته بالإسرائيليين، وحصل العطفي على شهادة الدكتوراه في العلاج الطبيعي بطريقة غامضة، وهذا ما فتح له الباب ليصبح عميدا لمعهد العلاج الطبيعي بالقاهرة، وكان قد نجح قبل ذلك في توطيد علاقته بأنور السادات!! فهل دخل العطفي بيت الرئيس عبد الناصر في منشية البكري عن طريق السادات؟! وقبل هذا: هل دخل العطفي – فعلا – بيت الرئيس ناصر وقام – فعلا – بمهمة تدليك ساقه؟!.. لا يوجد في أوراق القصة ما يشير إلى ذلك، إلا أنه من الملاحظ أن العطفي كان يصر في التحقيقات على أنه لم يعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية إلا منذ عام ١٩٧٦ أي بعد وفاة عبد الناصر بست سنوات! لكن المحقق استطاع أن يواجهه بمعلومات تسجيل عليه أنه قام بإرسال معلومات عن طريق اللاسلكي منذ عام ١٩٧١ وهذه المعلومات ثابتة بموجب التسجيلات الرقابية التي ترصدها محطات التسجيل التابعة للمخابرات،

وهنا انهار العطفي واعترف أنه كان يعمل لحساب الإسرائيليين منذ عام ١٩٦٩(!!)

على أنه لم يشر إلى أنه قام بتدليك ساق عبد الناصر بالسم! ولم يثبت أنه دخل بيت عبد الناصر، فمحمود فهيم سكرتير وحارس الرئيس قرر أنه هو الذي كان يقوم بتدليك عبد الناصر، وأنه أخذ فرقة سريعة لذلك، وأن العلاج بالتدليك كان لفترة قصيرة ولم يكن يعجب عبد الناصر فواظب على علاج المشي. وكذلك قرر السيد/ شعراوي جمعة بأن الدكتور العطفي أو العاطفي لم يدخل بيت الرئيس، وهذا من مصادر موثوق فيها، وسألت كذلك المسئولين عن ذلك: مُحَمَّد أحمد، ومحمود فهيم؛ فأكدوا لي ما وصلت إليه، ومحمود فهيم هو الذي كان يدلك الرئيس ومعاه واحد ثاني اسمه زينهم انتقل بعد ذلك لتدليك السادات. وقد سأل الصحفي سليمان الحكيم، د. منصور فايز عن ذلك ونشر في جريدة الأنباء الكويتية في ٣٠/ ٩/ ١٩٨٩

- ما رأيك في الإشاعات التي ترددها بعض الأجهزة الأجنبية، والتي تقول إن إسرائيل نجحت في زرع طبيب علاج طبيعي اسمه علي العطفي كان يقوم بتدليك الرئيس بمادة سامة بطيئة المفعول أدت إلى وفاته؟

- لم يكن اسم الدكتور علي العطفي من بين المترددين على منزل الرئيس عبد الناصر وعلى فرض أن لهذا الاسم وجودا فإن الرئيس لم يخضع للعلاج الطبيعي إلا لفترة محددة بدأت بعد عودته من تسخالطوبو في نهاية ١٩٦٨ وانتهت لدى إصابته بالأزمة القلبية الأولى عام ١٩٦٩ حين أمرت أنا بوقف هذا العلاج الطبيعي لتعارضه مع علاج المصاب بالقلب وكان طبيب

العلاج الطبيعي هو الدكتور فودة، الضابط مسئول العلاج الطبيعي بمعهد التأهيل بالعجوزة..

وفي يناير سنة ١٩٦٨ قابل الصحفي مصطفى بكري في يوغوسلافيا خالد عبد الناصر حيث كان خالد هناك إثر الأزمة التي أعقبت كشف تنظيم ثورة مصر وسأله بالتحديد: "ردد البعض أكثر من مرة أن الزعيم قد توفي بفعل مؤامرة إسرائيلية أمريكية عبر تدليك جسمه بالسم البطيء، كما تردد أن الدكتور علي العاطفي عميد معهد العلاج الطبيعي سابقا وأحد الذين كانوا يعالجون عبد الناصر قد اعترف بذلك داخل السجن.. ما مدى صحة ذلك؟

أجاب خالد: طبعا كانت هناك مؤامرات أمريكية وإسرائيلية دائمة ضد عبد الناصر هذا معروف، لكن هذه الواقعة ليس لي بها علم، ولا أذكر أنني رأيت علي العاطفي هذا من قبل. وبعد كل ذلك لا يزال السؤال مفتوحا هل مات عبد الناصر تنفيذ لإرادة الله بالقضاء والقدر؟ أم مات قبل أوانه بفعل فاعل لا يزال مجهولا؟ أو بخطأ حتى الآن لا يعترف به أحد؟ وقد أبقى السؤال مطروحا، حضور الدكتور كمال مصطفى كبير الأطباء الشرعيين "وكيل وزارة العدل للطب الشرعي" وكانت قد أثيرت بعض الأقوال حول أسباب الوفاة بما يناقض ما جاء في تقرير الأطباء، وطلب التقرير واطلع عليه إلا أنه رأى ما جاء فيه غير كاف لإصدار شهادة وفاة أو ما يسمى بتصريح الدفن، وعلى هذا فإن القانون يقضي بتشريح الجثة لإصدار هذه الشهادة، ورفض أنور السادات تشريح الجثة، وقال ساخرا: "هو الحانوتي يقول لنا لأ إلا بالشهادة؟" والواقع أن غموضا شديدا يحيط بوصول كبير الأطباء الشرعيين إلى قصر القبة؟!. ففي سنة ١٩٩٦ تكلم سامي شرف الذي صمت طويلا، ومن المعروف أنه (رجل

معلومات الدولة) وذلك في كتاب (عبد الله إمام): "عبد الناصر كيف حكم مصر؟!"..

وأنقل من الكتاب ما يهم موضوعنا لأهميته...

يسأل(عبد الله إمام):

- نعود إلى غرفة نوم الرئيس، وقد سمعت أن الأطباء عندما أرادوا استخدام جهاز الصدمات الكهربائية وجدوه لا يعمل؟

- لا ليس هذا صحيحا...جهاز الصدمات الكهربائية عمل أكثر من مرة.

س- تردد أنه لم يكن في البيت أنبوبة أكسجين؟

ج- عندما دخلت غرفة نوم الرئيس كان فيها أنبوبة أكسجين

س- ألا تشك في شيء غير طبيعي وراءه وفاة الرئيس؟

ج- في تلك الفترة لم يكن واردا أي شك في طبيعة وفاة الرئيس

س- ألم يشك تقرير الأطباء الشرعيين في هذه الوفاة؟

ج- كيف؟!! تقرير الأطباء الشرعيين واضح.

س - لأنه لم يجر أي تشريح للجثة..؟

ج- هذا الموضوع إذا حللناه بمنطق ومصداقية وعقلانية سنقول الآتي: رئيس دولة توفي ليس هناك شكوك جنائية حول الوفاة، بل سبقت الوفاة ظروف

مرضية قد تؤهل لحدوث الوفاة وخصوصا ظروف المرض بعنصرين رئيسيين وهما مرض السكر، ومرض القلب.

س- من الذي أثار موضوع تشريح جثة الزعيم؟

ج- حسن التهامي طلب تشريح الجثة لا لأن هناك شبهة ولكن لأن ذلك هو المتبع مع رؤساء الدول

الملكة نازلي

عن كتاب رشاد كامل «الملكة نازلي.. غرام وانتقام»

وُلدت الملكة نازلي عام ١٨٩٤ وتوفيت عام ١٩٧٨ قال عنها الكاتب مُحَمَّد حسنين هيكل: «إنها واحدة من ثلاث نساء أدرن خيوط السياسة المصرية» ولم تكن نازلي مجرد امرأة مشهورة أو ملكة فقط وإنما اعتادت دائما أن تكون محط أنظار الجميع حتى وصفها مصطفى أمين بقوله: (طويلة القامة رشيقة القد بشرتها بيضاء كاللبن وشعرها الأسود الطويل ينسدل إلى ما تحت ظهرها، عيناها سوداوان ضاحكتان وكان وجهها مشربا باحمرار في لون ورد الربيع.)

وقال عنها الكاتب رشاد كامل في كتابه «الملكة نازلي غرام وانتقام» إنها كانت قريبة إلى أسرة سعد زغلول، تشاركهم إعداد الطعام في كثير من الأيام، وكانت تسمع دائماً من رب الأسرة سعد زغلول وهو يحكي لـ«صفية» عن الفضائح التي لا تنتهي للبرنس «أحمد فؤاد» وذات مرة تجرأت نازلي وقالت أمام الجميع «مسكينة تلك الفتاة التي سيوقعها حظها العاثر لتصبح زوجة لهذا الصايع» ولا تعرف أن المسكينة هذه سوف تكون هي؟!

ومع كتاب «الملكة نازلي.. غرام وانتقام» تتعجب من الملكة والملكية والقصر، وكل هذا العصر الذي بدأ بمحمد علي وانتهى بفاروق. الملكة نازلي رائدة "الحرملك" وأول من احتجبت فيه مرغمة واشتهر كل منهما بالآخر!؟ وهي ابنة "عبد الرحيم باشا صبري" ويرجع نسبها إلى شريف باشا رئيس وزراء مصر في فترة من فترات حكم أبناء "مُحَمَّد على باشا"، ونخرج من هذا إلى أن

"الملكة نازلي" ليست من الأسرة المالكة "أسرة محمَّد علي"، وحكاية اعتكافها "بالحرملك" الذي اشتهر بها واشتهرت به حكايات طويلة فنازلي تُرى قبل زواجها متحررة رشيقة القوام ممشوقة القد طويلة القامة بشرتها بيضاء كاللبن شعرها أسود حالك طويل ينسدل حتى خصرها وعيناها سوداوان واسعتان ضاحكتان، هذه هي نازلي، فكيف كان الملك أحمد فؤاد الأول؟!

كان الملك فؤاد قد تزوج في السابق من ابنة عمه الأميرة شويكار، وكان يعاملها معاملة سيئة تختلف عن معاملته لها قبل الزواج، وكان زواجهما زواج مصلحة حاول الملك فيه استغلال ثروة ابنة عمه الوارثة، بينما استمر على علاقة أخرى مع السيدة "سوارز" اليهودية المتزوجة!! وقد كان طلاقه للسيدة "شويكار" فضيحة عام ١٨٩٨، إذ أهدر ما يقارب من نصف ثروتها على مائدة "القمار" الخضراء فشكت ذلك لشقيقها الأمير "سيف الدين"، وقد كان متأثرًا من المعاملة السيئة التي تلقاها أخته في بيت الملك فؤاد الأول صائد الثروة!

فقرر الأمير "سيف الدين" الانتقام من فؤاد وانتظره ذات مرة أثناء خروجه من ملهى وصالة قمار ليطلق عليه ثلاث طلقات نارية فأصابته في قدمه وصدره وعنقه، وقد تم علاجه بالسحر والشعوذة تحت إشراف أحد أكبر المنجمين، وقد روي أن المنجم تنبأ بأنه إذا غنى العندليب ثلاث مرات على نافذة غرفة الملك فسوف يعيش!

من يصدق؟ كيف كانت تدار القصور وكأننا في" الف ليلة وليلة"!! وبالفعل جاء عندليب على نافذة الملك وغنى ثلاث مرات، ثم أفاق وقام فؤاد

ليعيش مع وجود طلقة في حلقه كانت تسبب له طوال حياته تشنجًا مؤقتا يسمع على إثره منه نباح يشبه نباح الكلاب!

وفي هذا الصدد أخذت مكانة الساحر العراف في الارتفاع وتراجعت مكانة أطباء القصر! بل إن الملك جعله رفيقًا له ومستودع أسراره وأمور الدولة داخل القصر!

أما كيف اجتمع الملك فؤاد ونازلي؛ فحكاية ثالثة، تبدأ من القول بعاشت نازلي في بيت ألد أعداء الملك فؤاد وهو سعد باشا زغلول! وكانت أم نازلي صديقة حميمة للسيدة صفية زغلول زوجة الزعيم سعد، وكانت نازلي طفلة تربت في حجر سعد وصفية حيث لم يكن لهما أبناء وكانت أم نازلي من المؤيدات لحركة المرأة الجديدة في أحضان ثورة ١٩١٩ وبطلاتها هدى شعراوي وسيزا نبراوي، وقد ورد في كتاب "من واحد لعشرة" لمصطفى أمين أن شقيق سعد زغلول "سعيد زغلول" قد مر بعلاقة عاطفية طاهرة مع نازلي ورتبت أخته "رتيبة" للزواج مع السيدة صفية وصديقتها "أم نازلي" وقد حدث حادث غير مجرى الأحداث فقد أرسل الملك إلى سعد زغلول يطلب إليه إرسال زوجته "صفية زغلول" إلى قصر عابدين كوصيفة، وذلك بعد طلاقه للأميرة شويكار، فثار سعد زغلول واشتاط غضبًا وقال له "قل للسلطان فؤاد إن سعدًا ينصحك أن تتزوج فورًا". هذه العبارة التي أطلقها سعد زغلول غيرت مجرى الأحداث وترتيبات زواج سعيد زغلول من نازلي!!

ومما يؤسف له في هذا الصدد أن فكرة وعبارة سعد زغلول لاقت استياءً من جانب الملك فؤاد وبدأ البحث عن زوجة تنجب له ولي العهد خاصة أن ابن الملك والأميرة "شويكار" قد توفي بعد ٧ شهور من ولادته، وكان اسمه

"إسماعيل" ففقد أمله في أن يكون له وريث يرث العز والجاه والملك وسطوته! وهي عقدة الملوك الكبرى حين لا يكون لهم وريث للعرش، وكان من المرشحات "نازلي" ربيبة الحسب والشرف فأرسل فؤاد إلى والدها "عبد الرحيم باشا صبري" يخطبها إليه خاصة أنه جرب زواج الأميرات وارتبط بشويكار أشهر أميرات زمانها، وقد فقد الكثير بطلاقها، وباستغلال ثروتها فقد أحب الشعب المصري وقرر النزول إلى الشعب والزواج بفتاة من خارج الأسرة الملكية!.

أما كيف تعرف عليها وكيف تم ترشيحها للزواج من الملك، فقد كانت _كما أسلفنا_ جميلة الجميلات كأنها ملكة تنتظر الملك الفارس، كانت الـ"ليدي جراهام" زوجة السكرتير الأول للمقر البريطاني تعرفها جيدًا وتعرف والدتها، لكن نازلي رفضت الزواج في البداية فأصر الملك على طلبه، وفي هذه الأثناء أراد "سعيد" الفوز بمحبوبته نازلي ففاتح زوجة أخيه "صفية زغلول" في شأن تعجيل خطبته على نازلي، الأمر الذي جعل سعد زغلول يتقدم لطلبها من والدها لخطبته لأخيه سعيد زغلول لكن عبد الرحيم باشا صبري تلعثم وتردد وأجاب إجابة مبهمة!

وحين يكون الصراع على قلب امرأة بين السلطان أحمد فؤاد وسعيد زغلول "موظف القصر الملكي" فالفائز بالطبع سيكون سلطان البلاد المُطلق البالغ من العمر ٥٠ عامًا صاحب الأمر والنهي وصاحب الخليلات الإيطاليات واليهوديات!!.

وبعد فترة أعلنت خطبة السلطان فؤاد على نازلي كريمة عبد الرحيم صبري باشا، وفي اليوم المحدد لعقد القران هربت نازلي في الصباح الباكر من قصر أبيها وتعددت الروايات: فيرى "مصطفى أمين" أن نازلي قد ذهبت إلى

بيت سعد زغلول طالبة حبيبها "سعيد" أخاه، اما مُحَمَّد التابعي يرى أنها ذهبت إلى شاب من أقاربها ذكره بحرفين "ش ش" وصار الأمر مبهمًا، حتى صدر كتاب عادل ثابت "الملك الذي غدر به الجميع"، وعلل فيه أن سر وضع الملكة نازلي تحت الرقابة الشديدة في الحرملك _ من جانب الملك فؤاد _ أنها حاولت وهي فتاة، أن تهرب مع عم عادل ثابت "شاهين شريف" وهذا يؤكد صدق أقوال "التابعي" فالذي هربت إليه في اليوم المحدد لعقد قرانها هو الوسيم "شاهين شريف" وهو أمر يتفق مع شخصيتها الغامضة التي ظهرت فيما بعد!.

وقد تم إقناعها بالزواج من الملك وتم زفافها في حفل بسيط في القصر يوم ٢٤ مايو ١٩١٨ وقد حدث في شهر العسل بين الملك فؤاد والملكة نازلي سنة ١٩١٨ أن روى الملك لعروسه تفاصيل ماضيه ومغامراته: "الفتاة التي تمنى أن يتزوجها ورفضته هي، والفتاة التي لاحقته وهرب هو منها، وقص عليها كيف تزوج من الأميرة "شويكار" ولماذا كرهها وكيف أطلق عليه أخوها الأمير سيف الدين الرصاص وأصابه بثلاث طلقات!" وبعد أن انتهى من حديثه قال لعروسه "نازلي":

والآن حدثيني عن نفسك!

إن حياتي صفحة بيضاء لم أحب أحدًا ولا أظن أن أحدًا أحبني.

ولكن لا شك أنك أحببت وتمنيت أن تتزوجي شابًا معينًا! إن كل فتاة تمر بمرحلة تخلق فيها لنفسها حبيبًا وهميًا تفكر فيه وتحدث نفسها عنه! وربما لا يشعر الحبيب بما يجول في قلب هذه المحبة الولهانة! ويبقى هذا الشعور في نفسها إلى أن تكبر فتنسى هذا الحبيب، فمن هو الرجل الذي تمنيت أنت أن تتزوجيه قبل أن تتزوجي مني؟

وانتهى الحديث بأن قالت نازلي:"حسين شيرين باشا" على ذلك لكن غيرة الملك فؤاد من "حسين شيرين" لم تنته، فقد طارد حسين شيرين في حياته الحكومية، ورغم كفاءته كان فؤاد يرفض ترقيته، وحدث ذات مرة أن قرر "فؤاد" إقالة "عبد الخالق ثروت باشا" من الوزارة لأنه أصر على ترقية "حسين شيرين"!

وقد روت "نازلي" هذه القصة لصديقاتها، وقالت إن زوجها لم ينس هذا الحديث البريء وخلق لنفسه من "حسين شيرين باشا" منافسًا وهميًا في غرامها راح يطارده ويحاربه في جميع المناسبات! واكتشف حسين باشا ذات يوم أن البوليس يراقبه! إذا خرج من بيته وجد رجلًا في انتظاره وإذا سار في الشارع سار وراءه وإذا ركب عربة ركب الرجل الآخر عربة وسار بها وراءه، وذهب حسين شيرين إلى رئيس الوزراء وأبدى دهشته من وضعه تحت المراقبة، ودهش رئيس الوزراء وأجرى تحقيقًا فظهر أن القصر هو الذي أمر البوليس بمراقبته واتصل رئيس الوزراء بـ "محمود شوقي باشا" سكرتير الملك واستفسر منه عن السبب فروى له شوقي باشا أن نازلي قالت للملك أنها كانت تحب في شبابها حسين شيرين، ولذلك فقد أمر بأن يوضع الحبيب المزعوم تحت المراقبة.

وحينما ولد فاروق في فبراير عام ١٩٢٠ _ وقد ولد ابن سبعة أشهر لا ابن تسعة !!"- هاجم الشعب السلطان واتهمه في أغانيه وأناشيده بأنه اغتصب الملكة نازلي قبل زواجه بها، ونظم الشاعر بيرم التونسي زجلًا مشهورًا نشره في مجلة المسلة كان يقول فيه: [الوزة من قبل الفرح مدبوحة.. والعطفة من قبل النظام مفتوحة] وكانت سببًا في نفيه إلى فرنسا، ورددت الجماهير هذه الأزجال والأناشيد وطبعت منشورات تتهم صراحة الملك فاروق ولي العهد بأنه ابن زنا!"، فقد جعلت شقاوة نازلي وهروبها عند ليلة دخلتها، الملك يستعجل

الانتقام ويفرض الواقع ويشير بيرم التونسي هنا إلى الملك بزيه الكاكي وخيول عربته الملكية ووصف مطارحة الملك لنازلي الغرام والجنس وأنها لم تكن عذراء بل كانت حاملًا في فاروق وقت زفافها إلى فؤاد!"

وتأثر الملك فؤاد بهذا كثيرًا، وكان مصابًا بالسكر فتقيحت بعض جروحه وأمر بنفي بيرم التونسي خارج البلاد، وقد كانت هذه الكلمات قاسية عليه فقد سبق أن مات أحد أبنائه وهو ابنه إسماعيل الذي أنجبته له شويكار _ ومات بعد ٧ شهور من ولادته. أثناء زواجه بالأميرة شويكار وها هو ولي العهد الذي ليس له فرصة في إنجاب غيره بعد أن تجاوز الستين يشكك الشعب فيه! فقد كان فؤاد يريد ولدًا واعتمد في ذلك على توجيهات منجمه وكان يُرى وهو يستيقظ من نومه ويؤدي الصلاة ويقول عبارة يكررها يوميًا: "يا رب ولد، إذا أعطيتني ولدًا فسوف أصلي ولن أشرب الخمر ولن ألعب القمار"، ويفتح المصحف على سورة آل عمران فإذا وصل إلى نهايتها دعا: "رب لا تذرني فردًا".. يرددها سبع مرات..

وقد وجههما المنجم بأنه "إذا غرّد البلبل ثلاث مرات في غرفة نوم الملكة فسوف تلد ولدًا مع النصائح الأخرى بأن يبدأ اسم المولود بحرف "الفاء"، وقد تعلقت نازلي وفؤاد بالمنجم وكانت تعلم أن المولود إذا كان أنثى فإنها ستطلق على الفور. فالملكة نازلي عاشت ١٧ سنة في قصر زوجها الملك فؤاد ممنوعة من الخروج أو استقبال الزائرين، أو حتى ممارسة أمومتها تجاه أبنائها، إذ لم يكن من حقها أن تراهم أكثر من ساعة في اليوم! قضت حياتها الزوجية نائمة في ظل زوج متسلط غيور، هائم على الخدم وحدهم، مكنونة عن البشر في غرفة النوم.. واعتقدت أنها كلما كانت في الحرملك كلما كانت جوهرة مكنونة!! وعلمها القصر الكثير.. وآه من حياة الخدم والوصيفات، وكان آخر الدروس حينما

اعتدى زوجها الملك على وصيفتها التركية وظهرت عليها انتفاخات الخطيئة، ولأول مرة تنتقل من الحرملك للسلاملك وتقول للملك فؤاد (لا) قالت له: أدب سيس بك أفندم!! ووقع الملك على صك بترحيل الوصيفة التركية ومعها مال كثير، وقالت له عبارة طبقتها فيما بعد: لا أريد وصيفات وحينما أحتاج لشيء البركة في رجالك!!

وفي بداية عام ١٩٣٧ وبعد وفاة الملك فؤاد، وقبل شهور من تولية ابنها فاروق السلطة رسمياً في مصر، ذهبت في رحلة إلى أوروبا خرجت فيها من الحرملك نهائياً، ولم تحتاج إلى وصيفة، ولكن احتاجت كثيراً لرجلاً من ألف ليلة وليلة، إنه أحمد حسنين باشا ملك غير متوج في عصرين متتاليين في القصر الملكي عصر فؤاد، وعصر فاروق.. هذا الرجل لم يترك شيئا إلا وفعله اكتشف واحة الفرافرة في الصحراء الغربية وكان له كتاب عن الصحراء يدرس في المرحلة الثانوية بالمدارس، وكان طياراً ماهراً قام بمغامرة طيران من مصر إلى أوروبا، وبالعكس سقطت به طائرة فأخذ أخرى، وأكمل مغامرته وهو مصاب!! ثم أنه كون جمعية للرواد هدفها تعليم أولاد العمال والفقراء في الوقت الذي كان الأمين الأول للملك فؤاد زوج الملكة نازلي.كان يخرج من قصر عابدين بالرانجتون إلى تلال زينهم، يدخل الأكواخ ويشرب الشاي مع العمال،كان يفهم في الإتيكيت الملكي كالملوك، وكان يجلس على الأرض بالجوزة يتحدث للفقراء المكدودين بلغتهم رغم أنه يجيد العربية والإنجليزية والتركية والفرنسية بطلاقة!! وكان قلبه كعقله يؤمن بأن الناس كلهم أولاد تسعة، فأحب الملكات وأحب الصعاليك، كان له أوقاته مع الملكة "نازلي" أم فاروق الملك الحاكم، وكان له أوقات مع المغنية البائسة "أسمهان" التي تعمل في ملهى بديعة مصابني مع الغوازي والراقصات!! ولأنه رجل المتناقضات والمهام الصعبة؛ فهو الشاطر

حسن أسطورة ألف ليلة وليلة، لم تطلب منه امرأة شيئا إلا ووجد له حلا.. ولو كان تفاحة الحياة، أو قتل تنين الموت.إنه رجل حفظ النظام الملكي وعرف الشعب وجلس إلى العوالم وكان يفهم في الطرب فإذا سألته ما هي أحلى أوقاتك؟! قال: الصحراء.. صحراء مصر!!

إن مصطفى أمين في كتابه (شخصيات لا تنسى) يسميه ملك الصحراء الثاني بعد روميل!! وكان لدى أحمد حسنين كرامة غريبة وعناد رائع، تزوج لطيفة هانم ابنة الأميرة شويكار طليقة الملك فؤاد، وفؤاد في العرش!! ولم تبدأ علاقته بالملكة نازلي إلا وابنها ملكاً لمصر والسودان!! وكان يدخل إلى غرفة الملك فاروق ويغلق الباب وينصحه ويقول له: أنت ملك فاشل، أنت عدو نفسك. أنت تحيط عرشك بأقذر رجال الدولة، وإذا كنت لا تعرف فالشعب يعرف أن عمرك الافتراضي بهذه الطريقة خمس سنوات أخرى على الأكثر، وكان ذلك في سنة ١٩٤٧!! ثم يخرج من غرفة الملك يتصبب عرقاً ووجهه أصفر ويقول أن الملك فاروق لعن أبو خاشه، وأن الملك يريد الإصلاح وأنه يهدده بتغييره إذا استمر القصر بهذه الفوضى، وأنه يخشى ألا يبقى رئيساً للديوان الملكي خمسة دقائق أخرى!!

ويتناقل رجال القصر هذا ويعرف به فاروق ويعجب بحسنين الذي ينصحه ولا يفضحه ويربيه ولا يشهر به ويكتم أسراره ولا ينشرها ويخفي فساده ويعلن صلاحه. واستطاعت الملكة نازلي أن ترهب كل النساء اللاتي اقتربن منه وقرر هو ألا يمنعها من أي رجل ولكنه يحميها من أي نزوة!!

ذهبت إلى ميمي شكيب في مسرح الريحاني وهددتها والريحاني حينما عرفت أن أحمد حسنين يتردد على مسرح الريحاني وينظر إلى ميمي شكيب

بعيون (تندب فيها رصاصة) ويهمس لها بعباراته الدنجوانية مثل (أحب نطقك للحروف وبخاصة حرف الراء) ومن المعروف أن ميمي شكيب كانت لثغاء ومثل (عندك بياض غريب لا هو إنجليزي ولا هو مصري) وهربت ميمي شكيب منه وقالت: احنا أد... نازلي!!

وهربت فتاة أخرى إنجليزية أحبها كانت تدعى (ساندوزا) تعرف عليها في وقت زيارته للملك إدوارد السادس "دوق وندسور" الذي تنازل عن العرش من أجل من يحبها مسز سمبسون.. كان صديقه وذهب له ليهنئه على قراره وقال لساندوزا: يا ليتني في شجاعة صديقي الدوق لأترك تاريخي خلفي وأتعلق بك!! ولم تسمح لها الملكة نازلي بدخول مصر!! حتى زوجته لطيفة هانم أغنى شابة في مصر، حيث أن أمها تملك ثروة من مطلقها الملك فؤاد ومن مطلقها الثاني يسري باشا استطاعت نازلي أن تنقل له كلاما لم يجد معه إلا أن يقول لزوجته: أنت طالق!!

واحدة فقط قاومت هي (أسمهان) أعجبها عناد الملوك؛ فعاندت واستمرت الحرب بينهما حتى بعد أن تزوجت أسمهان من أحمد سالم زواجًا شرعيًا، وتزوج أحمد حسنين من الملكة نازلي "عرفيًا". فلقد جن جنون أحمد سالم "دون جوان السينما في الثلاثينات" وجرى وراء أسمهان وأطلق عليها عدة أعيرة نارية لم تصبها، لأنها كانت لا تزال تتصل بأحمد حسنين وتعتبره فارس هذا الزمان وتقول عنه أنه الرجل العاقل الذي يستطيع أن يعتني لا بامرأة ولكن بملكة!!

وفي أواخر عام ١٩٤١ تولى حسين سري باشا رئاسة الوزراء ووجدت الملكة نازلي الفرصة سانحة أكثر من أي وقت للتخلص من أسمهان التي تنافسها

حب (أحمد حسنين) وبخاصة أن حسين سري ليس غريبًا عن الأسرة المالكة فهو زوج خالة (الملكة فريدة) زوجة الملك فاروق. وقدمت كثيرا من المعلومات لرئيس الوزراء عن العلاقة بينهما وعن الأماكن التي يتقابل فيها أحمد حسنين مع أسمهان أحيانًا بفندق (مينا هاوس) بل أنها لم تصبر حينما أبلغها (مراد محسن باشا) مدير الخاصة الملكية من أن المحبين غيرا مكان التلاقي وأنهما يسهران يوميًا بمنزل أمينة البارودي، حيث استقلت سيارتها واتجهت للمنزل وأخرجت من حقيبتها مسدسا وبدأت في البحث عن أسمهان وحسنين في جميع الغرف!!

ثم اتصلت نازلي بطلعت حرب وبعوني باشا وأصبح خروج أسمهان من مصر أمرًا ملكيًا لا مفر منه، وبخاصة بعد أن بدأت الأميرة شويكار مطلقة الملك فؤاد حربًا ضد نازلي التي أضاعت زوجها وزوج ابنتها بأن تشجع العلاقة بين أسمهان وحسنين وتيسر لهما أماكن اللقاء، ولكن الأمر كان قد صدر وقدم الأميرالاي "مصطفى ثابت" لأسمهان ما يفيد عدم أحقيتها للإقامة في البلاد.

وذهبت أسمهان لفندق الملك داود في فلسطين، وفي القدس استطاعت أن تجمع كل الخيوط لتشعر بأنها ملكة من جديد. قابلت ديجول وعمل لها حفلة ضخمة واستطاعت تحية كاريوكا زميلتها في (كباريه بديعة) أن تجد لها عملاً في الفندق لفترة طويلة، وجمعت خيوط العمل السياسي مع الإنجليز والألمان والفرنسيين، ثم بدأت تطلب زيارة أحمد حسنين لها. وقررت الملكة نازلي أن تذهب لهناك، فهي ملكة وأم ملك، ونسيت في غمار الغيرة أن الملوك كالسمك إذا خرجوا من مملكتهم لم يصبحوا ملوكا، وإنما لكل أرض قانونها الخاص. لقد نسيت الملكة نازلي قانون عدم جواز الامتداد الإقليمي للقوانين.. وللملوك. وكأنما كانت تتوقع أسمهان هذه الحماقة، فاستطاعت أن تقول لنازلي أنا ملكة أيضًا.. وفي فندق داود حيث عسكر ومعلومات ثلاث دول تتصارع على

النصر تكون أسمهان الملكة!! وشعرت نازلي بذلك حينما وجدتها تجلس مع جنرالات العسكر وترقص معهم. وحينما تغني تنقلب الدنيا. وقلبت الغيرة رأس نازلي فقامت ترقص مع الجنرالات والعسكر وبدقة ملكة تعرف ما معنى الجاسوسية وأهمية تحين الفرصة والاستفادة من نقط الضعف الإنساني استطاعت أسمهان أن تصور الملكة وهي في أحضان العسكر واتفقت مع بعض الجنرالات على أن يزودوها حبتين وعن طريق عوالم كباريه (بديعة) نقلت الصور لمصر لتكون رد وضربة معلم من أسمهان للملكة نازلي!! وعادت تحية كاريوكا ومعها بعض الصور والحكايات فعرفها شارع مُحَمَّد علي، قبل القصر.

وعندما تلقى الملك فاروق نبأ وفاة أحمد حسنين اتجه إلى منزله بميدان عبد المنعم بالدقي؛ فقد كان يريد أن يحتفظ بأوراقه، إنها أسرار القصر لأنها أسرار رئيس الديوان الملكي.. ووجد فاروق عقد زواج مؤرخ بسنة **١٩٣٧** بين أحمد حسنين والملكة نازلي، أي أنه لم يخنه مع أمه منذ أن أصبح ملكًا شرعيًا على البلاد، مع أن كل ما عرفه فاروق عن العلاقة بينهما كان سنة **١٩٤٢** ووجد أوراقا تثبت أنه حمى العرش من مهازل الملكة نازلي، ومن ضعف رجال القصر وبكى فاروق حينما وجد أن وصية أحمد حسنين عبارة عن قصيدة للشاعر الإنجليزي كبلنج وأنها موجهة له شخصيًا.. للملك فاروق. (إذا وثقت في نفسك حين يشك فيك الجميع، ومع ذلك سامحتهم لأنهم شكوا فيك.. إذا استطعت أن تنتظر ولا تمل الانتظار ولم تقابل أكاذيب الناس بالأكاذيب.. إذا كرهك الناس فلم تكرههم – وإذا تظاهرت بأنك لست أحن الناس ولا أحكم الناس – إذا استطعت أن تحكم دون أن تسيطر عليك أحلامك، وأن تفكر ولا تجعل التفكير هو كل أهدافك.. إذا استطعت أن تتحدث إلى الشعب بغير أن تفقد فضائلك، وأن تصاحب الملوك بغير أن تفقد اتصالك بالشعب)

والقصيدة طويلة جدًا، وفيها كل الفضائل وفي نهايتها هذه العبارة: إذا استطعت أن تفعل ذلك كله ملكت الأرض ومن عليها وأصبحت أكثر من ذلك أصبحت رجلاً يا ولدي! ولم يكن لأحمد حسنين ولد، حتى يتمنى أن يصبح رجلاً، ولكنه تمنى ذلك بصدق لفاروق الذي رباه، واعتبره ابنه!! ويكتب النحاس باشا في مذكراته: (سمعت من الأميرة سميحة، أن الأوساط المحيطة بفاروق تقول: بأن أمه هى السبب في انحرافه، وأنه لما رآها لا تبالي في تصرفاتها فقد الثقة في كل شيء. وخصوصا بعدما دخل منزل أحمد حسنين باشا بحلوان فوجدها عنده، وفاجأته بأنها تزوجته عرفيا، وفي رواية النحاس أن الزواج كان عام١٩٤٠، ولكن عند "مصطفى أمين" أنه كان قبل ذلك في عام ١٩٣٧ وأخيرا رواية مُحَمَّد التابعى أن الزواج تم في١٩٤٣ بعد عودة نازلي من رحلة القدس، وكان زواجا عرفيا، وشهودا العقد كانا: سليمان نجيب مدير الاوبرا وقتها، ومراد محسن ناظر الخاصة الملكية.

ويبدو أن رواية التابعى الأصح، ففي أوراق مراد محسن ما نعلم منه أنه كان على علم كاف بما بين نازلي وأحمد حسنين.. ويروي في ما كتب (أنا لا أنسى يوم جاءتني الملكة نازلي تقول إنها تحب أحمد حسنين باشا ولاتستطيع الحياة بدونه، وأنها تعسة لأن حسنين صارحها بأنه لا يستطيع أن يقربها لأنه لا يحب الحرام) ويقول تكتمت دهشتى وذهولى، فأنا أعرف حسنين، رجل خطير، وممثل بارع، كما أعرف بأنه في حياته الخاصة ليس بريئا بالمرة. وفوجئت بأن الملكة نازلي تلكزني وتطرح سؤالا: (يعنى أعمل إيه؟! لا هو يسمح لي أن أعرف رجلا سواه، ولا يريد أن يأخذني!!

الفهرس